الإعلام والإرهاب والثقافة البديلة



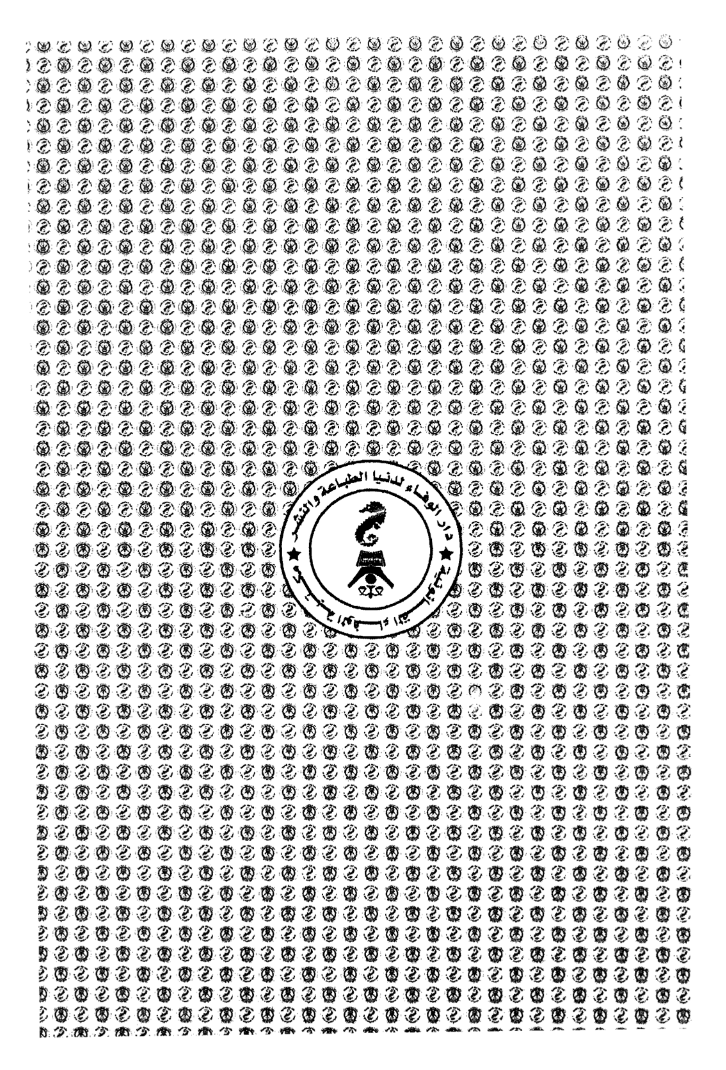
دكتور

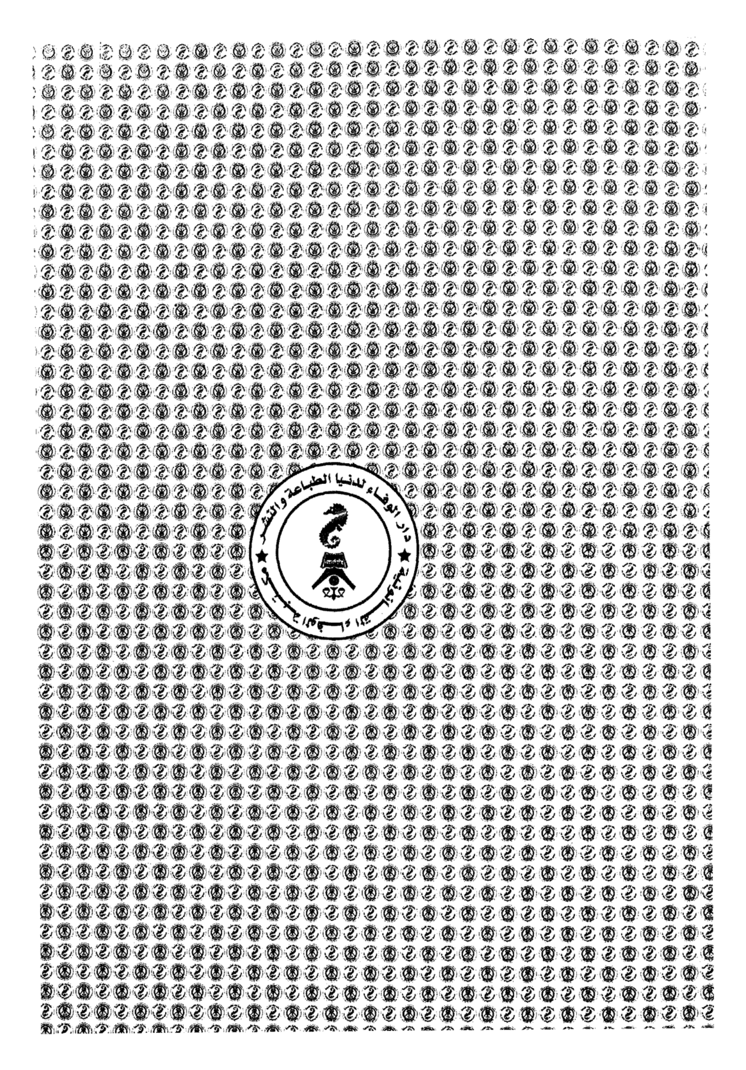
إسماعيل محمود عبد الرحمن

جامعة فاروس - كلية الإعلام

رئيس قسم الإعلام بجامعة فاروس سابقاً




دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر


دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

الإعلام والإرهاب والثقافة البديلة



دكتور
إسماعيل محمود عبد الرحمن
جامعة فاروس كلية الإعلام
رئيس قسم الإعلام بجامعة فاروس سابقا

الطبعة الأولي
2014م

الناشر
مكتبة الوفاء القانونية
محمول: 0020103738822 الإسكندرية

مقدمة

إن العداء بين الحق والباطل قديم، وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فمنذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومؤامرات الأعداء ومكرهم وكيدهم لهذا الدين، ولرسوله وأتباعه يتتابع، وقد بين الله تعالى موقف الأمم الكافرة من المسلمين فقال عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة، الآية: 217)

قال ابن كثير رحمه الله: " أي هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين " . وقال ابن سعدي - رحمه الله - : " هذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ألفوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس لجذب الأمم إلى دينهم، وإدخالهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم "

القصور والتبعية في مناهج التعليم

لقد كان من آثار الاستعمار والتغريب أن أسس التعليم في كثير من البلاد الإسلامية وفق النظام الغربي في مناهجه، ووسائله، وغاياته.

ولم يسلم ما بقي من العلوم الإسلامية والعربية من المسخ والتشويه، فتاريخ الأمة الإسلامية، وآدابها وتراثها الفكري يدرس من وجهة نظر الغرب، وحسب مقاييسه المقررات الشرعية حذفت، أو خففت لتكون مجرد ومضة روحية خافتة الضياء، ضعيفة التأثير، وما يدرس منها لا يفي بالقدر الواجب تعلمه على كل مسلم في أمور عقيدته، وعباداته، ومعاملاته.

الفصل الأول

أسباب ظاهرة الإرهاب

وقبل أن نشرع في أسباب ظاهرة الإرهاب لابد لأن نعرف أولاً:
مفهوم الإرهاب وحكمه

الإرهاب في اللغة: أصله أرهب، يرهب، إرهابًا وترهيبًا، والثلاثي منه: رَهِب بالكسر كعَلِم رَهْبة ورُهْبًا بالضم وبالفتح وبالتحريك: أي: خاف، ورَهِب الشيء: خافه، وأرهبه واسترْهَبَه: أخافه، والرهبة: الخوف والفزع . (ابن منظور، لسان العرب(قال ابن فارس : " رَهِبَ: الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف والآخر يدل على دقة وخِفّة. فالأول: الرّهْبة، تقول: رهِبت الشيء رُهْبًا ورَهْبة، ومن الباب:الإرهاب: وهو قدع الإبل من الحوض وذيادُها.

والأصل الآخر: الرّهَب: الناقة المهزولة .

فمعاني هذه الكلمة في اللغة تدور حول: الإخافة والترويع.

الإرهاب في الشرع:

جاء ذكر لفظة " رَهِبَ، وأَرْهَبَ " واشتقاقاتهما في القرآن في مواضع:- منها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال، الآية: 60 .)، قال ابن جرير : " يقول تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين، وعن ابن عباس : تخزون به عدو الله وعدوكم "- ومنها في قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي: يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله

ومنها في قوله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنفال، الآية: 60 .)،

أي: أخافوا الناس من العصي والحبال ظنًا منهم أنها حيات (الطبري، جامع البيان 9 / 20 .

ومنها في قوله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿يَـابَنِي إِسْـرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة، الآية: 40.

فبعد أن ذكرهم نعمه وإحسانه، أمرهم بامتثال أمره واجتناب نهيه خوفًا منه، وخشية له.

ومنها ما أخبر به - سبحانه- عن عباده الصالحين أنهم يدعونه ويتقربون إليه رجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه، فقال سبحانه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء، الآية: 90)، قال القرطبي : " أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة، وقيل: المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء، ورهبة وخوف " (القرطبي الجامع لأحكام القرآن 11 / 336)

مما تقدم يتبين لنا أن مادة (رهب) واشتقاقاتها جاء استخدامها في نصوص القرآن وفق معناها اللغوي الذي يعني الإخافة للآخرين أو الخوف منه لقوته ولما يخشى من بطشه أو عقوبته، وسواء وقع هذا الخوف من الله عز وجل، أو من الخلق، وأن من التخويف ما يكون بحق ومنه ما يكون بالباطل.

المختار في تعريف الإرهاب:

هو الاعتداء المنظم من فرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق.

شرح التعريف وبيان محترزاته:

الاعتداء المنظم: أي الظلم الذي يقع على صورة مرتبة ومتسقة لتحقيق أهداف عامة سياسية أو اقتصادية . . وله بواعثه العقدية أو الفكرية.

حكم الإرهاب :

الإرهاب بهذا المعنى محرم وممنوع منه شرعًا، لأنه عدوان على الناس، وسعي في الأرض بالفساد، وقد قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة، الآية: 32)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة، الآية: 33 .)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف، الآية: 56) قال القرطبي : "نهى - سبحانه- عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر فهو على العموم على الصحيح من الأقوال ". (الجامع لأحكام القرآن 7 / 226.

أما عقوبة من قام بشيء من تلك الأعمال فتختلف ولكنها قد تصل إلى القتل إذا كان من أعمال الحرابة أو يفوقها في الشر والضرر

أسباب ظاهرة الإرهاب

الانحراف الفكري والقصور في العلم الشرعي:

إن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها فكره وعقيدته، فالإنسان مقود أبدًا بفكرة صحيحة أو فاسدة.

وعلى هذا فإن السبب الرئيس للغلو وسلوك سبل العنف والإرهاب انحراف الفكر وضلاله، والتباس الحق بالباطل لدى أصحاب هذا الاتجاه.

ولهذا الانحراف الفكري أسباب، منها: الخلل في منهج التلقي؛ حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم. وهؤلاء الغلاة يعتدون بآرائهم، وينساقون مع أهوائهم، فيحرمون العلم النافع المتلقي من مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، ويقعون في ضروب من الضلال، والقول على الله بغير علم، فيَضلون ويُضِلون.

كيد الأعداء وظلمهم للمسلمين:

إن العداء بين الحق والباطل قديم، وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمنذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومؤامرات الأعداء ومكرهم وكيدهم لهذا الدين، ولرسوله وأتباعه يتتابع، وقد بين الله تعالى موقف الأمم الكافرة من المسلمين فقال عز وجل: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾** (البقرة، الآية: 217)

قال ابن كثير رحمه الله: " أي هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين ". وقال ابن سعدي - رحمه الله - : "هذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ألفوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس لجذب الأمم إلى دينهم، وإدخالهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم "

القصور والتبعية في مناهج التعليم:

لقد كان من آثار الاستعمار والتغريب أن أسس التعليم في كثير من البلاد الإسلامية وفق النظام الغربي في مناهجه، ووسائله، وغاياته.

ولم يسلم ما بقي من العلوم الإسلامية والعربية من المسخ والتشويه، فتاريخ الأمة الإسلامية، وآدابها وتراثها الفكري يدرّس من وجهة نظر الغرب، وحسب مقاييسه

والمقررات الشرعية حذفت، أو خففت لتكون مجرد ومضة روحية خافتة الضياء، ضعيفة التأثير، وما يدرس منها لا يفي بالقدر الواجب تعلمه على كل مسلم في أمور عقيدته، وعباداته، ومعاملاته.

وأما المعاهد الدينية والكليات الشرعية فحوصرت، أو ألغيت تجفيفاً لمنابع التدين وموارده.

ولما كان التدين فطرة إنسانية مشتركة بين الأمم، ثم هو أيضاً واجب شرعي، فقد أدى انحراف التعليم، وانصرافه عن تعليم القدر الضروري من العلوم الشرعية، إلى أن يحرم الناس من تعلم أمور دينهم، كما كان من آثار ذلك أن يلجأ طوائف من أفراد المجتمع، ولا سيما الشباب منهم إلى من يجدون فيهم الغيرة على الدين، وإظهار الاستقامة عليه، ولو صاحب ذلك قلة في العلم، وضعف في البصيرة، وجهل بمقاصد الشريعة، أو يكون لديهم شطحات فكرية، ونظرات غالية، فتبرز بسبب ذلك تيارات الغلو والتكفير، الممهدة للعنف والإرهاب.

التأثير السلبي لبعض وسائل الإعلام:

تعد وسائل الإعلام في هذا العصر من أكثر الوسائل تأثيراً في فكر الناس، وأخلاقهم وسلوكهم، وفي بناء توجهاتهم، لشدة سيطرتها

على عقول الناس، واستحواذها على اهتماماتهم وأوقاتهم، وقوة تأثيرها فيهم.

والأصل في الإعلام على اختلاف وسائله أن يقدم للناس المعلومات النافعة، والحقائق الثابتة، والأخبار الصحيحة، ليكون بذلك أداة توجيه وبناء، ومصدر معلومات موثوقة.

إلا أن الواقع في بعض الأحيان بخلاف ذلك، حيث اتخذ من الإعلام وسيلة للدعاية لأفكار وتوجهات معينة، ومهاجمة ما يضادها أو يخالفها، كما أضحى الإعلام اليوم أداة من أدوات الصراع الثقافي والعسكري بين الأمم.

وأما عن صلة الإعلام بقضايا الغلو والعنف والإرهاب، فتظهر من خلال ما يصدر عن بعض وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية من مقالات صحفية، أو ندوات ثقافية، أو مسلسلات ومسرحيات تهزأ بالدين وأهله، وتسخر من القيم الإسلامية، ومن بعض الأحكام الشرعية، والمبادئ الإسلامية الثابتة..

أسباب غير مباشرة :

التعصب للجماعة أو الطائفة، فلا يقبل من الدين والعلم والرأي إلا ما جاء عن طريقهم، ولا يصدر إلا عن رأيهم، ومثل هذا التعصب: "من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله " .(ابن تيمية، مجموع الفتاوى 11 / 92) وهو من فعل أهل الجاهلية.

ومما اتفقت عليه الأمة أن كل فرد من الناس - فردًا أو جماعة - يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما غيره فتعرض أقوالهم على الكتاب والسنة فما وافقهما قبل وما خالفهما رد على قائله.

والتعصب من أعظم الأمور شرًا وفسادًا، فهو يجر على الأمة المصائب والويلات، لأنه يمنع من سماع الحق فضلًا عن قبوله، ويحمل على الانقياد للأهواء، والمتابعة على غير حجة أو برهان، قال الشوكاني رحمه الله: " واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحرم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، ولا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك . . وهذا يعرفه كل من له خبرة بأحوال الناس " . (أدب الطلب ومنتهى الأرب، ص92.

والواجب أن يغرس في النفوس تعظيم الحق - والذي منبعه نصوص الكتاب والسنة - والصدور عنه، والرد إليه عند الاختلاف والتنازع، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾. (النساء، الآية: 59) وأن تربى الأمة على ذلك، وتنشأ الأجيال عليه، حتى تكون في منأى من مزالق التعصب المذموم الموجب للضلال والتفرق.

التقصير في بيان بعض المسائل الشرعية الملحة في ضوء ما يستجد من وقائع معاصرة، مثل قضية التكفير، والولاء والبراء، والجهاد وضوابطه، ولاسيما مع تسلط الكفرة واستيلائهم على بعض بلاد المسلمين، وأيضًا التقصير في الرد على ما يثيره بعض دعاة التكفير من شبه تلبس على الناس، وتروج لفكرهم وضلالاتهم.

والواجب البيان وتجلية الأمور، ورد الشبه بالحجج والبراهين، وأن يتصدى لذلك طائفة من الراسخين في العلم، حتى يكون الناس - ولاسيما الشباب - على بصيرة من أمرهم، وحتى لا يصدر عنهم من

الأعمال والتصرفات إلا ما يتوافق مع الشرع، ويجلب الخير والمصلحة، ويدرأ عنهم وعن مجتمعاتهم الشر والفساد.

عيش الشاب في بيئة تحمل أفكار الغلو والتكفير والعنف، مثل بعض البيئات الجهادية، فقد أمّ تلك البيئات كثير من الشباب، وعامتهم ممن ليس لديهم من العلم الشرعي القدر الذي يتمكنون به من دفع شبه أولئك المكفرين، فحملوا تلك الأفكار وتبنوا العنف منهجًا للإنكار والتغيير.

وإذا كانت بعض تلك البيئات قد اندرست، أو ضعف أثرها، فإن بيئات أخرى قد تجددت، وقد تكون مهيأة لرواج الفكر الغالي، مما يحتم على العلماء والمربين التحذير منها صيانة لأبناء الأمة من مسالك الغلو والضلال

كما أن على العلماء وطلبة العلم مدافعة من يحملون الفكر المنحرف بالحجة والبيان، وكشف الشبه، والجدال بالتي هي أحسن، قيامًا بالواجب ونصحًا للأمة، وصيانة للمجتمعات من أسباب الغواية والضلال.

الشحن العاطفي غير المرشد، بالحديث المطرد عن الجهاد وفضائله، وعن شيوع المنكرات والمظالم في المجتمعات الإسلامية، وعن مكائد الأعداء وظلمهم للمسلمين، وهذا من شأنه أن يوقد من جذوة الغيرة في النفوس، ويشوق للبذل والمدافعة.

ومع قلة العلم، وغياب الضوابط الشرعية، تسهل استجابة الشباب لدعاة الغلو والعنف والإرهاب.

والواجب على من يتصدى للتعليم والتربية والدعوة، العناية بالتوازن في البيان والبناء، ويتأكد ذلك لمن كان هو وحده مصدر

التوجيه لطائفة أو جماعة من الأمة، حتى يكون أثره فيمن تحت يده إيجابيًا وفق سنن الهدى ؛ يجمع بين تعظيم الحق، والرحمة بالخلق، والعناية بالنفس، والبذل للآخرين، والانقياد للنصوص والوقوف عند حدودها، بعيدًا عن الغلو والإفراط أو التساهل والتفريط

معاناة الشباب من الفراغ بأبعاده المختلفة ؛ الروحي، والفكري، والزمني، هذا الفراغ الممتد - بدرجات متفاوتة - في حياة الشباب، يوجد لديهم القابلية لسائر المؤثرات، سواء المتجهة إلى التفريط والانحلال، أو إلى الإفراط والغلو والعنف.

وهذا الفراغ بآثاره السيئة يؤكد الحاجة إلى توفير المحاضن التربوية ؛ من أندية طلابية، ومراكز علمية وثقافية ونحوها، لتشغل وقت فراغ الشباب بما يعود عليهم بالنفع، من خلال برامج متكاملة، تنمي العقول، وتزكي النفوس، وترتقي بالاستعدادات والمواهب، وتسهم في غرس القيم الفاضلة، وتروح عن النفوس بما يحل ويجمل، وفي ظل عناية تامة بالإشراف والمتابعة.

بهذا ونحوه ينشأ الشباب نشأة سوية متوازنة، تبعثهم نحو الأعمال الإيجابية النافعة، وتحميهم من التوجهات المنحرفة، والتصرفات المشينة.

والحق أن البذل والإنفاق في هذه الميادين ونحوها من أجل صور البذل، ومن أنفع الاستثمار، لأنه متجه إلى بناء الإنسان، وتهيئته لحياة كريمة صالحة تحقق السعادة له ولمجتمعه.

ما يلاقيه بعض المتهمين من صور الأذى والتعذيب والإهانة مع عدم اقترافه ما يوجب ذلك، أو معاقبته بأكثر مما يستحق، أو بطريقة لا تجوز شرعًا، فيخرج الفرد بعد ذلك من السجن وهو ناقم على

مجتمعه، مسيء الظن بولاته، متهيئ لتلقف الأفكار الغالية، وتبين الأعمال الإرهابية، لما في نفسه من الغيظ وحب الانتقام.

ولا شك أن المخطئ يجب أن يعاقب ويؤدب، زجرًا له وحماية للمجتمع من شره وظلمه لكن مع ذلك يجب مراعاة الضوابط الشرعية، والحقوق الإنسانية من الجميع وعلى اختلاف الأحوال، فالأصل البراءة حتى تثبت التهمة والإدانة، والعقوبة يجب أن تكون بقدر الجرم، كما يجب حماية المسجونين والموقفين من صور التجاوز، والاعتداء غير المشروع.

وذلك أن العدل وفق ما جاء به الشرع هو الكفيل وحده بإصلاح الفرد ورده إلى جادة الصواب، وإعادته - وإن أدب أو عذب - إلى أن يعيش حياة طبيعية في مجتمعه بعيدًا عن الانعزال والنفرة والسلبية، أو الغلو والحقد والسعي في الأرض بالفساد

يذهب بعض الباحثين إلى أن العوامل الاقتصادية كالفقر والبطالة من أسباب اختيار طريق العنف والإرهاب ؛ لكون الفرد غير قادر على الوفاء بحاجاته الأساسية، وفاقد الأمل في المستقبل . مما يحمله على النقمة على المجتمع ومؤسساته، ويبعثه على تبني العنف والذي يظهر أن الفقر والبطالة والضغوط الاقتصادية بعامة ليست أسبابًا كافية لسلوك طريق العنف والإرهاب، لأن هذه الظواهر لم تغب عن المجتمعات الإسلامية منذ دهر طويل وإن تفاوتت في درجات الفقر ونسب البطالة، ومع ذلك لم تحمل الناس على أعمال إرهابية منظمة كما يجري اليوم.

والذي يمكن التسليم به أن الفقر والبطالة، وعدم وجود فرص وظيفية، تثير في النفوس مشاعر الحقد والبغضاء، وتجعل من الذين

يعانون من ذلك هدفًا لأصحاب التوجهات الغالية، يمكن استدراجهم باستغلال حاجتهم، وتوظيف نقمتهم للالتحاق بركب الغالين وسلوك سبيلهم.

وبعد هذه الدراسة لأسباب الإرهاب في المجتمعات الإسلامية، نجمل أبرز النتائج ومنها:

1- أن أسباب الإرهاب تختلف باختلاف المجتمعات؛ تبعا لاختلافها في اتجاهاتها السياسية، وظروفها الاقتصادية، والاجتماعية، وأحوال شعوبها الدينية

2- أن التفريط في أمر الله عز وجل، والوقوع فيما نهى عنه، والأعراض عن شريعته، من أعظم أسباب المصائب، من كوارث وإرهاب وغيرها.

3- أن للإرهاب أسبابا مباشرة، وهي تعد كافية وحدها لوجوده، وله أسباب غير مباشرة، وهي العوامل المؤثرة في النفوس بحيث تجعلها سهلة الانقياد لدعاة العنف الإرهاب

4- أن أسباب الإرهاب على اختلافها، تعود إلى ثلاثة عوامل رئيسة: فمنها ما يعود إلى الأفراد أنفسهم، بسبب تقصيرهم في تلقي العلم الشرعي من مصادره الرئيسة، واعتدادهم بآرائهم، واتباعهم لأهوائهم

ومنها ما يعود إلى البيئة التي يعيشون فيها، وما تموج به من انحرافات وتناقضات، تثير كوامن النفوس، وتبعث على المعارضة والمدافعة.

ومنها ما يرجع إلى عوامل خارجية تتمثل في كيد الأعداء، وتسلطهم على المسلمين، وظلمهم لهم، مما يؤجج مشاعر المسلمين، ويبعث في نفوسهم الحمية لدينهم، ودمائهم، وأعراضهم، وحرياتهم، وثرواتهم. العلاج:

وبعد هذا كله، فإن المخرج من مخاطر الإرهاب وآلامه يتمثل في أمور، أهمها ما يأتي:

1- نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من نصوص الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، والإعانة عليه، وتسهيل سبله، وإصلاح مناهج التعليم بما يتوافق مع عقيدة الأمة وثوابتها

2- الاجتهاد في إصلاح دين الناس الذي هو قوام حياتهم، وغاية وجودهم، ونفي كل ما يتعارض معه، أو يقدح فيه، لتطمئن النفوس، وتتحد الكلمة، ويجتمع الصف

3- العمل الجاد - وفق خطط مدروسة - على إصلاح أحوال الناس الدنيوية، وتلبية مطالبهم الضرورية، وعلاج مشكلاتهم، وتيسير أسباب الحياة الكريمة لهم، ليزداد التواصل الإيجابي بين الناس وولاتهم، وتتعاظم الثقة بينهم

4- أن تأخذ الدول الإسلامية بأسباب القوة المادية، بما يحقق لها السيادة والعزة، ويمنحها القدرة على الاستقلال في سياساتها، وقراراتها وتوجهاتها .

الفصل الثانى

الإرهاب والحروب الإعلامية الأولى

1ـ كلما كانت حرب فثمة إعلام، وكلما كان إعلام فثمة قبليا معلومات ومعطيات وبيانات.

هذه، كما تلك، من البديهيات في القدم كما في الوقت الحاضر، في أزمنة الحرب المعلنة كما في فترات الأزمات المضمرة والتوترات الخفية لم تشد عليها الدول والحكومات (قديما كما في الزمن الراهن) إلا فيما ندر.

قد لا يبدو الأمر أعلاه عصيا على الفهم، فالمعلومات (بما هي مادة الإعلام وأداته) كانت ولا تزال عصب الحرب، وكانت وستبقى إحدى أقوى عناصر الترتيب لهذه الأخيرة وإحدى أهم العوامل للحسم في مسارها وتوجهاتها.

وبقدر ما كان (ولا يزال) للحرب خبراءها وصناعها، بقدر ما كان أيضا، وبالمثل، للإعلام صناعه وخبراءه يفعلون في الرأي العام (إخبارا أو تجنيدا) كما يفعل صناع الحرب وخبراءها على التأثير في ذات الرأي العام بجهة التجنيد تارات وبجهة التوظيف تارات أخرى.

ليس من الوارد هنا التأريخ لبدايات وتطور العلاقة بين الحرب والإعلام (وهي قديمة قدم الحرب والإعلام ذاتهما) ولا مقاربة درجات الارتباط والتنابذ التي ميزت لعصور طويلة العلاقة إياها، بقدر ما نبتغي تفكيك ذات العلاقة احتكاما إلى أحداث كبرى لربما كانت المحك الأقوى لطبيعة هذه العلاقة وصيرورتها.

2ـ هناك، فيما يتراءى لنا، ثلاث حقائق كبرى تجعل من العلاقة بين الحرب والإعلام علاقة ترادفية زمن الأزمات كما زمن السلم سواء بسواء:

الحقيقة الأولى ومفادها أن معظم التقنيات والأدوات المعلوماتية والإعلامية هي بالأساس من صنيعة المؤسسة العسكرية أو تم التفكير فيها وتصميمها من داخل مختبرات المؤسسة إياها أو تم (في تقنيات قليلة محددة) التقاطها من مؤسسات البحث المدنية واحتكارها.

لا يتعلق الأمر هنا بتقنيات التلغراف والتلكس والهاتف والراديو والتلفزة فحسب، بل أيضا بما أفرزته البحوث حول الأقمار الصناعية والمحطات الأرضية والشبكات الإلكترونية وغيرها.

بالتالي، فمعظم تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال هي (بشكل من الأشكال) وليدة "المؤسسة الحربية" وجاءت (أعني التكنولوجيا) في صيغها الأولى وتصميماتها الأولية، كإفراز لحاجة المؤسسة إياها لا بحكم أغراض أخرى.

من هنا فمختبرات الحرب ومصانعها خدمت (عن دراية في حالات وعن تغافل في حالات أخرى) "المؤسسة الإعلامية" بما هي مجمع المعلومات وموزعها ومروجها.

ليس من الشذوذ في شيء إذن إذا كانت المؤسسة العسكرية تدعي لنفسها منذ القدم ما يشبه "الأبوية" على المؤسسة الإعلامية وأن تعترف هذه الأخيرة بمدى ما لها من دين إزاء الأولى.

الحقيقة الثانية ومؤداها أن التطورات التكنولوجية والمؤسساتية التي طالت " فنون الحرب"، وأساليب التخطيط لها والتنفيذ، لم تستثن من تيارها المؤسسات الإعلامية والاتصالية تقنيات وترتيب وتخزين وتزويج للمعلومات.

فبمثل ما تتوفر المؤسسة العسكرية على أقمار للاستطلاع وأخرى للاستشعار عن بعد وثالثة للتجسس، فإن للإعلام أيضا أقماره الصناعية وبنوكه للمعطيات والصور ومحطاته للبث على المستوى الكوني.

وبقدر ما يلجأ الإعلام للمؤسسة العسكرية (زمن الحرب بالأساس) لتأمين مادته الإخبارية والتحليلية، فإن المؤسسة إياها لا تجد بدا من اللجوء إلى وسائل الإعلام لإيصال خطابها وإشاعته على أكثر من مستوى.

بالتالي فالعلاقة بينهما على هذا المستوى هي إلى التكاملية أقرب منها إلى الترادف.

الحقيقة الث'ل'ثة ومضمونها كامن في العلاقة التلاحمية بين الحرب والإعلام لدرجة الانصهار والتي غالبا ما يترجمها بعمق مصطلح حرب المعلومات.

ليس المقصود بحرب المعلومات هنا ما يتم (زمن السلم) من عمليات تجسس اقتصادية وتكنولوجية وتجارية وغيرها، ولكن بالأساس "تطويع" المعلومات بغرض توظيفها لأغراض عسكرية (وقتالية تحديدا).

يقول الجنرال كولن باول (رئيس الأركان المشتركة في حرب الخليج الثانية): إن " حرب المعلومات هي كل الإجراءات التي تؤدي إلى تحقيق السيطرة المعلوماتية عن طريق التأثير في معلومات الخصم، والعمليات المعتمدة على المعلومات ونظم المعلومات وشبكات الحواسيب مع حماية ما يخصنا من معلومات".

لم تصبح المعلومات، على هذا الأساس، وسيلة تأثير على الخصم أو"المزايدة" عليه فحسب، بل أضحت كذلك جزءا مما يسمى منذ مدة بعمليات "القيادة والسيطرة" والتي تشمل "أمن العمليات والعمليات النفسية والخداع والحرب الإلكترونية وتدمير النظم وغيرها".

هناك إذن، بالمحصلة النهائية لهذه الحقائق الثلاث، ترادف في التقنيات وتكامل في الأدوات وانصهار (لدرجة التماهي) في الوظائف.

هي الحقائق ذاتها التي تكرست على أرض الواقع أثناء حرب الخليج الثانية وتتكرس اليوم بامتياز في حملة "الحرب ضد الإرهاب" التي لا يعتبر ضرب أفغانستان والإجهاز على إمارة طالبان إلا مقدمتها وعنوانها الأبرز.

ليس من المبالغ فيه البتة إذن الاعتقاد بأن الحروب ضد العراق وضد أفغانستان (وقبلهما وفي خضمهما ضد السودان وليبيا والفلسطينيين) إنما هي بداية الحروب الإعلامية الأولى التي تدغم في صلبها فنون الحرب بحرب المعلومات.

يقول الجنرال باول في يوليوز 1992 : لقد "كانت معركة الخليج بمثابة فجر لعصر المعلومات بالنسبة للقوات المسلحة الأمريكية. الجندي الذي يحمل في يده بندقية وفي الأخرى حاسوبا صغيرا لم يعد بعد تلك الحرب يثير دهشة أحد، لقد أصبحت نظم المعلومات مكونا أساسيا لنجاح العملية القتالية في معركة اليوم".

ولما كانت نظم المعلومات كذلك، فإن مراكز الأبحاث العسكرية (بالولايات المتحدة الأمريكية أساسا) لا تتوانى في خلق

أجواء "حرب افتراضية" (داخل المختبرات) وتطويع الاكتشافات بجهة اختراع الأسلحة المناسبة " لساحة" الحرب الحقيقية.

ستكون إذن حروبا تكنولوجية بامتياز تسخر فيها تقنيات المعلومات لبلوغ أهداف قتالية دونما حاجة تذكر لمقاتلين على أرض المعركة...كيف لا والمواقع المستهدفة محددة بدقة وسبل ضربها مبرمجة عن بعد وحظوظ تدميرها مضمونة بنسبة عالية؟

وستكون كذلك "حروبا نقية" لا ضحايا بشرية للمتفوق فيها تذكر و لا خسائر مادية واردة لديه.

وستكون حروبا عن بعد لا تنطلق أداة التدمير فيها من الطائرات والمدافع، بل وبالأساس من البوارج البعيدة والقواعد المحصنة.

وستكون حروبا لن يرى منها المشاهد إلا ما أرادته له القيادة العسكرية وارتضته، والمرجح أنه لن يرى إلا آثار التدمير المستشرية دون ما يترتب عن ذلك من تنكيل التكنولوجيا بالبشر والحجر.

وستكون، فضلا عن هذا وذاك، حربا مضمونة النتائج ومتحكم في عواقبها من الناحية العسكرية والنفسية والاقتصادية والجيوسياسية كما كان الشأن في حرب الخليج الثانية وكما سيكون عليه الشأن وأكثر في "الحملة ضد الإرهاب".

3. لن يكون بإمكان الإعلام أن يخرج صحيحا معافى من حروب تشن (وستشن أكثر باسمه مستقبلا) وعلى خلفية من تقنياته ومعلوماته ومستويات تغطيته.

ولن يكون بمستطاعه، بعد حرب الخليج الثانية والحرب على أفغانستان، استرجاع القوة والهيبة التي مكنته إياهما حرب الفيتنام أو مستنقع الصومال:

- "فحياده" وضع في الميزان بما لا يدع مجالا للشك ليس فقط لأنه استلب استقلاليته "كسلطة رابعة"، ولكن أيضا لأنه تماهى مع المخطط العسكري دونما رد فعل أو احتجاج يذكران.

- و "موضوعيته" أصبحت محط طعن وتشكيك وإلا فما السر في عمليات التحريض الذي سلكته معظم وسائل الإعلام (عقب ما حدث يوم 11 شتنبر) لربط الانفجارات بالعرب وبالإسلام واعتبارهما "مصدر إرهاب" وترهيب لأمم وشعوب العالم، متمشية في ذلك (وأكثر) مع ما اعتمدته الحكومات واعتبرته الحقيقة؟

- و "مصداقيته" أضحت في المحك لا على اعتبار ما أصبح الإعلام يمارسه عبر التعتيم على الأخبار وتقديم "مادة المؤسسة العسكرية" دونما إمكانية للتمحيص، ولكن أيضا على اعتبار إقصاء وتهميش كل ما من شأنه مناقشة المادة إياها أو الطعن في واضعيها.

بالتالي، فقد لا يكون من المجازفة في شيء القول بأن "الحملة على الإرهاب" (أكثر مما عايناه طيلة حرب الخليج الثانية) إنما هي الفيصل البارز بين إعلام الحرب (الذي يتغيأ تغطية الأحداث دونما إكراهات أو ضغوط كبرى كما في حالة فيتنام) وبين حرب الإعلام الذي أصبحت المعلومات بموجبها مكون "وحدة وطنية وراء الرئيس" وعنصر نصر على أرض المعركة (بالمعنى الافتراضي للكلمة).

هناك إذن، بالمحصلة النهائية، هيمنة شبه مطلقة (في "الحرب على الإرهاب" بالأساس) للمؤسسة العسكرية الأمريكية على وسائلها في الإعلام والاتصال وهيمنة لهذه الأخيرة على ما سواها من وسائل إعلام.

لقائل يقول: أو لم تفسد قناة الجزيرة مثلا (في هذه الحملة بالتحديد) جزءا من المخطط الأمريكي حينما استفرد مراسلوها بنقل عمليات قصف أفغانستان في أدق تفاصيلها وفتحوا لأسامة بن لادن وتنظيمه باب الشهرة والتعاطف؟

وهذا صحيح...إذ لم تتعم قناة س.ن.ن مثلا بالتغطية الحية لأحداث الضربة على أفغانستان كما تسنى لها ذلك أثناء حرب الخليج الثانية، والسبب في ذلك لا يرجع فقط إلى وعورة الجغرافيا الأفغانية وسيطرة طالبان عليها، ولكن أيضا بسبب خشية المؤسسة العسكرية من تجاوزات عمل إعلامي قد ينجر وراء مبدأ " نسبة المشاهدة" (عن غير قصد) دون سواه من المبادئ.

لكن قناة الحزيرة لم تسلم بالمقابل (وإن في جنوحها المستمر للحياد والموضوعية) من أذى المؤسسة العسكرية والسياسية الأمريكية، إذ سرعان ما تحولت الإكراهات والضغوطات الخفية إلى التهديد بضرب مكاتبها وتدمير مقرها المركزي ولربما أيضا متابعة طاقم مراسليها تحت مسوغة " تقديم الدعم لعناصر إرهابية".

من هنا (ربما) استنباط الآية من انتقالها إلى البث الرقمي مجبرة في ذلك على "مغادرة" عشرات الملايين من مشاهديها الذين لا قدرة لهم على تغيير لاقطاتهم التشابهية.

4. لمتسائل يستفهم: كيف لحروب المستقبل ذات الطبيعة الإعلامية المتزايدة والمستوظفة لأعتى تقنيات التجسس وأضخم ترسانات التنصت وأكثرها توظيفا للعامل النفسي، كيف لها أن تنتصر على "عدو" كالإرهاب لا مرجعية ترابية محددة له ولا إطارا جغرافيا قارا ولا

مستقر ثابت... هو إلى الافتراضي (أو يكاد) أقرب منه إلى الحقيقي أو الواقعي؟

لربما يكون عنصر الجواب كامنا في الاستفهام ذاته، إذ الحرب الإعلامية (المرتكزة على بنى للمعلومات متقدمة ومعطيات مؤمنة) هي، فيما نتصور، أقوى حروب القرن المتوفرة حالا وفي المستقبل. بمعنى أنها مطالبة لأن تكون بدورها افتراضية حتى يتسنى لها محاربة الإرهاب بأدواته وفي عقر داره كما يقال..وهو ما تعمل مختبرات البحث العسكري على صياغته وتطويره.

5- قد لا يقتصر الأمر، فيما أسميناه بالحروب الإعلامية الأولى، على قضية "القضاء على جذور الإرهاب" التي أفرزتها تفجيرات 11 شتنبر بقدر ما سيتعداه إلى شرعنة إرهاب الدولة الذي تعمل الولايات المتحدة (بتنسيق ندر مثيله) مع إسرائيل وباقي حلفائها على تأسيسه:

فإسرائيل (بدعم من الولايات المتحدة) ضاعفت منذ 11 شتنبر من إرهابها الممارس على الفلسطينيين...على أرضهم وأشجارهم وهويتهم ومعالمهم الحضارية العربية الإسلامية والمسيحية...في الوقت الذي تكفلت فيه لوبياتها الإعلامية بأمريكا وبالغرب عموما بتكريس "الصورة الإرهابية" للفلسطيني الأعزل.

إنها حرب إعلامية منسية لأنها مكمن تعتيم وتضليل وتحريف. وحرب إعلامية "جانبية" لا تتوانى إسرائيل في توظيفها لتبرئ ذمة الذين يمارسون الإرهاب باسم الدولة ويمعنون في اللجوء إليه.

والولايات المتحدة الأمريكية لم تتوقف يوما (منذ بداية التسعينات) في إيذاء العراق وحصاره وتجويع شعبه وتدمير مكامن

حضارته وعمرانه، في "غفلة" مقصودة من لدن وسائل إعلامها ووسائل إعلام حلفائها.

ألسنا في الحالتين معا (كما في أفغانستان وليبيا والسودان وغيرها) بإزاء حروب إعلامية تستهدف في شكلها "استئصال جذور الإرهاب" بينما هي، في التصور كما في الجوهر، حروب حضارية بامتياز؟

لايساورنا أدنى شك في ذلك...تماما كما لا يساورنا الشك في الالتباس المتزايد لمفهوم الحضارة ذاته لدى الغرب.

الفصل الثالث

الإرهاب فى العصر الرقمى

يلعب الاعلام دورا هاما ومؤثرا في توجهات الرأي العام واتجاهاته، وصياغة مواقفه وسلوكياته من خلال الاخبار والمعلومات التي تزوده بها وسائل الإعلام المختلفة. اذ لا يستطيع الشخص تكوين موقف معين او تبني فكرة معينة الا من خلال المعلومات والبيانات التي يتم توفيرها له، ما يؤكد قدرة الاعلام بكافة صوره واشكاله على احداث تغييرات في المفاهيم والممارسات الفردية والمجتمعية عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين الراي ونشر المعلومات والقضايا المختلفة . وفي الوقت الذي اصبحت فيه وسائل الاعلام جزءا اساسيا من حياة الشعوب والمجتمعات، بفعل استجابتها ومواكبتها للتطورات والمستجدات الحاصلة في شتى المجالات الحياتية، وقدرتها على الوصول الى الجماهير ومخاطبتها والتأثير فيها، فان هذا يتطلب ضرورة مراعاة ظروف كل مجتمع وبيئته الثقافية والقيمية والفكرية بشكل يضمن احترام هوية هذا المجتمع وخصوصيته. دون ان يعني ذلك تجاهل الآخر وعدم جواز التعرف على ثقافته وحضارته، اذ لا بد من التواصل والتفاعل معه والاستفادة بما لديه من علوم ومعارف بعد ان اصبح العالم بفضل الثورة العلمية والتقنية والاتصالاتية اشبه ما يكون بقرية كونية صغيرة تتداخل فيها المصالح والاعتبارات بين دول العالم وشعوبه.

لقد اصبح الاعلام لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها او تجاهلها، ما يتطلب فهمها واستيعابها من خلال امتلاك مقوماتها وعناصرها ومواكبة التطورات التي تشهدها وسائله المختلفة، حيث تعددت ادوات الاعلام وتنوعت، واصبحت اكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات التي يفرضها الواقع الاعلامي الذي بات مفتوحا على كل الاحتمالات في ظل ما تشهده ادواته ووسائله المختلفة من تطورات

وابتكارات نوعية، بررت تناوله وطرحه العديد من القضايا التي احدثت اهتماما واسعا ولافتا في مختلف الميادين وعلى كافة الصعد. واذا كان من حق الرأي العام ان يعرف الحقيقة ويتابع ما يجري من احداث على الساحة المحلية والاقليمية والدولية، فان التعاطي مع هذه الاحداث ونشرها ومتابعة ما يجري منها، يجب ان يتم وفقا لضوابط مهنية ومعايير اخلاقية وانسانية وموضوعية تراعي ظروف المجتمع ومزاج الرأي العام، ما يعني ضرورة التوازن بين حق الجمهور بالمعرفة، وبين مرجعيته الثقافية والاخلاقية والدينية على اعتبار ان المعايير الفاصلة بين اعلام وآخر هي في النهاية معايير مهنية واخلاقية، تجسد آطرا مرجعية يمكن الاستناد اليها في التمييز بين السلوك الايجابي والسلوك السلبي، وبالتالي التفريق ما بين ظواهر سلوكية مقبولة وآخرى مرفوضة.

ان اهمية الاعلام لا تكمن في اقتنائه ومجاراة الآخرين في استخدامه وتوجيهه، وانما في كيفية استعماله وتوظيفه بشكل هادف وعلى نحو يجعله قادرا على التعبير الموضوعي عند تناول القضايا المختلفة، بحيث نضمن وسائل اعلام باطار مرجعي كفيل بتوفير تغطية منهجية تتماهى مع قواعد (علم) الاعلام ونظرياته بعيدا عن العفوية والارتجال. وربما هذا ما تفتقد له الكثير من وسائل الاعلام في وقتنا الراهن مع كل آسف، بعد ان رهنت سياساتها وتطلعاتها بالتعايش مع متطلبات السوق (الاعلامي) بما يضمن لها ترويج سلعتها الاعلامية في اكبر عدد ممكن من الاسواق لضمان وصولها بالتالي الى اكبر عدد ممكن من جمهور المتابعين. وهذا هو الشيء الذي ربما اعطى المجال لحدوث ممارسات اعلامية خاطئة وضبابية افرزت حالة من التيه والارياك اثارت الشكوك حول حقيقة دور وسائل الاعلام في الحياة

العامة ، وما اذا كانت تقوم بالفعل بتأدية رسالتها المفترضة بما هي توعية وتثقيف ام لا . الامر الذي وفر اجواء عامة بررت الوقوف عند الكثير من المحطات الخلافية والاشكاليات التي فرضت نفسها على ساحة الاحداث المحلية والخارجية، ومنها بطبيعة الحال الموضوع الذي نحن بصدده في هذه الورقة التي نتناول فيها العلاقة بين الاعلام وبين الارهاب، وهي علاقة اشكالية تحتاج الى التأمل واستخلاص الدروس والنتائج، حيث يحاول كل منهما السعي وراء الآخر . وهناك من اعتبر ان العلاقة بينهما اشبه ما تكون بعلاقة بين طرفين، احدهما يصنع الحدث والاخر يقوم بتسويقه . ما برر طرح اسئلة عديدة احسب ان الاجابة عليها يفيد في تشخيص هذه العلاقة ، ومعرفة الظروف والاجواء العامة المسؤولة عن انتشار ظاهرة الأرهاب على آمل محاصرتها والقضاء عليها . وعليه .. هل يمكن ان يعيش الارهاب بدون اعلام ..؟ هل تغذي التغطية الاعلامية الاعمال الارهابية وتشجع بالتالي الاشخاص الذين يقفون وراءها على ارتكاب المزيد من هذه الاعمال الاجرامية ..؟ هل يساعد الاعلام على نشر الثقافة الارهابية ، ومن ثم الاسهام في زيادة معدل ظواهر العنف والارهاب ..؟ .

لا شك بان ظاهرة الارهاب تحظى باهتمام الشعوب والحكومات في شتى انحاء العالم لما لها من آثار خطيرة على آمن الدول واستقرارها ، بعد ان اتضح اننا امام ظاهرة اجرامية منظمة تهدف الى خلق جو عام من الخوف والرعب والتهديد باستخدام العنف ضد الافراد والممتلكات ؛ ما يعني ان هذه الظاهرة الخطيرة تهدف الى زعزعة استقرار المجتمعات والتأثير في اوضاعها السياسية وضرب اقتصادياتها الوطنية عن طريق قتل الابرياء وخلق حالة من الفوضى العامة ، بهدف تضخيم الاعمال

الارهابية وآثارها التدميرية في المجتمع، بما يتناسب مع القاسم المشترك الذي امكن التوافق عليه بين تعريفات الارهاب المختلفة، والذي يرى في الارهاب استخدام غير مشروع للعنف يهدف الى الترويع العام وتحقيق اهداف سياسية . ما جعل البعض ينظر الى الارهاب باعتباره عنف منظم موجه نحو مجتمع ما او حتى التهديد بهذا العنف - سواءا أكان هذا المجتمع دولة او مجموعة من الدول او جماعة سياسية او عقائدية - على يد جماعات لها طابع تنظيمي تهدف الى احداث حالة من الفوضى وتهديد استقرار المجتمع من اجل السيطرة عليه او تقويض سيطرة آخرى مهيمنة عليه لصالح القائم بعمل العنف .. في اشارة الى اعتماد الارهاب المفرط على العنف المتعمد وعدم التمييز بين المدنيين وغير المدنيين كاهداف شرعية من اجل تحقيق اغراض سياسية .

وامعانا في خلق اجواء الفوضى والترويع، واتاحة المجال امام انتشار الشائعات المغرضة، التي تثير خوف الرأي العام وتؤلبه ضد السلطات المحلية بحجة عجزها عن حماية آمنه، يعمد الارهابيون الى التسلح بوسائل الاعلام المختلفة لتسويق اغراضهم وغاياتهم وتوظيفها في تضليل الاجهزة الآمنية واكتساب السيطرة على الرأي العام عن طريق نشر اخبار العمليات الارهابية التي يقومون بتنفيذها على اعتبار ان الحملات الإعلامية التي تغطي هذه العمليات تساعد على تحقيق واستكمال اهداف الارهابيين، الذين يرون في التغطية الاعلامية لجرائمهم معيارا هاما لقياس مدى نجاح فعلهم الارهابي، لدرجة ان البعض اعتبر العمل الارهابي الذي لا ترافقه تغطية اعلامية عملا فاشلا . من هنا يأتي استغلال الارهاب للاعلام لترويج فكره الارهابي ودعمه من خلال محاولاته المستمرة في البحث عن الدعاية الاعلامية لتسليط

الضوء على وجوده واغراضه . فبحسب باحثين نفسيين .. فان الارهابيين قد يحجمون عن تنفيذ عملياتهم في حال علموا مسبقا انها لن تتزافق مع الدعاية الاعلامية، التي من شأنها كشف حجم الخسائر التي الحقوها باعدائهم .. على اعتبار ان الحرب النفسية تعمل عملها فقط في حال ابدى البعض اهتماما بالامر . فقد وصفت مارجريت تاتشر رئيس الوزراء البريطانية السابقة هذه الدعاية (المجانية) بالاكسجين اللازم للارهاب الذي لا يستطيع الاستغناء عنه، لان تغطية الحدث الارهابي اعلاميا يحقق مكاسب تكتيكية واستراتيجية للقائمين عليه ..

ان وسائل الاعلام تقوم احيانا، وبدون قصد، بالترويج لغايات الارهاب واعطائه هالة اعلامية لا يستحقها في ظل الاهداف التي يراد تحقيقها من وراء العمل الاعلامي او العمل الارهابي بما هي شهرة وسلطة ومال وتأثير فكري . فقد اوضح كل من الاستاذ برونو فري والاستاذ دومينيك رونر من جامعة زيورخ في سويسرا عام 2006 في بحثهما المعنون (الدم والحبر ؛ لعبة المصلحة المشتركة بين الارهابيين والاعلام) ان الطرفين الاعلام والارهابيين يستفيدان من الاعمال الارهابية . فالارهابيون يحصلون على دعاية مجانية لاعمالهم، والاعلام يستفيد ماليا لان التقارير التي تنشر في هذا المجال تزيد من عدد قراء الجريدة وعدد مشاهدي التلفزيون، وبالتالي تزداد مبيعات الجريدة وقيمة الدعاية المنشورة عليها وزيادة قيمة الدعاية التي يبثها التلفزيون . ما دفع ديفيد برودر المراسل الصحفي في الواشنطن بوست الى المطالبة بحرمان الارهابي من حرية الوصول الى منافذ الوسائل الاعلامية ، لان تغطية العمليات الارهابية اعلاميا، واجراء مقابلات اعلامية مع الارهابيين تعتبر جائزة او مكافأة لهم على افعالهم الاجرامية، اذ تتيح لهم المجال ان

يخاطبوا الجمهور ويتحدثوا اليه عن الاسباب والدوافع التي دفعتهم لهذا الفعل، ما يتسبب ربما بانشاء نوع من التفهم لهذه الاسباب، وذلك على حساب الفعل الاجرامي نفسه . فقد ذكر الكثير من الاشخاص المنخرطين في العمل الارهابي الذين القي القبض عليهم في العراق، انهم تأثروا بما كانت تعرضه قناة الجزيرة او غيرها في هذا المجال، فقرروا الالتحاق بالمنظمات التي تحرض على القيام بالتفجيرات والعمليات الانتحارية . ان عرض المناظر والمشاهد المأساوية وتصويرالاضرار بشكل متكرر ومبالغ فيه، اضافة الى بث وجهات نظر الارهابيين التي يقصد منها اثارة الخوف، تشكل خطورة وتنطوي على ردود فعل سلبية من شأنها خدمة العمل الارهابي، خاصة في ظل تنافس وسائل الاعلام المختلفة على النقل الفوري للاحداث المتعلقة بالارهاب من اجل تحقيق سبق صحفي، لاستقطاب اعداد متزايدة من جمهور القراء والمشاهدين، والذي قد يكون على حساب القيم الاخلاقية والانسانية التي ترفض المساعدة في نشر العنف والتطرف .

في اشارة واضحة الى قدرة المنظمات الارهابية على تطويع الاعلام والاستفادة من ثورة الاتصالات المتقدمة في تنفيذ عملياتها واجندتها ومخططاتها الاجرامية، اضافة الى حضورها الفاعل على الانترنت وغيره من وسائط المعلوماتية للترويج لافكارها الهدامة وتجنيد الشباب في صفوفها. الامر الذي يؤكد بان الاعلام اصبح يمثل سلاحا خطيرا في يد الارهابيين، الذين بات بمقدورهم توجيه رسائل لها تأثير سلبي مباشر على الافراد والمجتمعات . ففي احد الاستطلاعات التي اجريت لمعرفة ما اذا كان هناك دورا للاعلام في تأجيج الارهاب، اجاب 80٪ من مجموع المستجوبين اجابة مطلقة تفيد بان الاعلام يلعب هذا

الـدور . كـذلك هنـاك ثمـة سـلبيات ينطـوي عليهـا توظيـف الجماعـات الارهـابيـة للاعـلام للترويج لخطابهـا الارهـابي علـى نحـو يـؤدي الى تحفيـز فئات اجتماعية مسحوقة الى تبني الخيار الارهابي . كما يؤدي تضارب المعلومات الاعلامية عن العمليات الارهابية الى بث البلبلة، واحيانا الى وجـود مـن (يتعـاطف مـع الارهـابي)، وربمـا يلعـب الاعـلام دورا في نقـل التعليمـات الارهـابيـة الى الخلايـا النائمـة او النـشطة أو اقامـة اتـصالات جديدة مع جماعات حليفة .

ان عدم التخصص وضعف الخلفية المعرفية للقائمين على التغطية الاعلامية التي تتعامل مع ظاهرة العنف والارهاب اثر سلبا في ايجاد الحلول المناسبة لها، وحولها الى مجرد تغطية سطحية واحيانا تحريضية واتهامية تنطوي على اتهامات واحكام مسبقة وربما مبيتة، جعلها عاجزة عن فهم خطاب الجماعات المتطرفة الاعلامي ومنظوماتها ومرجعياتها الفكرية والتنظيمية . وفي حالات كثيرة تميل المعالجة الاعلامية لظاهرة الارهـاب امـا الى التهـوين وامـا الى التهويـل، مـا يـؤثر في صـدقية هـذه التغطية ويحد من قدرتها على التأثير بسبب طغيان البعد الدعائي على البعد الاعلامي الموضوعي .

لقد ذهبت اغلب التغطيات والتحليلات والتعليقات الاعلامية تحت هول صدمة احداث 11 ايلول (سبتمبر) في الولايات المتحدة الاميركية، الى تحميل منظومة قيمية وفكرية بعينها مسؤولية هذه الاحداث عندما اتهمت الاسلام بقمع الحريات وممارسة العنف والتسلط . وقد ساهم في هذا الترويج والتعميم الذي انجرت اليه معظم وسائل الاعلام الغربية في التعامل مع هذه الاحداث ومع تداعياتها، من اسماهم الباحث الفرنسي فإنسان جيشير بالمثقفين الاعلاميين الذين انزلقوا من

الدرس الاكاديمي الرصين الى الكتابات التبسيطية التضليلية عن الاسلام، مستفدين في ذلك من سياقات التوتر والقلق والخوف التي تعيشه المجتمعات الغربية، لتتحول بذلك احداث 11 ايلول الى مناسبة تم توظيفها من قبل الاعلام الغربي في تشويه صورة الاسلام، وتمرير صورة مضللة عنه تقرنه بالعنف والارهاب، وذلك في سياق حملة ثقافية مدبرة ضد العرب والاسلام تبدأ من الكتب المدرسية لتمضي عبر معظم الوسائط المعلوماتية والاتصالاتية . وما يلفت الانتباه في التعاطي الاميركي مع هذه الاحداث، الطريقة الاعلامية التي اعتمدت في تغطيتها من خلال نشر وترسيخ ثقافة (اعلامية) اساسها ايضاح آثار العمليات الارهابية واخطارها وتعبئة الرأي العام ضدها بهدف تحصينه ضد الخطر الارهابي . الامر الذي استغلته الادارة الاميركية في تبرير غزو واحتلال بلدان اخرى بحجة الحروب الاستباقية او الوقائية، كما هي الحجة او الذريعة التي ساقتها الادارة الاميركية الحالية في حربها على العراق وافغانستان لتحقيق رغبة المحافظين الجدد . حيث بدأت الماكنة الاعلامية الاميركية حملتها التحريضية لتبرير حربها هذه بترويع الشعب الاميركي وبث الرعب والخوف في نفسيته، بتصويرها الاخطار الارهابية بالقادمة والمتوقعة الحدوث في اي لحظة اذا لم تكن هناك مبادرة عسكرية هجومية للقضاء على الارهاب في معقله قبل ان يزحف ويستهدف الولايات المتحدة، كما روجت لذلك الادارة الاميركية، التي استندت في ترويج حملتها بافتراض ان السيطرة على عقول الناس وافكارهم تكون عن طريق اخبارهم انهم معرضون للخطر، وتحذيرهم من ان آمنهم تحت التهديد .. ما يمكن ان يطلق عليه باستراتيجية الخداع الاعلامي، التي نجح من خلالها الرئيس الاميركي جورج بوش في شن حملة اعلامية واسعة لاقناع الشعب الاميركي

بضرورة خوض الحرب على العراق . اتساقا مع ما قاله دينيس جيت عميد مركز العلاقات الدولية في جامعة فلوريدا .. عندما يشعر الناس بالخطر يعجزون عن التفكير، ويمنحون السلطة للشخص المستعد لتوفير الآمان لهم، ولذلك استخدمت الادارة الاميركية الحالة الاعلامية ببراعة في التحذير من مخاطر الارهاب، وان بوش ومسؤولوا ادارته رددوا اكاذيب عديدة حول امتلاك العراق لاسلحة الدمار الشامل وعلاقة نظام صدام حسين بتنظيم القاعدة .. واوهموا الجميع بان الحرب ستكون عملية سهلة وسريعة للقوات الاميركية . ويرى جيت ان الادارة الاميركية استخدمت الوسائل الاعلامية للفت الانتباه من خلال بث بيانات صحفية واعلامية تحوي معلومات ترسخ استراتيجيتها، ونشر صور بالاحداث التي تريد واشنطن الترويج لها، وتوفير اكبر قدر من المعلومات لوسائل الاعلام "الصديقة" التي تؤيدها، اضافة الى اعتمادها على الدعايات الموجهة عن طريق قيام الحكومة الفدرالية بانتاج تقارير اخبارية تلفزيونية مجهزة مسبقا، بغرض الدعاية لاهدافها التي من بينها غزو افغانستان والعراق، ثم تقوم الجهات الحكومية (وزارتا الخارجية والدفاع) بارسال هذه التقارير الجاهزة الى شبكات الاخبار الكبرى التي تقوم بدورها ببيعها الى قنوات التلفزة المحلية التي يعتمد عليها المشاهد الاميركي العادي، والتي تبث هذه التقارير دون الاشارة الى مصدرها . ما يؤكد توجه الادارة الاميركية الى تبني سياسات ثقافية واعلامية للتصدي للارهاب من خلال الاستثمار في مجال الاعلام .

كذلك فقد تحدث دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الاميركي السابق عن ضرورة خوض حرب الافكار لتقويض اركان الارهاب من خلال بعث فضائيات تلفزيونية واذاعية موجهة للعرب، فضلا عن دعوة

الحكومات العربية والاسلامية الى ضرورة اصلاح منظوماتها التربوية والتعليمية في اتجاه القطع مع الانساق الفكرية والقيمية التي تساهم في تفريخ المجموعات الارهابية على حد قوله . تأتي هذه المغالطات رغم ان المقاربة الثقافية للارهاب هي اصلا من مسؤولية الفكر العربي والاسلامي، ومن ثم مسؤولية وسائل الاعلام العربية والاسلامية قبل ان تكون مسؤولية الفكر الغربي او السياسات الاميركية، فالعرب والمسلمون هم اول ضحايا الارهاب الذي عطل مسيرتهم التنموية وساهم في زعزعة آمن واستقرار بلدانهم وتشويه منظومتهم الفكرية والقيمية والاعلامية القائمة على التسامح والوسطية والاعتدال والاعتراف بالاخر .

الامر الذي يجعلنا نسلط الضوء على ابرز سمات المعالجة الاعلامية العربية للظاهرة الاعلامية من حيث تركيزها على الحدث اكثر من التركيز على الارهاب كظاهرة لها اسبابها وعواملها، حيث تتوارى في الغالب معالجة جذور هذه الظاهرة واسبابها العميقة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ما يجعلها تبدو وكأنها مجردة ومطلقة، حيث تسود في الغالب معالجة العملية الارهابية كحدث منعزل وليس كعملية تجري في سياق معين وتحدث في بيئة معينة . اضافة الى هيمنة الطابع الاخباري على التغطية الاعلامية العربية وتغييب التغطية ذات الطابع التحليلي والتفسيري، الامر الذي يؤدي الى بقاء المعالجة الاعلامية على سطح الحدث او الظاهرة ما يضعف قدرتها على الاقناع ويفقدها التأثير الفاعل والملموس . كذلك تفتقر وسائل الاعلام العربية الى كادر اعلامي مؤهل ومختص، قادر على تقديم معالجة مناسبة لهذه الظاهرة . الى جانب افتقارها الى الخبراء والمختصين في المجالات الامنية

والاجتماعية والنفسية والتربوية وعدم تعاونها مع المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية المعنية بمواجهة الظاهرة الارهابية .

وبعد ان اصبح الارهاب يمثل تحديا اقليميا ودوليا في ظل القناعات التي ترسخت حول فشل المقاربة الآمنية والعسكرية في محاصرته وتطويقه والقضاء عليه، بدت الامور منصبة على اهمية البعد الإعلامي وضرورة تفعيل الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في مواجهة هذا الخطر بسبب قدرتها على الوصول الى الناس والتأثير في عقولهم وافكارهم وقناعاتهم بأساليبها المتعددة والمتنوعة . لذلك فقد انصب الاهتمام في المواجهة الاعلامية للارهاب على مقاومة الفكر المتطرف والحيلولة دون تمكينه من التأثير في الرأي العام وتحديدا في شريحة الشباب، لضمان عدم تدفق أي دماء جديدة في شريان الارهاب بحيث يسهل محاصرته ومن تم تصفيته . وهو ما اكد عليه جلالة الملك عبد الله الثاني عندما ذكر بان " محاربة الارهاب لا تكون باتخاذ الاجراءات الآمنية المباشرة فقط، وانما من خلال استراتيجية شاملة لتعزيز ثقافة الحوار ونبذ ثقافة العنف "، ما يتطلب التركيز على طريقة صياغة الخبر بشكل يضمن ايصال الحقيقة ومراعاة عدم تأثيرها في نفسية المواطنين . كذلك فقد ظهرت اصوات تطالب بضرورة اعادة النظر في مضامين العمل الصحفي والاعلامي، واستبدالها بمضامين جديدة تركز على معالجة انتشار ظاهرة الارهاب والعنف، والتصدي لوسائل الاعلام التي تمارس ادوارا تحريضية مدمرة تهدف الى التأثير في عقول الشباب وتهديد آمن الشعوب والمجتمعات . الى جانب التصدي للمعلومات الهدامة التي تبرز على شبكة الانترنت ومعالجتها من خلال التشريعات الكفيلة باغلاق مثل هذه المواقع التي تروج للعنف وللافكار

المتطرفة، ولا سيما المواقع التي تنسب نفسها الى الاسلام وتقدم صورة مشوهة عن الدين الحنيف . وهناك من يتحدث عن وجود بعض مواقع الانترنت التي اصبحت بمثابة مراكز لتعليم صناعة المتفجرات وكيفية القيام بعمليات ارهابية، واصدار فتاوى ايضا لا تمت للاسلام بصلة وهي دخيلة عليه. ما يقتضي التفكير بفتح الفضاءات الاعلامية امام الفقهاء وقادة الفكر والرأي لابراز صورة الاسلام السمحة الداعية الى التسامح والوسطية والاعتدال والعدل والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن بعيدا عن الغلو والعنف، واعداد مخطط شامل للاتصال لمواجهة الحرب النفسية التي تشنها الجماعات الارهابية . الى جانب التفكير باهمية اقامة مركز او جهة حكومية رسمية مركزية لتوحيد الخطاب الاعلامي لرفع مستوى نوعية التوعية والتوجيه الاعلامي المنهج للمعلومات عن الارهاب، تكون على اتصال دائم بوسائل الاعلام للتحكم باي مادة اعلامية سلبية او مبادرة دعائية للارهاب قد تقدمها وسائل الاعلام في غفلة منها تحت وطأة المنافسة وتحقيق السبق الصحفي او الاعلامي . اضافة الى اقامة اتصالات ودورات وتدريبات مشتركة بين ممثلي الجهات الرسمية وبين ممثلي الاعلام على كيفية التعامل مع الحوارات الارهابية اعلاميا بما يضمن الصالح العام .. كأن يتم افتعال حدث ارهابي للوقوف على كيفية التعامل معه اعلاميا لسد الثغرات الاعلامية التي يمكن ان يستفيد منها الارهابيين . الامر الذي يتطلب الابتعاد قدر الامكان عن الاثارة في طريقة نشر الاخبار المتعلقة بالاحداث الارهابية، وضرورة اتخاذ الحيطة والحذر في ما يتعلق بنشر معلومات تتناول الاحداث الارهابية، والامتناع عن عرض او وصف الجرائم الارهابية بكافة اشكالها وصورها بطريقة تغري بارتكابها او تنطوي على اضفاء البطولة على مرتكبيها او تبرير دوافعهم او منح

مرتكيبيها والمحفزين عليها او المبررين لها فرصة استخدام البرامج والمواد الاعلامية منبرا لهم . وبهذا الصدد فقد ذكر جلالة الملك عبد الله الثاني بان " هناك بعض الكتاب في الصحافة وبعض المحطات الفضائية وبعض الذين يخطبون في المساجد، يمارسون الترويج لثقافة العنف وايجاد المبررات للارهابيين او تصوير جرائمهم على انها بطولات او نوع من الجهاد " . في المقابل لا بد من توسيع مساحة التغطية الاعلامية التي تشجع المشاركة الشعبية والاسهامات الطوعية من الافراد ومنظمات المجتمع المدني في التصدي لظاهرة الارهاب والتطرف وتوعية الناس باخطارها .، والتأكيد على اهمية توعية المواطنين بمخاطر الارهاب واثاره السلبية على الامن والاستقرار، بما يضمن تفعيل دور وسائل الاعلام في رفع مستوى الوعي بمخاطر الإرهاب . فعلى سبيل المثال، فقد اثبتت التفجيرات الارهابية التي شهدتها فنادق عمان عام 2006 اهمية ادماج المواطن الاردني في المنظومه الامنيه وتنمية حسه الامني وثقافته الامنية، بحيث يعي اهمية دوره في الحفاظ على امن الوطن واستقراره . خاصة بعد ان تبين ان كافة العاملين في الفنادق راودتهم الشكوك حول " الارهابيين " الا ان احداً منهم لم يبلغ الاجهزة الامنية عن شكوكه) . وهنا تبرز اهمية توظيف الاعلام من قبل الجهات الآمنية المعنية في بث رسائل اعلامية ارشادية وتثقيفية وتوعوية تنطوي على تطمينات وضمانات من شأنها تشجيع المواطن وحفزه وحثه على المشاركة في المنظومة الآمنية من خلال قيامه بتمرير أي معلومات من شأنها الاسهام في كشف خيوط جريمة وقعت هنا او هناك او الحؤول دون وقوعها اصلا . بحيث نضمن التخلص من بعض الأنماط والمفاهيم والتفسيرات الخاطئه والسلبيه التي تسيطر على ذهنية بعض المواطنين بصورة افرزت عندهم عقدة الخوف والرهبة والتردد عند التعاطي مع القضايا والمسائل ذات الابعاد الامنية. ما

يجعلنا نثمن عالياً قيام مديرية الامن العام بتكريس مفهوم الشرطة المجتمعية، الذي يستهدف كسب ثقة المواطن وتعاونه واشراكه في الشأن الامني، بما يعزز من وعيه الامني وثقافته الامنية .

كذلك لا بد من التقليل من جرعات المشاهد الدموية ومشاهد العنف والدمار والقتل، وذلك للحؤول دون اعتياد المشاهد على مثل هذه المناظر . دون ان نغفل اهمية التنسيق مع الاجهزة الامنية في ما يتعلق بنشر وقائع الاحداث الارهابية، مع الاخذ بعين الاعتبار الدراسة المسبقة لتأثير نشرها على الرأي العام، وذلك من اجل تفويت الفرصة على الارهابيين للاستئثار بالاضاءة الاعلامية التي يسعون اليها . . اضافة الى ذلك يجب التركيز على المسألة العلاجية للظاهرة الارهابية، لا على تغطية الحدث الارهابي، وضرورة الانتقال من التركيز على تفاصيل العمليات الارهابية وردود الافعال الرسمية والشعبية الى تقديم رؤى تساعد القارىء او المشاهد على تكوين راي وطني بحيث يتحول الى موقف ومن ثم الى سلوك ايجابي من خلال اعلام مهني فاعل يتحلى بالجماهيرية والصدقية .

وفي المحصلة لا بد من طرح فكرة تشكيل فريق من الخبراء الدوليين في مجال الاعلام، لبحث سبل التوعية الاعلامية المشتركة ضد مخاطر الارهاب، تمكينا للاعلام الدولي من بناء قاعدة عريضة من الرأي العام الدولي تحاصر الارهاب فكرا او جريمة وتعزز الجهود الرامية الى القضاء عليه .



الفصل الرابع

الإرهاب ووسائل الإعلام والاتصال

لَمّا كان موقع الإعلام في قلب سياسة الدفاع، فلا يمكن بعد اليوم النظر إلى وسائل الإعلام على أنها مجموع المشاهدين، بل مجموع الفعاليات التي تزداد أكثر فأكثر ضغطاً بثقلها على إدارة الأزمات. إنها شرعة حسنة النهج وظهر منذ البداية أنه يصعب الإعداد لها، أَوَلَيس من الضروري إذاً استخلاص بعض مبادئها؟

من خلال التطور المعاصر لوسائل الإعلام، لم يعد الإرهاب سلاحاً جديداً فحسب، بل أسلوباً للتواصل يقوم على إحداث صدمة نفسية وَجَني فوائد سياسية من خلالها. وانتشار الذعر يعني نزع احتكار الدولة للعنف المشروع ونزع مصداقيتها منها، وتحدّي عمل الديمقراطية وحتى الإسهام في تشويه عملها بجعله مدعاة للسخرية بغية إفقاده توازنه من خلال استغلال الصدمة التي لا يستهان بها والتي تحدثها وسائل الإعلام لدى الرأي العام.

ولّما كان الإرهاب حرباً سياسية تستعين باستراتيجيات غير مباشرة، فلا يمكنه كسب المعركة إلاّ على الصعيد السياسي.

وأهداف الاستراتيجيات المضادة للإرهاب ووسائلها (وحتى الصراعات ضد الجريمة والإجرام) سرعان ما ظهر أن لها حدوداً لأن الآثار النفسية للإرهاب تجاوزت الحدود قياساً إلى أضرار العنف وحدها. والإنسان الحديث، المعزول في مجتمع مدني جديد متعدد الجنسيات والمجرّد من روابطه الاجتماعية بالآخرين التي تضمن له هويته وحريته، قد أصبح فجأةً رَهينة، كما أصبحت الأحداث المعاصرة رهينة الإرهاب، وعلى العكس، يقول الواقع إن انعدام أصداء الأحداث بشكل كاف وغياب الرأي العام المتأثر بتلك الأصداء يُجرِّدان الإرهاب من كل تأثير تتأثر به الدولة ورجال أمنها .

وفي المقابل إن زعماء الدول الديمقراطية عليهم اتخاذ القرار اللازم حول سلوك وسائل الإعلام، ولا سيما التلفزيون والإذاعة، في أثناء حدوث أزمة إرهابية: فهل يجب خصوصاً قَطع البرامج لِبَثّ الخَبَر أو المغامرة بعدم بثه في حين أنه يجب استبعاد كل شكل من أشكال التساهل؟.

في هذه الأجواء الجديدة للذعر والهشاشة البالغة لدى المواطنين، يصبح الأجانب في أعين قسم كبير منهم، إرهابيين رغماً عنهم. بينما وجودهم المستمر في أوروبا، ولا سيما الأقليات العِرقية- الثقافية الطارئة أو الدخيلة، يجب أن يُعدّ من مصلحة الأوروبيين؛ فبوسع هؤلاء أن يستغلوا هذه الفرصة لإعادة تحديد كل شخص في هذا الحشد الاجتماعي للفصل بين الطيِّب والشرِّير والتمييز بين "الخير" و "الشر" الذي سرعان ما يظهر على السياسة الداخلية أو الحياة الدولية

لا ينفك المختصون والمتنبئون من كل الأصناف يمدون الرأي العام ويزودونه بتفسيرات لكل الطباع مهما كان أصل الإنسان، ويشرحون أسباب الإرهاب وتمويلاته. وثمة معاهد كثيرة للدراسات حول الأمن، والقضايا الدولية، والجغرافية السياسية، إلخ... التي تغذي وسائل الإعلام وتمدها بالعلماء المختصين الخاصين بها، وهذا شيء هام ومفيد ولا يمكن أن نجده دون فائدة.

وسائل الإعلام أكسجين الإرهاب:

شيئاً فشيئاً وخلال القرن العشرين، جعلت الحرب "الإعلامية" الحروب الدامية الضروس غير مجدية والواقع، أن خسارة الحرب الإعلامية تجعل الدعوة إلى حمل السلاح غير مجدية.

على هذا المسرح العملياتي الجديد الذي لم يسبق له مثيل، أصبحت الولايات المتحدة بوضوح هدفاً يحظى بالأولوية، لأنها - بوصفها أول قوة عالمية- هي أيضاً أول قوة إعلامية : إنها آلة رهيبة لترديد الأصداء. وهذا هو التفسير الأوّلي للعنف المفرط الذي شهدته في السنوات الأخيرة الأراضي الأمريكية.

فالدعاية، وليس الإعلام أبداً، هي أفضل شريك للإرهاب. لذا، فإن الإعلام يُحلِّل الوقائع بينما الدعاية أو الإعلان يُفسِّر دفعة واحدة أهداف الإرهاب وغاياته. وهكذا نجد أن الإرهابيين أصبحوا يستغلُّون بشكل منهجي ومنظم وسائل الإعلام؛ وهم يعرفون كيف يجنون أفضل النتائج من الانفعالات الطبيعية لدى الصحفيين ومن المسائل التجارية والتسويقية للصحافة .

وتُطبّق "أدمغة" الإرهاب حرفياً الأمثلة الداعية منذ القدم إلى الوثوق بالرأي العام. وإن مجرد الحديث عن الإرهاب عموماً أو حتى كظاهرة عنيفة يشكل دعاية موضوعية للإرهاب.

تُشكِّل وسائط الإعلام عندئذٍ الأكسجين الذي يمد الإرهاب بالحياة: فهي لا تُسبِّب وجود الإرهاب من العَدَم، لكن إدارة الظاهرة الإرهابية تُنسَب بقوّة إلى تلك الوسائل، ولا سيما أنها تلبي رغبتها في تفسير للظاهرة دون معرفة جميع المعطيات، أي التفاصيل عن تنظيم الشبكات، والمصادر الإيديولوجية والتمويلية.

وعلى العكس، إن بعض التقارير حول المناطق التي يعيث فيها الإرهاب فساداً (بسبب نقص اطِّلاع السلطات العامة دون شك) يركز أكثر على "الأضرار الجانبية" الناتجة عن السرقات والاغتصاب والتخريب بجميع أشكاله، بينما تتمنى العامة إعلامها عن الأمور

الأساسية، أي عن أصل العُنف المُعنَى وليس إعلامها عن "رَغوة الأمور". والنصوص التي تحدث عن الحقيقة مختلفة ومتنوعة دون شك، بما في ذلك على صعيد الإرهاب، لكن الصحفي لا يمكنه فَرض نَصّ معيّن لأنه يبدو له، ببساطة، قابلاً للتصديق، ولا يمكنه جَعل الناس ينقسمون بين الأخيار والأشرار من خلال إعداده نَصّاً هو الأكثر قُبولاً لدى الجمهور.

لا يمكن لأحد أن يَفلَت من "عالم وسائل الإعلام" أو "وسائل الإعلام العالمية" إلا إذا كان على الأقل منقطعاً تماماً عن العالم، ولا يمتلك جهاز راديو ولا تلفزيون ولا إنترنت. ومن خلال هذا السياق وهذه السلسلة يصبح الإرهاب ووسائل الإعلام شركاء يُمثِّلون زَوجاً جهنمياً لا يفترقان عن بعضهما البعض لا سيما أن الإرهاب قد أصبح عملاً تواصلياً تائهاً دون شك، لكنه مع ذلك قادر ومُستَتِر

يمكن في المقابل للإرهابيين استخدام وسائل الإعلام للاتصال بالسلطات، والحصول على معلومات من وسائل الإعلام ليحللوا بشكل أفضل الأساليب والطرائق اللازمة للضغط على خصومهم .

إنها جرعة الأكسجين الإضافية التي ينتظرها الإرهابيون من وسائل الإعلام، ولا سيما من الصحافة المختصة بالتحليل والبحث وهي من النوع الجامعي.

لا يقبل الرأي العام كثيراً، على الأقل، الإسهام في "مشهد" إرهابي يشترك في إنتاجه وسائل الإعلام والإرهابيون، في ذلك حيث الإرهابيون يُمثِّلون المَشهد والصحفيون هم مخرجوه بالضرورة. والواقع، أن الصحفيين لا يمكنهم التراجع؛ فيحاولون استغلال الحَدَث بشكل

مُتفـاوِت الحِـدّة، وينقـادون مـع العواطـف، لتحقيـق أفـضل النتـائج الممكنة... لا علاقة لوساطة الإرهاب بأنباء المحاكم

لَمّا كان معظم الدول قد أَدانَ جريمة الإرهـاب، فقد آلَ المَطاف بالـصحفيين إلى الوقـوف موقـف الإدانـة مـن الإرهـابيين كمـا تفعـل المحاكم. والواقع، إذا كان أسلوبا الإدانة متماثلين والحالة هذه، فإن النتائج غير ذلك تماماً ولا سيما أن العمل الإرهابي ليس جريمة فحسب، بل تعبير عنيف عن سياسة ما .

وبعودة الذاكرة إلى الأساليب التقليدية التي اتّبعتها تحقيقات الصحافة، نجد أن الصحفي يواجه صعوبات في الحديث عن الإرهاب دون الرجوع إلى الفكر المسيطر على الساحة ودون أن يسعى جاهداً لإثارة عواطف القارئ بانفعالاته.من الواضح أنه فيما يتعلق بالإرهاب، هناك منهجية - أو واجب أدبي- خاصة يجب تطبيقها على الصحفي، آخذين في الحسبان العديد من القيود، حتى وإن كان الصحفي، كما في الولايات المتحدة، يُسهم في اتخاذ قرارات في إدارة الأزمات. فالصحافة قبل كل شيء تتلقى في أغلب الأحيان مطالب المنظمات الإرهابية؛ وغالباً ما تخضع الصحافة لضغوط تلك المنظمات .

بعد ذلك، على وسائل الإعلام التأكد من مواقف السلطات العامة المسؤولة عن تحديد حقيقة تلك المطالب رسمياً .

ويمكن للصحفي طبعاً أن يقوم بتقصياته وحتى إبداء آرائه الشخصية، لكن لا ينبغي له في أية حال من الأحوال فَرض وُجهات نظره، ولا سيما أنه لا يزال هناك، على صعيد الإرهاب، أكثر من وسيط .

وفي هذا الصدد، إن تجاوز حدود الوساطة يجب ألاّ يؤدّي إلى تكوين أو نشر معلومات جانبية لدى الرأي العام؛ فالصحفي لا يعرف في الغالب شيئاً من الناحية العملية عن منفذي العمل الإرهابي، بل مهمته التي يسعى إليها جاهداً أن يتصدّر خَبَره الصحيفة ويتأكد من صحة وقائعه من نُظَرائه في داخل البلاد وخارجها.

لتتجنّب السلطات العامة أي هشاشة في موقفها، عليها إقامة اتصالات كافية مع وسائل الإعلام للتواصل معها، دون أن يؤدي ذلك إلى إعاقة عمل الدوائر السرية، إنما التحذير ما أمكن من السير في مسالك خاطئة .

أما من ناحية التعارض بين الإرهاب والمؤسسات الحكومية، والروح الديمقراطية وعولمة الإعلام، فلا يمكن منع وسائل الإعلام من التحقق من أعمالها، ولا حتى وضع حدود للإعلام ليقف عند الصحفيين الذين يُسمّون بـ (المختصِّين)، بل الأفضل مساعدتهم على إتاحة الفرصة للرأي العام للتخوف من طغيان المد الإرهابي بقوة وذكاء. فهل هي تلك، دون شك، الطريقة الأكثر ملاءَمة التي يمكن للصحفي من خلالها القيام بعمله للرد على الإرهابي الذي يود الدعاية لأعماله ويخشى المعلومة المحضة؟ لذا فمن غير الضروري تحويل الصحفي إلى مراسل حربي والسماح له بحمل السلاح واستخدامه لملاحقة الأعمال الإرهابية، بل كيف يمكن ضبط تلك المواقف وتسويتها عندما يتضح أن المقاتلين يُمثِّلون صحفيين ممتازين في هذه المناسبة؟ الإنترنت يُتيح للإرهابيين الاستغناء عن وسائل الإعلام التقليدية: قدّمت شبكة الإنترنت وسيلة اتصال للإرهابيين بأعضاء الشبكة اتصالاً مباشراً من أجل أن تحظى أعمالهم بالتمجيد والمديح أو لِبَثّ

الدعايات لهم فاتحين آفاقاً جديدة، وهي مُدمِّرة على صعيد الطاقة أو على صعيد التمويل، فعلى سبيل المثال إن استخدام البرامج الخاصة يُتيح تخريب الشبكة (بوساطة الفيروسات وأحصنة طروادة، إلخ...) أي تخريب قاعدة المعطيات الأمر الذي يضرّ بأمن الدولة، وهذا يزرع الذعر بين السكان، ويؤثر في القرارات الحكومية من أجل بلوغ أهداف سياسية.

وفي مثل هذه الظروف، يجب عدم استبعاد بعض الحقائق عن بعض الدول الإرهابية عندما يستخدم قادتها السياسيون بُنَى الدولة، بما في ذلك جميع وسائل الإعلام (في الداخل كما في خارج الحدود) لفرض إرادتهم وإلغاء الدور الحقيقي أو المتوقع لخصومهم.

إن سهولة الولوج إلى أنظمة الإعلام تُتيح كَشف نقاط ضعف خَطِر وهشاشة الشبكات التي لا يمكنها أبداً حماية نفسها كلياً، ولا سيما أن الأغلبية الساحقة من الاتصالات العسكرية والشرطية (الخاصة برجال الشرطة) والقضائية، على سبيل المثال، تجول فيها العمليات الخاصة وتسرح وتمرح. والتوجهات الإجرامية فَرَضت اتخاذ دفاعات جديدة، لكن هذه الدفاعات غير كافية إطلاقاً ولا سيّما حيَال "إرهاب ضائع" أي لا يمتلك قاعدة وطنية محددة وآثاره تتعاظم جراء قدرة وسائل الإعلام والصور التي تُبثّ آنياً لحظة حدوثها.

إذا كان الشك وانعدام الثقة هما من العناصر المشكلة للعالم حالياً، والمتميز بنهاية نظام سياسي وعسكري موثوق فيه، فهذا يرجع دون شك في جزء كبير منه إلى أنه نتيجة للإرهاب المحيط بنا . وإذا كان الصراع المضاد للإرهاب يتطلب المحافظة بدقّة وَصرامة على سريّة عمل عناصر الدولة، فهذا لا يفرض بالضرورة التكتّم حول بعض

الوسائل المستخدمة ونتائج التقصيات وإخفاءها عن الرأي العام الذي يجب أن يطّلع عليها، وإلاّ أمكن للمواطنين الشعور بالهشاشة المضاعفة، أولاً من ناحية ابتزاز الإرهابيين، ومن ناحية ثانية غياب اتصال المواطن بالسياسيين. وعندما يبدو، على سبيل المثال، أن المسؤولين يتفاوضون سرّاً مع الإرهابيين تحدث أمور معاكسة تماماً، فالمواطنون يكفّون عن بذل أي جهد يرمي إلى فهم الحقيقة. وكيف يمكنه أن يكون غير ذلك؟.

لِنَنسَ أطباء القرون الوسطى الذين كانوا يتحدثون باللاتينية للتأثير في مرضاهم وزُبُنهم. فضرورة فهم الأحداث الأكثر سعادة في الحياة، شأنها شأن الأكثر تعاسة وشُؤماً، هي في كل الأحوال ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مِنّا.

إذا كنا نقصد السياسيين والمثقفين الجامعيين، ورجال الشرطة والصحفيين والكتّاب أو المعلّقين من كل صنف ونوع، فلا أحد يمكنه الاستئثار بالحقيقة حول ظاهرة الإرهاب. وفي المقابل، إن كل واحد فينا معرّض لذلك المد الإرهابي بشكل خاص، ومن حَقّ جميع الناس امتلاك العناصر اللازمة التي تتيح لهم محاولة فهم طبيعة هذه الظاهرة العالمية وأبعادها.

الفصل الخامس

الإعلام والإرهاب: - البنية الفكريّة - الثقافة البديلة

يمثّل الإرهاب في اللحظة التاريخية الراهنة تحديًا عالميا وإقليميا تعكف مراكز القرار البحثي والسياسي على دراسة تجلياته وأسباب نموّه وطرق مواجهته .

وقد تراوحت المقاربات لظاهرة الإرهاب وطرق مواجهتها بين المقاربة الأمنية والسياسية والمقاربة الاقتصادية والاجتماعية، والمقاربة الثقافية والإعلامية .

وغنّي عن البرهنة القولُ إن المقاربة الأمنية والعسكرية لهذه الظاهرة قد فشلت في القضاء عليها، أو حتى في محاصرتها، فبعد أكثر من ثلاثة أعوام من الملاحقة العسكرية والأمنية الدولية والسياسات الامريكية التي استهدفت تجفيف المنابع المالية للمجموعات المتّهمة بالإرهاب، ازدادت مجموعات العنف في العالم، وتعدّدت ساحاتها، وبدا تنظيم القاعدة الذي يُعَدّ أبرز التنظيمات الراديكالية وأوسعها نشاطا وأكثرها استهدافا لعمليات المواجهة، رغم عمليات المحاصرة لأنشطته وقياداته.. بدا قادرا على المُناورة والمُرَاوغة، حيث فشلت القوّات الأمريكية في القبض على زعيمه، كما بدا قادرا على توسيع رقعة نشاطه، وتغيير أساليب عمله، وإرباك خصومه في العديد من المناسبات، وأكثر شراسة في تأكيد حضوره وفرض التعامل معه خصوصا مع انتشار اسلوب ذبح الرهائن بعد خطفهم، او مساومة دولهم على تحريرهم، وهو ما يحقّق لهذا التنظيم وللحركات الراديكالية المماثلة المزيد من المكاسب السياسية والأدبية التي توظفها في ساحات الصراع الدولي .

كما أن العديد من الشكوك ثارت حول مدى فاعلية المقاربة الاقتصادية والاجتماعية لظاهرةٍ لا جغرافيةَ محدّدةً لها، ومع فصائل

ومجموعات متحركة تقودها قيادات قادمة في الغالب، من أوساط مُتْرَفة .

وقد بدأت الادارة الامريكية، التي تقود الحملة الدولية على الارهاب، تعي هذه الحقيقة، حيث عبّر وزير خارجيتها رامسفيلد عن ضرورةِ خوض "حرب الأفكار" »لتقويض أركان هذه المجموعة، واتّجهت الادارة الأمريكية إلى رسم سياسات ثقافية وإعلامية للتصدّي للإرهاب، ومن ذلك الاستثمار في مجال الإعلام، ببعث فضائيات تلفزيونية وإذاعية موجّهة للعرب، فضلا عن دعوة الحكومات العربية إلى إصلاح منظوماتها التربوية والتعليمية في اتجاه القطع مع الأنساق الفكرية والقيمية التي تساهم في تفريخ المجموعات الإرهابية .

والواقع أن الاقتصار على معالجة واقعة الإرهاب من خلال واجهة الحدث الأمني والسياسي اليومي لا يمكن إلاّ أن تصعّد من وتائر ردود الفعل غير المدروسة للحركات الراديكالية وإفشال كل السياسات الذاهبة إلى تطويقها، لذلك يقتضي هزم المشروع الإرهابي، في تصوّرنا، الذهاب إلى مصادره الثقافية والفكرية قصد الوقوف على اضطراب بُناها وتناقضاتها ولا تاريخيتها، وانغلاقها، كما الوقوف على عجزها عن ترتيب مستقبل الجموع التي تدّعي الحركات الإرهابية النطق باسمها وذلك قصد تقويضها بنشر ثقافة بديلة قادرة على تحفيزنا للخروج من مآزقنا الحضارية الراهنة .

إن المقاربة الثقافية للإرهاب هي أساسا مسؤولية الفكر العربي والإسلامي وبالتالي مسؤولية العاملين في الحقل الإعلامي من مفكّرين وباحثين وكتّاب، قبل أن تكون مسؤولية الفكر الغربي أو السياسات الأمريكية. فالعرب والمسلمون هم أولى ضحايا هذه الظاهرة، حاضرا

ومستقبلا، من جهة تعطيل مساراتهم التنموية ومصادرة مستقبل أجيالهم، وزعزعة استقرار بلدانهم، أو من جهة تشويه منظومتهم العقدية الإسلامية القائمة على حرية التديّن، ومسؤولية الفرد، وعلى التسامح والاعتراف بالآخر.

وتستوجب مقاربتنا الثقافية لظاهرة الإرهاب، الانطلاق من ملاحظتين أساسيتين، تخصّ الأولى مدى هيمنة موضوع الإرهاب على المشهد الاتّصالي العربي والدولي، وتخص الثانية مدى تعاظم سلطة الإعلام في الفترة الراهنة. كما سنعمل في مرحلة ثالثة على تقديم المحدّدات الأساسية لثقافة الإرهاب، قبل ان نقترح بعض ملامح ثقافة تنويرية بديلة للتصدّي لهذا البلاء العربي والعالمي.

1- هيمنة موضوع الإرهاب على المشهد الاتصالي العالمي:

تحوّل موضوع الإرهاب بعد إحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى تيمة قارّة في الإعلام العربي والدولي. ومع أن التطرّف الإسلامي ليس بالجديد على الساحة الدولية، وعلى الرّغم من أنّ مسرحه الأساسي هو البلدان العربية نفسها، إلاّ أن التحليلات والتعليقات السياسية والكتابات الصحفية قد ذهب أغلبها تحت هول صدمة الحدث المثير إلى تحميل ثقافة بأكملها، ومنظومة عقدية بعينها مسؤولية الزلزال الذي استهدف بُرْجي نيويورك. ومنذ الأيام الأولى للحادث الإرهابي، ان لم يكن منذ مرور الساعات الأولى على حدوثه انزلقت الرؤية الغربية من المقاربة السوسيولوجية والاستراتيجية للإسلام إلى المقاربة الثقافية التي رأت في الإسلام كلّه، لا في أصولياته المنبوذة ككل الأصوليات في الأديان والثقافات الأخرى، كتلة لا تاريخيّة منغلقة لم تُنْتج إلاّ قمع الحريات الفردية والعنف والإرهاب والتسلّط، ولم تَقُدْها صدمة الحداثة

إلاّ إلى الحقد على الغرب وقيمه ومكتسبات حداثته، وهو ما يفسّر حسب هذه القراءة الثقافوية ما نراه من صدام بين الشرق والغرب، كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إحدى مظاهره الدامية .

وقد ساهم في هذا التبسيط والتعميم الذي انجرّت إليه أغلب وسائل الإعلام الغربي في التعامل مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومع تداعياتها من أسماهم الباحث الفرنسي فإنسان جيشير بالمثقفين الإعلاميين الذين انزلقوا من الدرس الأكاديمي الرصين إلى الكتابات التبسيطية التضليلية عن الإسلام مستفيدين في ذلك من سياقات التوتر والقلق والخوف الذي تعيشه المجتمعات الغربية، منذ الثمانينات أو ما يمكن تسميته بالرّهاب الإسلامي Islamophobie وهو رُهاب قائم على المماهاة بين الإسلام والإرهاب ممّا سمح بتداول موضوعة الإرهاب في المشهد الاتصالي الدولي، كما ساهم في هذا الحضور الإعلامي الطاغي لهذه الموضوعة العديد من الخبراء الاستراتيجيين الأمنيين مثل الفرنسي ألكسندر دي فال صاحب كتاب "الاسلاموية والولايات المتحدة تحالف ضدّ أوروبا» الذي يحرص على نشر أعماله على المواقع الإسرائيلية أو المؤيّدة لإسرائيل على شبكة الانترنيت، وروني مارشان صاحب كتاب: «فرنسا وخطر الإسلام» وغيرهم من الباحثين الذين لا يخفون علاقاتهم بدوائر الخبراء العسكريين والأمنيين، كما لا يخفون كراهيتهم للإسلام، وتقديمه كنقيض للنموذج الغربي فكرًا وقيمًا ومؤسسات .

ولاشكّ ان هذا الخطاب التبسيطي والحاقد على الإسلام قد شرّع لغُلاة الأصولية الإسلامية الردّ على هذا الخطاب التهجّمي كما سهّل عليهم اختراق الحركات والتيارات الشعبية وأجيال من الشباب

دأبت على التعلّق برموز الماضي استعاضة عن بؤس الحاضر، وهي بسبب افتقارها للوعي التاريخي تجد في التطلّع إلى الوراء بديلا عن المستقبل. وقد سهّلت العديد من وسائل الإعلام العربية للحركات الإرهابية تمرير خطاباتها المنغلقة والمشرّعة للعنف بدعوى تقديم المعلومة أو الرأي الآخر ممّا يحمّلها مسؤولية كبرى في رعاية الإرهاب ونشره وتحقيق شروط ذيوعه واستمراره .

كما ان مواصلة تعرّض الشعب الفلسطيني للمجازر الإسرائيلية وقيام بعض فصائل المقاومة بالرد عليها بالعنف ثمّ انفجار دائرة العنف والفوضى في الساحة العراقية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، فضلا عن مطاردة بن لادن بعد القضاء على حكومة طالبان، كلّ هذا قد ساهم في جعل موضوع الإرهاب موضوعًا قارًا في الخطاب الإعلامي العربي والدولي، وفي الدعاية بشكل مباشر أو غير مباشر للحركات الإسلامية المتطرّفة وتقديمها كممثلة شرعية للثقافة والدين الإسلامي، مما ضاعف من موجات الكراهية والعداء للعرب والمسلمين في الغرب، ومن مُمَاهاته بين الإسلام والإرهاب وخسارة جُزْءٍ من الرأي العام الدولي الداعم للقضايا القومية العربية العادلة .

وما يمكن ان نخلص إليه من هذه الملاحظة الأولى ان التغطية الإعلامية المتواصلة للأنشطة الإرهابية وعرض مواقف أصحابها قد عزّز الاستخدام المتداول لأساليب العنف والاغتيال، وسهّل على الحركات الإرهابية - وما يعنينا منها هنا هو الحركات الإسلامية المتطرفة - تمرير خطاباتها مستفيدة في ذلك من قيم الغرب في حرية الرأي بعد ان مكّنها هذا الغرب ذاته، قبل أحداث 11 سبتمبر، من فرص تنظيم شبكاتها ودعم وسائلها، وبعد ان قدم لقادتها الحماية السياسية لتنفيذ

مشاريعهم الظلامية التي تستهدف ضرب خطوات مجتمعاتها الحثيثة نحو القضاء على الجهل والفقر والتبعية .

2ـ تنامي سلطة الإعلام والاتصال :

لقد غيّرت ثورة الاتصالات الحديثة المشهد الإعلامي والاتصالي العالمي حيث تعدّدت القنوات الفضائية وتعمّمت شبكات الانترنيت وتطورت وسائل الطباعة الحديثة بحيث بامكان صحيفة واحدة ان تطبع في القارات الخمس في نفس اللحظة وبذلك اتسع تأثير وسائل الإعلام وتعاظم بشكل لافت، كما ان انهيار المنظومة الاشتراكية واستفراد مجمّعات متكتلة اقتصادية ومالية بالسوق العالمي والولايات المتحدة بالقرار السياسي الدولي، كل هذا قد جعل وسائل الإعلام تتخلى تدريجيا عن وظيفتها التقليدية كسلطة رابعة مضادّة، لتتحوّل إلى سلطة خامسة، بل إلى سلطة أولى كما يقول أحد الباحثين هو الدكتور المازري حدّاد: و"هذه السلطة الإعلامية المخيفة بقوّتها والمرعبة بهيمنتها لا تواجهها أية سلطة مضادة ناجعة ولا أي نفوذ قادر على تقويمها وإصلاحها وتأديبها ومعاقبتها عندما تخطئ"«، كلّ ذلك يتمّ باسم حريّة الإعلام، في حين أنه، كما يضيف الدكتور حدّاد: "بامكان صحفي صغير مبتدئ في المهنة ان يحطم حياة رجل دين، ويمكن له ان يُحْدثَ انهيار مؤسسة ويمكن كذلك للصحفي ان يكون محرضا على أبشع وأشدّ حملات الدعاية ضررًا».

ان هذا التحول الكبير في وسائل الإعلام من سلطة رقابة على الحكومات وضمير للمجتمع، إلى سلطة نفوذ غير محدودة قد تم بسبب نسيج العلاقات المتد الذي أصبح يربط القائمين عليها وإعلامييها بمراكز صنّاع القرار السياسي والعسكري والاقتصادي وما يمليه

هؤلاء من سياسات وتوجهات إعلامية تقع في نطاق نفوذهم ومصالحهم واستراتيجياتهم ومن ضمنها وضع وسائل الإعلام والاتصال في دائرة تأثيرهم .

وفي رأي الأستاذ ماتلار أصبحت وسائل الإعلام، في ظل تشابك المصالح وهما أكثر مما هي حقيقة، لأنها فقدت استقلاليتها وموضوعيتها، وتحولت، باستثناء القليل منها، إلى منابر للدعاية ولتضليل الرأي العام الوطني والدولي .

وتعتمد عملية التضليل هذه العديد من التقنيات المعروفة والمستحدثة مثل تسريب المعلومات الخاطئة، والإشاعات الكاذبة والتلاعب بالمصادر وبالصور، والمعالجات الصحفية المتحيّزة وعمليات الأبلسة، والإيهام بالموضوعية وغير ذلك من التقنيات التي تواتر استعمالها من قبل وسائل الإعلام الغربية وأخذتها عنها بعض الفضائيات العربية، في تغطية الحرب على العراق، أو الوضع في الأراضي المحتلة أو في التهجم على بعض الحكومات العربية، وخاصة من قبل بعض الجمعيات غير الحكومية الأجنبية التي تدافع عن مشاريع ظلامية باسم منظومة حقوق الإنسان .

ولقد تفطن العديد من المفكرين والإعلاميين الغربيين إلى هذا الانحراف في وظيفة وسائل الإعلام وإلى تواطئها مع سلطة المال والسلطة السياسية وإلى دورها التضليلي الكبير وعبّروا عن تخوفهم من هذه السلطة التي لا تحدّها أية سلطة أخلاقية ولم تعد تحكمها أخلاقيات المهنة، ومن هؤلاء المفكرين نجد المفكر الفرنسي ريجيس دوبريه الذي يقول: "ان الصحفيين يخيفونني ويربكونني.. أني أخاف من السلطة التي يمتلكونها، بمعنى آخر إنني أحسّ بذات الشعور الذي يمكن أن نحسّه

أمام محققي التفتيش في القرن الثالث عشر أو أمام أساتذة القرن الثامن عشر.. إنهم أناس قادرون على إدانة وتكفير وتحطيم بشر بالكلمات أو بالصور» .

ولا شكّ أننا نحتاج إلى وضع هذا الواقع الجديد نصب أعيننا ونحن نتحدث عن دور الإعلام العربي في مواجهة التحديات الراهنة، وعلى رأسها ظاهرة الإرهاب التي تقودها الحركات الإسلامية المتطرّفة التي فشلت في تطوير حُدُوسِ مفكري النهضة الأولى الذين كانت تشغلهم قضية التقدم والأخذ بأسباب التطوّر، فقدمت لنا خطابا هزيلا موصولا بزمن لا علاقة له بمتطلبات زمننا، ولكنها نجحت في توظيف وسائل الاتصال الحديثة، ومن ضمنها بعض الفضائيات العربية، لنشره والحصول من خلاله على بعض التعاطف الضمني لدى فئات شعبية بسبب شعورها بالقهر والغبن والظلم، وبازدواجية المعايير في التعامل مع القضايا العربية. ولعلّ خطورة هذا التأييد والتعاطف ان الشباب، بحكم تعليمهم وفوْرة سنهّم، هم أكثر التقاطا للأدوات النظرية والتعبويّة للإرهاب، وأكثر ضحايا عمليات التحشيد والتجييش، واحتفاءً بثقافة الموت المشهدية، ولا أدلّ على ذلك من الحوادث الإرهابية التي جرت خلال الأيام الماضية بالقاهرة .

3ـ محددات ثقافة الإرهاب:

تقتضي الموضوعية العلمية ان نتحدّث عن الإرهاب الإسلامي بالجمع لا بالمفرد، لأن التيارات التي تدعو إليه وتمارسه تيارات متعدّدة، وبين مختلف فصائله معاركُ حول تأويل النص، واختلاف حول التركيز على معركة الداخل والخارج، وتسفيةٌ لمقولات هذه الحركة أو تلك، ولكن هذه التيارات على اختلافها تشترك في أربعة محدّدات هي التالية:

أولاً: النظرة الاقصائية إزاء المختلف الداخلي والخارجي

غالبا ما تكون هذه الحركات المتطرّفة قد نشأت خارج الحركات والأحزاب التاريخية وأطرها، وهي تعتبر هذه الأخيرة مهما كانت درجة مقاومتها للحكومات أحزابا وحركات متهاونة، غير ذات فاعلية في محاربة الخصم، الداخلي والخارجي، وهي تعمل حسب تقسيمة "دار الإسلام"» و"دار الحرب"«، فأهل "دار الحرب"« في خطابها، دار الكفار والملاحدة، وتقتضي الجهادية محاربتهم لا فقط في الداخل عندما تأتي قوّاتهم غازية مهيمنة، بل محاربتهم في مواقعهم ودولهم. ولا نحتاج إلى الوقوف طويلا عند هذه التقسيمة التي تجسّد طابعُها المركّز والعنيف في خطابات بن لادن ورسائله إلى الإدارة الأمريكية .

أما عن إقصائها للمختلف الداخلي فيتمثل خاصّة في احتكارها التعبير عن مصالح الأغلبية أو الجماعة لأن هذه الجماعة جاهلة ومغتربة ومُضلّلة إمّا من الحداثة الغربية أو من طرف الأحزاب العلمانية التي حكمت البلدان العربية خلال العقود الأخيرة، ويقتضي تحرير هذه الجماعات تعبئتها إيديولوجيا وشحنها ضدّ أعداء الخارج وأعداء الداخل من "الحكومات المستبدّة»" وتتمّ هذه التعبئة من خلال الترويج للشعارات ولخطابات الدعاية والتضليل وعبر أسطرة الماضي وشحن النفوس بالكراهية ودعوتها إلى التمرّد خارج أطر الشرعية القانونية والسياسية، وفي اتجاه الحلول وردود الفعل الاطلاقية والراديكالية، في حين ان الواقع، هو أشدّ تعقيدا من تصوّراتهم .

ومن المفارقات ان بعض هذه الحركات تذهب في نظرتها الاقصائية إلى حدّ رفض مثيلاتها من الحركات الإسلامية المتطرّفة لأنها مختلفة عنها مذهبيا، حيث يرفض الشقّ القاعدي السنّي في العراق مثلا

التيارات الشيعية وبذلك أصبحت ساحة الصراع العراقية أكثر انشقاقا واحتِدَامًا. ولا نحتاج إلى دليل لإبراز مواقف الحركات المتطرّفة الإقصائية للمرأة، فَفِقْهُ التحريم والتجريم الذي تؤسّس له هذه الحركات حافلٌ بما يُخرج المرأة العربية المسلمة من دائرة الإنسانية، ومن دائرة التكريم والتبجيل التي نزّلها ضمنها النصّ القرآني، كما يُخرجها من دائرة التجربة الحضارية التاريخية للمرأة العربية التي ساهمت عبر التاريخ في حمل قيم الدين ورعايتها، كما دافعت عن الأوطان وكرامتها. والسجون الإسرائيلية التي تعجّ بالنساء المناضلات الفلسطينيات خير دليل على ذلك.

ولعلّه من المفارقة أيضا ان بعض المنظمات غير الحكومية الغربية خاصة، تدافع باسم حقوق الإنسان عن «حق» هذه الحركات في التعبير عن أطروحاتها الظلامية الماضوية ومنها إقصاء المختلف وسلب المرأة حقوقها الأساسية التي نصّت عليها المواثيق والتشريعات الدولية التي تمثل إطارا مرجعيا قانونيا للمنظمات الحقوقية.

ثانيا: فكرة الحاكمية

لقد برزت فكرة الحاكمية في النصف الثاني من القرن العشرين في كتابات أبي الأعلى المودودي وسيد قطب ثمّ تلقفتها بقية الحركات الإسلامية التي مثل مشروع إقامة الدولة الإسلامية الدينية مشروعها المركزي. ويقوم المشروع بدوره على مفارقة كبيرة، فهو من ناحية يتكلم باسم الجموع المقهورة ويستمد منها شرعية وجوده، ولكنه يغيّبُ تماما فكرة سلطة الشعب، أو - بتعبير هذه الحركات - الجمهور أو الجماعة، فلا سيادة للشعب ولا دور للجماعة المؤمنة في حمل أمانة الإسلام، بسبب الجاهلية التي يعيش فيها هذا المجتمع، وبسبب

وقوعه تحت تأثيرات الحضارة الغربية، واستلاب الأنظمة الحاكمة وإيديولوجياتها الاشتراكية أو القومية أو الليبرالية.. وغنيٌّ عن القول أن الحركات الإسلامية بتضحيتها بمرجعية الأمة، وسيادة الشعب تضحّي بفكرة الديمقراطية التي تكفل قيام الحق والقانون وترسيخ مبدإ المواطنة كأساس للتعامل بين جميع أطراف المجتمع والسلطة، مفهوما مركزيا في الممارسة السياسية المعاصرة ومفتاحا أساسيا من مفاتيح الإصلاح والتحديث السياسي والتنمية الشاملة .

ولا شك أن ما شهدته بعض الحركات الإسلامية ومن ضمنها الجماعة الإسلامية في مصر، أخيرا من تراجع عن تجاهل المشاركة السياسية للشعب، من حيث تمييز هذه الجماعة بين المرجعية العليا الدينية وبين مرجعية السلطة التي تدير شؤون المجتمع، وبالتالي إقرارها بأن مرجعية الشريعة لا تتنافى مع الديمقراطية وآلياتها الإجرائية من انتخابات وغيرها.. لا شكّ أن كل ذلك مثّل اعترافا صريحا بالقصور النظري لفكرة الحاكمية ولا واقعيتها، وعدم استيعابها للتجربة التاريخية الإسلامية حيث لم تكن الدولة الدينية براديغما للحكم، بل كان الدّين مكوّنا من مكوّنات الهوية والثقافة والحراك الاجتماعي والتاريخي .

وقد أدّى مفهوم الحاكمية الذي يقوم على فكرة إعادة الدين إلى المجال العمومي، والخضوع لأحكامه، وتطهير المجتمع الإسلامي من كلّ شوائب الحداثة الغربية إلى تعميم فكرة الجهاد في الداخل والخارج، وصولا إلى فكرة "الولاء والبراء" التي انبنت عليها خطابات بن لادن .

ثالثا: النزعة الماضوية المعادية للحداثة

يمثل التماهي المستحيل مع الماضي ممارسة لصيقة بالفكر السلفي المتطرف سواء في علاقته بالنص الديني تأويلا، أو في مواقفه من شكل إدارة المجتمع الإسلامي الذي يطمح إلى تحقيقه، فعلى مستوى قراءة النصّ الديني وتأويله كمرجعية أساسية للحركات الإسلامية نجد أنماطا، كما يقول الدكتور عابد الجابري، من "التكييف الايديولوجي" (5) للآيات القرآنية، ومن ذلك سكوت تلك الحركات ومنظريها عن مناسبات الآيات، واللجوء الى التعميم وتوظيف مسألة النسخ والعموم. وضمن هذا المنظور قرئت يات القتال. ووظفت توظيفا سيئا في ترتيب العلاقة مع الآخر، وتلك التي تحدّد الموقف من المرأة كما هو الشأن في قضية تعدّد الزوجات والطلاق وغيره. وهذا التوظيف - كما يقول الدكتور الجابري – "يخضع لما تودّ هذه الحركات تقريره، وليس لما يقوله أصحاب الاختصاص من مفسّرين وأصوليين وفقهاء» (6) ولا شك ان هذه الممارسة التأويلية تقطع مع اجتهادات روّاد النهضة الأوائل مثل محمد عبده وعلي عبد الرّازق وقاسم أمين، والطاهر الحدّاد او الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره للقرآن الذي أعطاه عنوانا دالاّ وهو "التحرير والتنوير" .»

ان الفكر المتطرف الذي يختزل نفسه في الذاكرة ويمارس القمع الذاتي للعقل في حركته لفهم الماضي والحاضر، والمستقبل وادراك الجدلية القائمة بين هذه اللحظات الزمنية.. ان هذا الفكر، يغترب في الواقع، عن لحظته التاريخية الراهنة، وهو يعجز عن ادراك النصّ الديني في علاقته بالاجتماعي المتحرك والتاريخي المتغيّر، وعندما

يحوّل الشريعة، بمقاصدها الروحية العميقة الى خطاب غيبيّ لا يخرج عن ثنائية الخير والشرّ، والحلال والحرام، والايمان والإلحاد.

وقد أهدر هذا الخطاب بانغلاقه على النصّ في ثباته وسكونيته خارج تطور المعرفة ومناهجها، وخارج مقتضيات العصر وحاجاته، فرصا لمحاورة الحداثة ومعايشتها كما حاول ذلك مفكرو النهضة عندما اجتهدوا في الوصول الى المسك بمفاتيحها الأساسية كالتعليم، وتحرير المرأة، وارساء المشاركة السياسية من خلال ما بدا لهم من أشكال التنظيم السياسي الحديث لمؤسسات الدولة في عصرهم.

والواقع ان تخلف مؤسسات التعليم الديني في معظم البلدان العربية - ولعلّنا نجد استثناء وحيدا في تونس التي نجحت في إقامة منظومة تربوية حديثة ساهمت في تطوير الدراسات الاسلامية بجامعة الزيتونة - وأسنطرة السلف وتقديسه لم يساعدا أحدا من الحركات الاسلامية المتطرفة او حتى التي تعدّ «معتدلة» في عملية الاستيعاب هذه خلال العقود الاخيرة، ولا التسلح بالادوات المعرفية الكفيلة بالوقوف على ممكنات النصّ الديني ودلالاته اللامتناهية، وقراءته من خارج هذه الرؤية السكونية الايديولوجية التي تكرّس عطالة العقل، وتقدّم إسلاما غير الذي نعرفه - كما يذهب الدكتور السيد رضوان - سواء في نشأته الأولى، أو في تطوّر رسالته واتساع تجربته وتنوّعها وتجرّدها عبر المكان والزمان.

رابعا: ان هذا الفكر الذي لا يحتمل المختلف دينيا وثقافيا

وحتى مذهبيا والذي يرى في الخروج عن مألوفه وموروثة خروجا عن الدّين والملة.. يعيش هذا الفكر - وهذا هو المحدّد الأخير للإرهاب - ضمن تصوّر انغلاقي على المجتمع والدولة حيث يشتغل حسب آليات

التحجير والتكفير التي طالت صانعي الحياة والإبداع، وتكفير المجتمعات الإسلامية باسم الإسلام الذي كان حريصا في نبذه للإكراه وتبجيله للإنسان وتكريمه، وفي دعوته للتضامن بين أبناء الإنسانية الواسعة، أبناء الشعوب والقبائل حسب التعبير القرآني، من رجال ونساء .

4ـ الثقافة البديلة :

يقول المفكر الغربي تودوروف في كتابه الجديد «الأمل والذاكرة» ان الشمولية هي أسوأ المنتجات التي انفرد بها القرن العشرون. ومأساة الشمولية هي في تعويلها على القوّة والعنف .

وفي الواقع نجح الغرب في تصفية أنظمته الشمولية، فيما شهدت نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي تعاظم الحركات الإسلامية المتطرفة في جغرافيتنا العربية الإسلامية. ومأساة هذه الحركات أنها، في انغلاقها وراديكاليتها، وعنفها المشهدي تسحق الأبرياء أكثر مما تسحق المذنبين وأنها تضحي دائما بإنسان الحاضر أملا وتوجها نحو تحقيق مستقبل أفضل، لأنها في الواقع لا تمتلك الأدوات المعرفية لتحقيق هذا المستقبل الذي تراه في الماضي بل أنها تعجز حتى عن استكناه المعنى الحقيقي لبعض اللحظات المؤسسة والفاعلة لهذا الماضي .

ان مسلسل الخسائر التي أحدثتها هذه الحركات في بلداننا العربية والإسلامية يقتضي منا اختراق ثقافة هذه الحركات التي تفكر بالماضي أكثر مما تفكر بالحاضر والمستقبل، والتي تحتفي بالموت أكثر مما تحتفي بالحياة، والتي تتكلم باسم الجماعة فيما تشكّك في أهليتها وفي مشروعيتها الدينية وبالتالي السياسية، فالمجتمع جاهل ومغترب وبالتالي لا يمكن لهذه الجماعة المغتربة في رأي تلك الحركات أن تكون شريكا في ممارسة السلطة كما تدعو إلى ذلك الأنظمة

الديمقراطية والتي نجحت في النهاية كما يقول المفكّر السيد رضوان في تغيير وجه الإسلام الذي نعرفه وفي تحويل الإسلام إلى مشكلة عالمية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، عندما انطلقت الحملة العالمية على الإرهاب، وترسّخت الهيمنة الأمريكية في المنطقة تحت حجة مقاومته .

إنّ اختراق هذه الثقافة التي ولّدت التعصّب والكراهية والإرهاب، وتقويضها لا يمكن ان يتم إلا على ارض مرجعيتها الدينية والعقل الذي يحرّكها. ولا يتم ذلك إلا بالعمل على جبهة الإصلاح الديني والتنوير الثقافي، دون أن يبعدنا كلّ هذا عن جبهة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فالحركات المتطرفة وخطابها الإرهابي هو في الواقع نتاج الجمود الفكري والعقائديّ الذي كرّسته المنظومات التربوية والمؤسسات الدينية العربية على مدى عقود طويلة.

بعد أن حوّلت الموروث الديني إلى سلطة كابحة للفكر، وبعد ان فشلت في مواصلة الجهود التي بدأها مفكرون مثل محمد عبده ورشيد رضا ، وفرح أنطون وقاسم أمين وعبد العزيز الثعالبي وخير الدّين باشا والطاهر الحدّاد في تونس وغيرهم كثيرون ممّن تجرأوا على خوض تجربة إصلاحية جريئة تطلبتها مصلحة الدين والأمة واعتبارات لحظتهم التاريخية. وتقتضي لحظتنا التاريخية ان نربط الواقع الديني بأسئلة الواقع الاجتماعي وبمقتضيات الحداثة والتعايش مع الآخر وذلك في ظل الاعتراف المشترك والتضامن الإنساني لمواجهة تحديات هذه اللحظة، وكل هذا يقتضي منا ممارسة النقد الذاتي بوصفه تفجيرًا للطاقات وتوسيعا لمجالات العقل مما يمكننا من تشخيص مشكلات اللحظة التاريخية الراهنة تشخيصا واقعيا وعقلانيا وفتح الأبواب أمام تحقيق

إنجازات حضارية عبر الابتكارات النظرية والمبادرات العملية الخلاّقة، فعطالة الفكر وجموده وتحجّره تقتضي مخاصمة الذات ومواجهتها، لأن العطالة الفكرية أثبتت أنها لا يمكن إلا أن تنتج الموت في حين أن الحياة انفتاح على الممكن، على اللحظة المتجدّدة، وعلى تحدّي المجهول، بروح المغامرة الخلاّقة، وذلك هو مغزى رسالة الإسلام القائلة "اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدا» التي تقاوم ثقافة الهزيمة والركون والقدرية والاستسلام، لتلقي بالمسلم في حركة المناقشة الحضارية الكبرى وخوض معركة الوجود التي ادخلت الاسلام في ديناميكية العالم، وأدخلت العالم في ديناميكيته .

ان الشمولية تضحّي بالحاضر، وفي هذه التضحية يقول تودوروف تكون المأساة كلّها، لذلك يكون الخروج من هذه المأساة بالتواصل مع زمننا، والتسلح للمواجهة الحضارية الكبرى التي تتخذ جغرافيتنا ساحة صراعها وهدفها الأساسي. لقد فشلت الحركات الإسلامية في تحقيق أي مكسب في هذه المعركة بل أنها زادتها اشتعالا، عندما حولت دار الإسلام، إلى دار حرب، وزرعت الفتنة - كما يقول جيل كيبيل - في أرضنا وضاعفت من التحديات التي تواجهنا.

ولعل التفكير في مستقبل أجيالنا وأمّتنا يتطلب منا ان نخوض معركتنا الأساسية في ذاتنا في عقولنا ورؤانا وتصوّراتنا، لتحريرها من الفكر الخرافي والأسطوري واللاواقعي واللاتاريخي واللاعقلاني، لنجعلها متصلة بزماننا وبأسئلتنا الراهنة ومتطلبات عيشتنا التي أهدرنا فرصا كبيرة لتطويرها .

ان تحرير الفكر عبر نشر ثقافة التنوير التي تقوم على تبجيل العقل، والإيمان بفكرة التقدم، والتعويل على قدرات الإنسان، هذه القيم التي أسست لها الحداثة، التي تمثل إنجازا إنسانيا أكثر منها إنجازا غربيا، هي إحدى مهمات الإعلام العربي الراهنة.

فهل ينجح الاعلام العربي في النهوض بهذه المسؤولية التاريخية؟

ان مجلة "أفكار اونلاين" تسعى لذلك، ونجاحها في القيام بهذا الدور رهين مشاركة كلّ الأطراف الفاعلة التي تدرك مسؤولياتها التاريخية في لحظة هي من أخطر مراحل الوجود العربي، بل الكوني.

الفصل السادس

الإرهاب ووسائل الإعلام والاتصال

لمّا كان موقع الإعلام في قلب سياسة الدفاع، فلا يمكن بعد اليوم النظر إلى وسائل الإعلام على أنها مجموع المشاهدين، بل مجموع الفعاليات التي تزداد أكثر فأكثر ضغطاً بثقلها على إدارة الأزمات.

إنها شرعة حسنة النهج وظهر منذ البداية أنه يصعب الإعداد لها، أوَلَيس من الضروري إذاً استخلاص بعض مبادئها؟

من خلال التطور المعاصر لوسائل الإعلام، لم يعد الإرهاب سلاحاً جديداً فحسب، بل أسلوباً للتواصل يقوم على إحداث صدمة نفسية وَجَني فوائد سياسية من خلالها. وانتشار الذعر يعني نزع احتكار الدولة للعنف المشروع ونزع مصداقيتها منها، وتحدّي عمل الديمقراطية وحتى الإسهام في تشويه عملها بجعله مدعاة للسخرية بغية إفقاده توازنه من خلال استغلال "صدمة التي لا يستهان بها والتي تحدثها وسائل الإعلام لدى الرأي العام.

ولمّا كان الإرهاب حرباً سياسية تستعين باستراتيجيات غير مباشرة، فلا يمكنه كسب المعركة إلاّ على الصعيد السياسي.

وأهداف الاستراتيجيات المضادة للإرهاب ووسائلها (وحتى الصراعات ضد الجريمة والإجرام) سرعان ما ظهر أن لها حدوداً لأن الآثار النفسية للإرهاب تجاوزت الحدود قياساً إلى أضرار العنف وحدها. والإنسان الحديث، المعزول في مجتمع مدني جديد متعدد الجنسيات والمجرّد من روابطه الاجتماعية بالآخرين التي تضمن له هويته وحريته، قد أصبح فجأةً رَهينة، كما أصبحت الأحداث المعاصرة رهينة الإرهاب، وعلى العكس، يقول الواقع إن انعدام أصداء الأحداث

بشكل كاف وغياب الرأي العام المتأثر بتلك الأصداء يُجرِّدان الإرهاب من كل تأثير تتأثر به الدولة ورجال أمنها .

وفي المقابل إن زعماء الدول الديمقراطية عليهم اتخاذ القرار اللازم حول سلوك وسائل الإعلام، ولا سيما التلفزيون والإذاعة، في أثناء حدوث أزمة إرهابية: فهل يجب خصوصاً قَطع البرامج لِبَثّ الخَبَر أو المغامرة بعدم بثه في حين أنه يجب استبعاد كل شكل من أشكال التساهل؟.

في هذه الأجواء الجديدة للذعر والهشاشة البالغة لدى المواطنين، يصبح الأجانب في أعين قسم كبير منهم، إرهابيين رغماً عنهم، بينما وجودهم المستمر في أوروبا، ولا سيما الأقليات العِرقية- الثقافية الطارئة أو الدخيلة، يجب أن يُعدّ من مصلحة الأوروبيين؛ فبوسع هؤلاء أن يستغلوا هذه الفرصة لإعادة تحديد كل شخص في هذا الحشد الاجتماعي للفصل بين الطيّب والشرّير والتمييز بين "الخير" و "الشر" الذي سرعان ما يظهر على السياسة الداخلية أو الحياة الدولية.

لا ينفك المختصون والمتنبئون من كل الأصناف يمدون الرأي العام ويزودونه بتفسيرات لكل الطباع مهما كان أصل الإنسان، ويشرحون أسباب الإرهاب وتمويلاته. وثمة معاهد كثيرة للدراسات حول الأمن، والقضايا الدولية، والجغرافية السياسية، إلخ... التي تغذي وسائل الإعلام وتمدها بالعلماء المختصين الخاصين بها، وهذا شيء هام ومفيد ولا يمكن أن نجده دون فائدة.

وسائل الإعلام أكسجين الإرهاب:

شيئاً فشيئاً وخلال القرن العشرين، جعلت الحرب "الإعلامية" الحروب الدامية الضروس غير مجدية والواقع، أن خسارة الحرب الإعلامية تجعل الدعوة إلى حمل السلاح غير مجدية.

على هذا المسرح العملياتي الجديد الذي لم يسبق له مثيل، أصبحت الولايات المتحدة بوضوح هدفاً يحظى بالأولوية، لأنها - بوصفها أول قوة عالمية- هي أيضاً أول قوة إعلامية : إنها آلة رهيبة لترديد الأصداء. وهذا هو التفسير الأوّلي للعنف المفرط الذي شهدته في السنوات الأخيرة الأراضي الأمريكية.

فالدعاية، وليس الإعلام أبداً، هي أفضل شريك للإرهاب. لذا، فإن الإعلام يُحلِّل الوقائع بينما الدعاية أو الإعلان يُفسِّر دفعة واحدة أهداف الإرهاب وغاياته. وهكذا نجد أن الإرهابيين أصبحوا يستغلُّون بشكل منهجي ومنظم وسائل الإعلام؛ وهم يعرفون كيف يجنون أفضل النتائج من الانفعالات الطبيعية لدى الصحفيين ومن المسائل التجارية والتسويقية للصحافة .

وتُطبِّق "أدمغة" الإرهاب حرفياً الأمثلة الداعية منذ القدم إلى الوثوق بالرأي العام. وإن مجرد الحديث عن الإرهاب عموماً أو حتى كظاهرة عنيفة يشكل دعاية موضوعية للإرهاب.

تُشكِّل وسائط الإعلام عندئذٍ الأكسجين الذي يمد الإرهاب بالحياة: فهي لا تُسبِّب وجود الإرهاب من العَدَم، لكن إدارة الظاهرة الإرهابية تُنسَب بقوّة إلى تلك الوسائل، ولا سيما أنها تلبي رغبتها في تفسير للظاهرة دون معرفة جميع المعطيات، أي التفاصيل عن تنظيم الشبكات، والمصادر الإيديولوجية والتمويلية.

وعلى العكس، إن بعض التقارير حول المناطق التي يعيث فيها الإرهاب فساداً (بسبب نقص اطِّلاع السلطات العامة دون شك) يركز أكثر على "الأضرار الجانبية" الناتجة عن السرقات والاغتصاب والتخريب بجميع أشكاله، بينما تتمنى العامة إعلامها عن الأمور الأساسية، أي عن أصل العُنف المُعنّى وليس إعلامها عن "رَغوة الأمور" .والنصوص التي

تحدث عن الحقيقة مختلفة ومتنوعة دون شك، بما في ذلك على صعيد الإرهاب، لكن الصحفي لا يمكنه فَرض نَصّ معيّن لأنه يبدو له، ببساطة، قابلاً للتصديق، ولا يمكنه جَعل الناس ينقسمون بين الأخيار والأشرار من خلال إعداده نَصّاً هو الأكثر قُبولاً لدى الجمهور.

لا يمكن لأحد أن يَفلَت من "عالم وسائل الإعلام" أو "وسائل الإعلام العالمية" إلا إذا كان على الأقل منقطعاً تماماً عن العالم، ولا يمتلك جهاز راديو ولا تلفزيون ولا إنترنت. ومن خلال هذا السياق وهذه السلسلة يصبح الإرهاب ووسائل الإعلام شركاء يُمثِّلون زَوجاً جهنميّاً لا يفترقان عن بعضهما البعض لا سيما أن الإرهاب قد أصبح عملاً تواصلياً تائهاً دون شك، لكنه مع ذلك قادر ومُستَتِر

يمكن في المقابل للإرهابيين استخدام وسائل الإعلام للاتصال بالسلطات، والحصول على معلومات من وسائل الإعلام ليحللوا بشكل أفضل الأساليب والطرائق اللازمة للضغط على خصومهم .

إنها جرعة الأكسجين الإضافية التي ينتظرها الإرهابيون من وسائل الإعلام، ولا سيما من الصحافة المختصة بالتحليل والبحث وهي من النوع الجامعي.

لا يقبل الرأي العام كثيراً، على الأقل، الإسهام في "مشهد" إرهابي يشترك في إنتاجه وسائل الإعلام والإرهابيون، في ذلك حيث الإرهابيون يُمثِّلون المَشهد والصحفيون هم مخرجوه بالضرورة. والواقع، أن الصحفيين لا يمكنهم التراجع؛ فيحاولون استغلال الحَدَث بشكل مُتفاوِت الجِدّة، وينقادون مع العواطف، لتحقيق أفضل النتائج الممكنة...

لا علاقة لوساطة الإرهاب بأنباء المحاكم

لَمّا كان معظم الدول قد أَدانَ جريمة الإرهاب، فقد آلَ المَطاف بالصحفيين إلى الوقوف موقف الإدانة من الإرهابيين كما تفعل المحاكم. والواقع، إذا كان أسلوبا الإدانة متماثلين والحالة هذه، فإن النتائج غير ذلك تماماً ولا سيما أن العمل الإرهابي ليس جريمة فحسب، بل تعبير عنيف عن سياسة ما .

وبعودة الذاكرة إلى الأساليب التقليدية التي اتّبعتها تحقيقات الصحافة، نجد أن الصحفي يواجه صعوبات في الحديث عن الإرهاب دون الرجوع إلى الفكر المسيطر على الساحة ودون أن يسعى جاهداً لإثارة عواطف القارئ بانفعالاته.من الواضح أنه فيما يتعلق بالإرهاب، هناك منهجية - أو واجب أدبي- خاصة يجب تطبيقها على الصحفي، آخذين في الحسبان العديد من القيود، حتى وإن كان الصحفي، كما في الولايات المتحدة، يُسهم في اتخاذ قرارات في إدارة الأزمات. فالصحافة قبل كل شيء تتلقى في أغلب الأحيان مطالب المنظمات الإرهابية؛ وغالباً ما تخضع الصحافة لضغوط تلك المنظمات .

بعد ذلك، على وسائل الإعلام التأكد من مواقف السلطات العامة المسؤولة عن تحديد حقيقة تلك المطالب رسمياً .

ويمكن للصحفي طبعاً أن يقوم بتقصياته وحتى إبداء آرائه الشخصية، لكن لا ينبغي له في أية حال من الأحوال فَرض وُجهات نظره، ولا سيما أنه لا يزال هناك، على صعيد الإرهاب، أكثر من وسيط .

وفي هذا الصدد ، إن تجاوز حدود الوساطة يجب ألاّ يؤدّي إلى تكوين أو نشر معلومات جانبية لدى الرأي العام؛ فالصحفي لا يعرف في الغالب شيئاً من الناحية العملية عن منفذي العمل الإرهابي، بل مهمته التي يسعى إليها جاهداً أن يتصدّر خَبَره الصحيفة ويتأكد من صحة وقائعه من نُظَرائه في داخل البلاد وخارجها.

لتتجنّب السلطات العامة أي هشاشة في موقفها ، عليها إقامة اتصالات كافية مع وسائل الإعلام للتواصل معها ، دون أن يؤدي ذلك إلى إعاقة عمل الدوائر السرية ، إنما التحذير ما أمكن من السير في مسالك خاطئة .

أما من ناحية التعارض بين الإرهاب والمؤسسات الحكومية ، والروح الديمقراطية وعولمة الإعلام، فلا يمكن منع وسائل الإعلام من التحقق من أعمالها ، ولا حتى وضع حدود للإعلام ليقف عند الصحفيين الذين يُسمّون بـ (المختصِّين)، بل الأفضل مساعدتهم على إتاحة الفرصة للرأي العام للتخوف من طغيان المد الإرهابي بقوة وذكاء.

فهل هي تلك، دون شك، الطريقة الأكثر ملاءَمة التي يمكن للصحفي من خلالها القيام بعمله للرد على الإرهابي الذي يود الدعاية لأعماله ويخشى المعلومة المحضة؟ لذا فمن غير الضروري تحويل الصحفي إلى مراسل حربي والسماح له بحمل السلاح واستخدامه لملاحقة الأعمال

الإرهابية، بل كيف يمكن ضبط تلك المواقف وتسويتها عندما يتضح أن المقاتلين يُمثِّلون صحفيين ممتازين في هذه المناسبة؟

الإنترنت يُتيح للإرهابيين الاستغناء عن وسائل الإعلام التقليدية:
قدّمت شبكة الإنترنت وسيلة اتصال للإرهابيين بأعضاء الشبكة اتصالاً مباشراً من أجل أن تحظى أعمالهم بالتمجيد والمديح أو لِبَثّ الدعايات لهم فاتحين آفاقاً جديدة، وهي مُدمِّرة على صعيد الطاقة أو على صعيد التمويل، فعلى سبيل المثال إن استخدام البرامج الخاصة يُتيح تخريب الشبكة (بوساطة الفيروسات وأحصنة طروادة، إلخ...) أي تخريب قاعدة المعطيات الأمر الذي يضرّ بأمن الدولة، وهذا يزرع الذعر بين السكان، ويؤثر في القرارات الحكومية من أجل بلوغ أهداف سياسية.

وفي مثل هذه الظروف، يجب عدم استبعاد بعض الحقائق عن بعض الدول الإرهابية عندما يستخدم قادتها السياسيون بُنَى الدولة، بما في ذلك جميع وسائل الإعلام (في الداخل كما في خارج الحدود) لفرض إرادتهم وإلغاء الدور الحقيقي أو المتوقع لخصومهم.

إن سهولة الولوج إلى أنظمة الإعلام تُتيح كَشف نقاط ضعف خَطِر وهشاشة الشبكات التي لا يمكنها أبداً حماية نفسها كلياً، ولا سيما أن الأغلبية الساحقة من الاتصالات العسكرية والشرطية (الخاصة برجال الشرطة) والقضائية، على سبيل المثال، تجول فيها العمليات الخاصة وتسرح وتمرح. والتوجهات الإجرامية فَرَضت اتخاذ دفاعات جديدة، لكن هذه الدفاعات غير كافية إطلاقاً ولا سيّما حيَال "إرهاب ضائع" أي لا يمتلك قاعدة وطنية محددة وآثاره تتعاظم جراء قدرة وسائل الإعلام والصور التي تُبَثّ آنياً لحظة حدوثها.

إذا كان الشك وانعدام الثقة هما من العناصر المشكلة للعالم حالياً، والمتميز بنهاية نظام سياسي وعسكري موثوق فيه، فهذا يرجع دون شك في جزء كبير منه إلى أنه نتيجة للإرهاب المحيط بنا. وإذا كان الصراع المضاد للإرهاب يتطلب المحافظة بدقّة وَصرامة على سريّة عمل عناصر الدولة، فهذا لا يفرض بالضرورة التكتّم حول بعض الوسائل المستخدمة ونتائج التقصيات وإخفاءها عن الرأي العام الذي يجب أن يطّلع عليها، وإلاّ أمكن للمواطنين الشعور بالهشاشة المضاعفة، أولاً من ناحية ابتزاز الإرهابيين، ومن ناحية ثانية غياب اتصال المواطن بالسياسيين. وعندما يبدو، على سبيل المثال، أن المسؤولين يتفاوضون سِرّاً مع الإرهابيين تحدث أمور معاكسة تماماً، فالمواطنون يكفّون عن بذل أي جهد يرمي إلى فهم الحقيقة. وكيف يمكنه أن يكون غير ذلك؟

لِنَنسَ أطباء القرون الوسطى الذين كانوا يتحدثون باللاتينية للتأثير في مرضاهم وزُبُنهم. فضرورة فهم الأحداث الأكثر سعادة في الحياة، شأنها شأن الأكثر تعاسة وشُؤماً، هي في كل الأحوال ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مِنّا.

إذا كنا نقصد السياسيين والمثقفين الجامعيين، ورجال الشرطة والصحفيين والكتّاب أو المعلّقين من كل صنف ونوع، فلا أحد يمكنه الاستئثار بالحقيقة حول ظاهرة الإرهاب. وفي المقابل، إن كل واحد فينا معرّض لذلك المد الإرهابي بشكل خاص، ومن حَقّ جميع الناس امتلاك العناصر اللازمة التي تتيح لهم محاولة فهم طبيعة هذه الظاهرة العالمية وأبعادها.

الفصل السابع

عناصر إستراتيجية عربية لتفعيل دور الإعلام في بناء واقع عربي جديد

مقدمة :

لا يمكن صياغة استراتيجية عربية لتفعيل دور الإعلام في بناء واقع عربي جديد بغير تأمل للتغيرات الكبرى التي حدثت في بنية المجتمع العالمي من ناحية، ودراسة الوضع الراهن للمجتمع العربي من ناحية ثانية. ودراسة التغيرات التي لحقت ببنية المجتمع العالمي تقتضي ممارسة التحليل الثقافي الذي أثبت كفاءته في وصف مشاهد العالم المعاصر بصورة تفوق التحليل السياسي التقليدي والتحليل الاقتصادي الكلاسيكي. أما دراسة الوضع الراهن للمجتمع العربي فهي تحتاج إلى عديد من الدراسات العلمية الموضوعية، وكثير منها متوفر في المكتبة العربية المعاصرة، وخصوصا في مطبوعات مركز دراسات الوحدة العربية. غير أن هذا الوضع يحتاج أكثر ما يحتاج الى ممارسة النقد الذاتي .

والنقد الذاتي كما أردد دائما ليس - للأسف الشديد - فضيلة عربية، ولكنه في الواقع فضيلة غربية! ولذلك ليس غريبا أن نقرر أن أحد أسباب التقدم الغربي هو ممارسة النقد الذاتي بصورة منهجية، وبطريقة منتظمة. وهذا النقد الذاتي تقوم به النظم السياسية أو بمعنى أدق ممثلوها من أهل الحكم والسلطة، وزعماء الأحزاب السياسية، والمفكرون والمثقفون بشكل عام، وذلك إذا دعت الدواعي لذلك .

ومثال ذلك التصريحات البريطانية الأخيرة التي اعترفت بالخطإ الجسيم في تصديق تقارير مخابراتية مزيفة عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل التي يمكن أن تنطلق في خلال مدة خمس وأربعين دقيقة، وكذلك التصريحات الأمريكية لكوندليزا رايس (وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة)، والتي قالت فيها لم نخطئ في

الاستراتيجية، وتعني قرار غزو العراق عسكريا، ولكن أخطأنا في التكتيك، وتعني عدم رسم سيناريو دقيق للموقف في العراق بعد تمام الغزو والاحتلال .

ويمكن القول إن العالم العربي قد شهد موجات متتالية من ممارسة النقد الذاتي منذ الهزيمة العربية في حرب فلسطين عام 1948 حتى الوقت الراهن .

لقد كان نجم الموجة الأولى للنقد الذاتي العربي هو المؤرخ اللبناني المرموق قسطنطين زريق، الذي أصدر كتابه النقدي عام 1948 بعنوان "معنى النكبة"، وركز فيه على أن أسباب الهزيمة تتركز في سببين هما: غياب الديمقراطية، وغياب التفكير العلمي في المجتمع العربي. وجاءت موجة النقد الذاتي العربي الثانية عقب الهزيمة الساحقة في حرب يونيو 1967 .

وكان نجم هذه الموجة الثانية هو الفيلسوف السوري المعروف صادق جلال العظم في كتابه "النقد الذاتي بعد الهزيمة"، والذي حلل فيه بصورة نقدية عملية التنشئة الاجتماعية المعيبة في المجتمع العربي، والتي تركز على الاتباع وليس على الإبداع، وتحرص على مطابقة الطفل العربي في سلوكه للقيم السائدة حتى ولو كانت رجعية ومحافظة .

وشارك العظم في هذه الموجة الثانية صلاح الدين المنجد في كتابه "أعمدة النكبة السبعية" وأديب نصور ممثلا للفكر المسيحي في كتابه "النكسة والخطأ" .

ومن الغريب أن تأتي الموجة الثالثة للنقد الذاتي العربي عام 1974 بعد عام واحد من انتصار العرب في حرب أكتوبر 1973. وتمثلت هذه الموجة الثالثة في الندوة الهامة التي نظمتها في الكويت جمعية الخريجين الكويتية، وكان عنوانها "أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي" .

وجاءت الموجة الرابعة للنقد الذاتي في ندوة تاريخية نظمها في قبرص مركز دراسات الوحدة العربية عام 1983، وكان موضوعها "أزمة الديمقراطية في الوطن العربي"، وهي الندوة التي أعلن في نهايتها قيام »المنظمة العربية لحقوق الإنسان، مشيرة بذلك الى انتقال المثقفين العرب من مجال الكلام الى ميدان الفعل .

غير أنني بمناسبة نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين أردت باعتباري باحثا متخصصا في علم الاجتماع السياسي، أن أقوم بعملية نقد ذاتي للتجربة العربية طوال الخمسين عاما الماضية، بالنيابة عن المثقفين العرب، الذين ترددوا لأسباب شتى في القيام بهذا المشروع النقدي الضروري .

وقد قمت بهذه الدراسة والتي جعلت عنوانها "العرب على مشارف الألفية الثالثة"، ونشرت في صورة سلسلة مقالات متتابعة في عدد من الصحف العربية، ثم أعدت نشرها في كتابي "المعلوماتية وحضارة العولمة"، دراسة نقدية عربية الصادر عن دار نهضة مصر بالقاهرة في يناير عام 2001 .

وقد ناقشت في هذه المحاولة للنقد الذاتي العربي عديدا من الموضوعات هي: العرب يودّعون القرن العشرين، الصراع والسلام في الألفية الثالثة، مشكلات التحديث العربي، اختبار الحداثة العربية،

الليبرالية في مواجهة إرث السلطوية، العرب في مواجهة أسئلة القرن الحادي والعشرين، تحديات التنمية العربية، ثقافة تحت الحصار، ثقافة التحريم، فاق المستقبل العربي، العرب في سياق التغير العالمي .

أولا: تغيرات المجتمع العالمي

لعل التطورات العالمية في العقد الذي يفصل عام 1999 بين سقوط الاتحاد السوفياتي وبلاد الكتلة الاشتراكية ونهاية الحرب الباردة وزوال النظام الدولي الثنائي القطبية والأحداث الإرهابية التي وجهت ضد الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر 2001، تثبت بما لا يدع مجالا للشك أولوية الأبعاد الثقافية في التواصل العالمي بمختلف أنماطه وأشكاله. وتكفي الإشارة إلى الجدل الهام الذي دار حول نظرية صراع الحضارات التي قدمها هنتنغتون، وما أشار إليه من أن الحروب القادمة بين الغرب و"الباقي" (أي باقي العالم بحسب تعبيره) ستكون حروبا ثقافية، ومن ثم ينبغي علينا إذا كنا نريد أن نضع عناصر استراتيجية عربية لتفعيل دور الإعلام في بناء واقع عربي جديد أن نضع في اعتبارنا في المقام الأول التغييرات التي حدثت في بنية المجتمع العالمي من وجهة النظر الحضارية. وأبرزها عملية الانتقال من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج مجتمع المعلومات العالمي، والذي ينتقل - ببطء وإن كان بثبات.- إلى مجتمع المعرفة، ونهاية النظام الدولي الثنائي القطبية وبروز الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة المهيمنة، والتركيز على ظاهرة العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية، وذلك بالإضافة إلى الوقوف عند المشهد الثقافي العالمي والذي يزخر بالصراعات والإيديولوجيات المتضاربة .

ولا نبالغ أدنى مبالغة إذا قلنا إن الإنسانية تنتقل الآن، عبر عملية معقدة ومركبة، صوب صياغة مجتمع عالمي جديد، تحت تأثير الثورة الكونية. وهذه الثورة الكونية تأتي - في التعاقب التاريخي للثورات المتعددة التي شهدتها الإنسانية - عقب الثورة الصناعية. وكانت البدايات الأولى تتمثل في بزوغ ما أطلق عليه "الثورة العلمية والتكنولوجية"، والتي جعلت العلم - لأول مرة في تاريخ البشرية - قوة أساسية من قوى الإنتاج، تضاف إلى الأرض ورأس المال والعمل. وبالتدريج بدأت ملامح المجتمعات الصناعية المتقدمة تتغير، ليس في بنيتها التحتية فقط، ولكن أيضا في أسلوب الحياة، وأنماط التفكير، ونوعية القيم السائدة، وأساليب الممارسة السياسية. ومنذ الستينات ذاع مصطلح جديد، أطلقه بعض علماء الاجتماع الغربيين، من أبرزهم دانييل بل لوصف المجتمع الجديد، وهو "المجتمع ما بعد الصناعي". غير أنه مع مرور الزمن تبين قصور هذا المصطلح عن التعبير عن جوهر التغيير الكيفي الذي حدث، ومن هنا صك العلماء الاجتماعيون مصطلحا آخر رأوا أنه أوفى بالغرض، وأكثر دقة في التعبير، وهو مصطلح "مجتمع المعلومات". وذلك على أساس أن أبرز ملمح من ملامح المجتمع الجديد أنه يقوم أساسا على إنتاج المعلومات وتداولها من خلال آلية غير مسبوقة هي الحاسب الآلي، الذي أدت أجياله المتعاقبة إلى إحداث ثورة فكرية كبرى، في مجال إنتاج وتوزيع واستهلاك المعارف الإنسانية. فإذا أضفنا إلى ذلك القفزة الكبرى في تكنولوجيا الاتصال، وبخاصة في مجال الأقمار الصناعية واستخداماتها الواسعة، وخصوصا في مجال البث التليفزيوني الكوني، الذي بحكم آليته يتجاوز الحدود الجغرافية، وينفذ إلى مختلف الأقطار، التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، مما من شأنه أن يؤثر - خلال الرسائل الإعلامية المتعددة - على القيم

والاتجاهات والعادات، لأدركنا أننا بصدد تشكل عالم جديد غير مسبوق، تصبح فيه العبارة الشهيرة والتي مفادها أن العالم أصبح قرية صغيرة، تقصر كثيرا عن وصف اثر التغيرات التي يتعمق مجراها كل يوم .

في ظل هذه التطورات الكبرى في مجال المعرفة والاتصال، وانتقالنا من مجتمع الصناعة إلى مجتمع المعلومات، أخذ يتشكل ببطء - وإن كان بثبات - ما يمكن أن نطلق عليه "الوعي الكوني"، والذي سيتجاوز في آثاره، كل أنواع الوعي السابقة عليه كالوعي الوطني، بكل تفريعاته من وعي اجتماعي ووعي طبقي، ووعي قومي .سيبرز الوعي الكوني متجاوزا كل أنماط الوعي السابقة، لكي يعبر عن بزوغ قيم إنسانية عامة، تشتد في الوقت الراهن المعركة حول صياغتها، واتجاهاتها، ولا بد في مستقبل منظور، أن ينعقد الإجماع العالمي عليها .

وفي ضوء ذلك كله، نستطيع أن نفهم سر المعركة التي تدور في الوقت الراهن حول "النظام العالمي الجديد"، الذي تريد الولايات المتحدة الأمريكية - بعد انهيار النظام العالمي الثنائي القطبية - أن تهيمن عليه مستندة إلى قوتها العسكرية والتكنولوجية، بالرغم من التآكل التدريجي لقوتها الاقتصادية العالمية، كما تنبأ بذلك بول كيندي في كتابه الشهير "صعود وسقوط القوى العظمى" والذي أثار جدلا أمريكيا حادا، بين أنصاره وخصومه .

وهكذا يمكن القول إننا بصدد رصد التغيرات العميقة التي ألمحنا إليها، لابد أن نقف قليلا أمام ظاهرة بزوغ ما يمكن أن نطلق عليه "مجتمع المعلومات الكوني" .

مجتمع المعلومات الكوني :

مجتمع المعلومات يأتي بعد مراحل مر فيها التاريخ الإنساني، وتميزت كل مرحلة بنوع من أنواع التكنولوجيا يتفق معها. شهدت الإنسانية من قبل تكنولوجيا الصيد، ثم تكنولوجيا الزراعة، وبعدها تكنولوجيا الصناعة، ثم وصلنا أخيرا إلى تكنولوجيا المعلومات .

ويمكن القول أن سمات مجتمع المعلومات تستمد أساسا من سمات تكنولوجيا المعلومات ذاتها، والتي يمكن إجمالها في ثلاث :

أولاها : أن المعلومات غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو التفتت، لأنها تراكمية بحسب التعريف، وأكثر الوسائل فعالية لتجميعها وتوزيعها، تقوم على أساس المشاركة في عملية التجميع، والاستخدام العام والمشترك لها بواسطة المواطنين .

وثانيتها : أن قيمة المعلومات هي استبعاد عدم التأكد، وتنمية قدرة الإنسانية على اختيار أكثر القرارات فعالية .

وثالثتها : أن سر الوقع الاجتماعي العميق لتكنولوجيا المعلومات، أنها تقوم على أساس التركيز على العمل الذهني (أو ما يطلق عليه أتمتة الذكاء)، وتعميق العمل الذهني (من خلال إبداع المعرفة، وحل المشكلات، وتنمية الفرص المتعددة أمام الإنسان)، والتجديد في صياغة النسق، وتعنى بتطوير النسق الاجتماعي .

ويلخص بعض الباحثين إطار مجتمع المعلومات في الملامح التالية :

1- المنفعة المعلوماتية (من خلال إنشاء بنية تحتية معلوماتية تقوم على أساس الحواسيب الآلية العامة المتاحة لكل الناس) في صورة

شبكات المعلومات المختلفة، وبنوك المعلومات، والتي ستصبح هي بذاتها رمز المجتمع .

2- الصناعة القائدة ستكون هي صناعة المعلومات التي ستهيمن على البناء الصناعي .

3- سيتحول النظام السياسي لكي تسوده الديمقراطية التشاركية، ونعني السياسات التي تنهض على أساس الإدارة الذاتية التي يقوم بها المواطنون، والمبنية على الاتفاق، وضبط النوازع الإنسانية، والتأليف الخلاق بين العناصر المختلفة .

4- سيتشكل البناء الاجتماعي من مجتمعات محلية متعددة المراكز ومتكاملة بطريقة طوعية .

5- ستتغير القيم الإنسانية وتتحول من التركيز على الاستهلاك المادي، إلى إشباع الإنجاز المتعلق بتحقيق الأهداف .

6- أعلى درجة متقدمة من مجتمعات المعلومات، ستتمثل في مرحلة تتسم بإبداع المعرفة من خلال مشاركة جماهيرية فعالة، والهدف النهائي منها هو التشكيل الكامل لمجتمع المعلومات الكوني .

وقد يبدو أن هذه الصورة التي رسمناها ليست سوى ضرب من الأحلام، غير أن مجتمع المعلومات الكوني، ليس في الواقع حلما، بقدر ما هو مفهوم واقعي، سيكون هو المرحلة الأخيرة من مراحل تطور مجتمع المعلومات. وهناك **ثلاثة أدلة تؤكد هذا القول :**

أولها : أن الكونية GLO BALISM ستصبح هي روح الزمن في مجتمع المعلومات القادم. ويرجع ذلك إلى الأزمات الكونية المتعلقة بالنقص في الموارد الطبيعية وتدمير البيئة الطبيعية، والانفجار

السكاني، والفجوات العميقة الاقتصادية والثقافية بين الشمال والجنوب .

وثانيها : أن تنمية شبكات المعلومات الكونية، باستخدام الحواسيب الآلية المرتبطة ببعضها بعضا عالميا، وكذلك الأقمار الصناعية، ستؤدي إلى تحسين وسائل تبادل المعلومات، وتعمق الفهم، مما من شأنه أن يتجاوز المصالح القومية والثقافية والمصالح الأخرى المتباينة .

وثالثها : إن إنتاج السلع المعلوماتية سيتجاوز إنتاج السلع المادية، بالنظر إلى قيمتها الاقتصادية الإجمالية، وسيتحول النظام الاقتصادي من نظام تنافسي يقوم على السعي إلى الربح إلى نظام تأليفي ذي طابع اجتماعي يسهم فيه الجميع .

غير أنه لا ينبغي أن يقر في الأذهان، أن تشكيل مجتمع المعلومات الكوني عملية هينة. ذلك أنه يقف دونها تحديات عظمى، ينبغي مواجهتها. وأول هذه التحديات المعركة الدائرة الآن حول «ديمقراطية المعلومات، والتي هي الشرط الموضوعي الذي لابد من توفره، وذلك لتفادي الشمولية والسلوطية .

وديمقراطية المعلومات تنهض على أساس أربعة مقومات . أولها : حماية خصوصية الأفراد، وتعني الحق الإنساني للفرد لكي يصون حياته الخاصة ويحجبها عن الآخرين. والمقوم الثاني هو الحق في المعرفة، ونعني حق المواطنين في معرفة كل ضروب المعلومات الحكومية السرية، التي قد تؤثر على مصائر الناس تأثيرا جسيما. ونأتي بعد ذلك إلى حق استخدام المعلومات. ونعني بذلك حق كل مواطن في أن يستخدم شبكات المعلومات المتاحة وبنوك البيانات، بسعر رخيص، وفي كل

مكـان، وفي أي وقـت. وأخـيرا نـصل إلى ذروة مـستويات ديمقراطيـة الإعلام، ونعني حق المواطن في الاشتراك المباشر في إدارة البنيـة التحتية للإعلام الكوني، ومن أبرزهـا عملية صنع القـرار على كل المستويات المحلية والحكومية والكونية .

وثاني التحديات التي تواجه تشكيل مجتمع المعلومات الكوني، هـو تنمية الـذكاء الكـوني، وهـو يعني القـدرة التكيفيـة للمـواطنين في مواجهة الظروف الكونيـة المتغيرة بسرعة. والـذكاء يمكـن تعريفـه - بشكل عام - بأنه القدرة على الاختيار العقلاني للفعل الإنساني لحل المشكلات. ويبدأ الـذكاء بالمستوى الشخصي لـدى الأفـراد، ثم يتطـور ويتعمق إلى مستوى الذكاء الجمعي. وداخل الجماعة يفترض أن الذكاء الشخصي للأفـراد سيتألف وينسق بينـه لتحقيـق الأهـداف العامـة لتغيير البيئة الاجتماعيـة، وهـو مـا يطلق عليـه الـذكاء الاجتمـاعي. وهـو بذاته الـذي يمكـن أن يتطـور ليصبح ذكـاء كونيـا، والـذي سيتشكل مـن خلال الفهم الكوني المتبادل، الموجه لحل المشكلات الكونيـة، كما ظهر أخيرا في الجهود العالمية لمواجهة أزمة البيئة الإنسانية، التي تشارك فيها مختلف الدول في الوقت الراهن. ويصلح موضوع البيئة مثالا نموذجيا لإبـراز تبلـور الـوعي الكـوني، بعـدما ظهـرت النتـائج الـسلبية لمجتمـع الصناعة وما أفرزه من ضروب متنوعة من تلوث المـاء والهواء والتربة. ومـن المؤكد أننا سنشهد في وقت قريب تشريعات قُطرية ملزمة، وتشريعات دوليـة، سيكون مـن شـأنها إدخـال تعديلات جذرية على أدوات الإنتـاج السائدة. ومن هنا يحق لنا القول، أنه وعلى عكس ما يبدو حديثا نظريا فإننا نشهد في الوقت الـراهن بـدايات تشكل الـوعي الكوني والـذي لم يبرز فقط في موضوع البيئة، وإنما وربما أهم من ذلك، ظهر في موضوع

القضاء على الأسلحة الذرية والكيماوية وتدميرها، خلاصا من سيناريو فناء البشرية، والذي كان سائدًا في عصر توازن الرعب النووي، هذا الوعي الكوني الذي يتعمق كل يوم، ليس في الواقع سوى التعبير الأمثل عن نشوء مجتمع المعلومات الكوني .

ثانيا: عناصر استراتيجية إعلامية عربية

في ضوء ما سبق يمكن أن نقترح عناصر لاستراتيجية عربية مقترحة تتكون من عدة عناصر .

أولا: ضرورة رسم خرائط معرفية للاتجاهات الإيديولوجية في الوطن العربي

لا يمكن وضع استراتيجية إعلامية عربية لتفعيل دور الإعلام في بناء واقع عربي جديد بغير رسم خرائط معرفية دقيقة تحيط بكل ألوان الطيف من الاتجاهات الإيديولوجية الفاعلة في الوطن العربي. وهذه الخرائط المعرفية لابد لها أن تقيم الوزن النسبي لكل تيار واتجاه. وأهمية هذه الخرائط المعرفية أنها ستساعدنا على معرفة الواقع العربي الذي نريد تغييره، وكذلك على تحديد ملامح التغيير واتجاهاته. ومن ناحية أخرى من شأن هذه الخرائط المعرفية أن تقضي على التعميمات الجارفة عن العرب والمسلمين التي تصوغها الدوائر الغربية السياسية والثقافية والإعلامية .

فهل صحيح - على سبيل المثال - أن إيديولوجية الجماعات الإسلامية المتشددة والمتطرفة هي السائدة في الوطن العربي؟ وأليس هناك مجال واسع للتيارات الليبرالية التي تنادي بالديمقراطية وبحرية التفكير وحرية التعبير وحرية التنظيم، وحرية الصحافة والنشر؟

وأليس هناك في الوطن العربي تيارات كبيرة تدعو لتحسين دور المرأة في المجتمع وإلغاء كافة صنوف التمييز ضدها؟ وهكذا نستطيع ان نقدم صورة موضوعية للتفاعلات السياسية بين أنصار الإيديولوجيات العربية المختلفة مما يسمح للإعلام العربي أن يتناول بشكل نقدي وموضوعي بعض منطلقاتها التي يمكن أن ترسخ التخلف العربي بدلا من الوصول بنا إلى أعتاب التقدم .

ثانيا: تبني موقف رشيد من ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل

لو راجعنا الخطاب الإعلامي العربي طوال الخمسين عاما الماضية لوجدناه مشغولا بثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل، مع وجود اختلافات عميقة بين أصحاب هذا الخطاب حسب الإيديولوجيات التي يعبرون عنها .

وفي تقديرنا أن الإعلام العربي يمكن أن يلعب دورا هاما في الدعوة إلى الدراسة العلمية للتراث الماضي بأنماطه المتنوعة، من خلال التأكيد على ضرورة ممارسة التأويل بمناهجه المتعددة حتى يتواءم النص التراثي - حتى لو كان نصا دينيا - مع متغيرات العصر .

ومن ناحية أخرى لابد من اصطناع منهج علمي ونقدي في دراسة الحاضر العربي. وهذا المنهج لابد أن يكون تكامليا لا يفصل بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة - ليس ذلك فقط - بل لابد أن يكون منهجا نقديا، يركز على السلبيات، ويسمي الظواهر بأسمائها .

وتبقى ضرورة استشراف المستقبل العربي في ضوء قراءة دقيقة لتغيرات بنية المجتمع العالمي كما أشرنا في المقدمة. وفي هذا المجال لابد

من ترشيد الخطاب الثقافي العربي إزاء ظاهرة العولمة، والتي هي أبرز الظواهر ونحن في بداية الألفية الثالثة .

وهذا الترشيد يقتضي عدم تبني المواقف المتطرفة من العولمة، ونعني القبول المطلق بغير تحفظات، أو الرفض الشامل بغير تحليل. نحتاج كعرب إلى نظرة متوازنة تكفل تعظيم المكاسب وتقليل الخسائر .

ولا بد من التركيز على الآثار المترتبة على تحول الاقتصاد العالمي إلى اقتصاد المعرفة، وتحول المجتمع المعلوماتي العالمي إلى مجتمع المعرفة .

ثالثا: حصر لمشكلات التواصل الثقافي مع الغرب

لا بد من حصر دقيق للمشكلات التي تعوق التواصل الثقافي الإيجابي بين العرب والغرب. ونستطيع في هذا المجال أن نعدد بعض المشكلات الهامة وفي مقدمتها :

1- مشكلة العلاقة بين الإسلام والغرب .

2- مشكلة التطرف الفكري في العالم العربي .

3- المشكلات الناجمة عن الإرهاب .

4- الهجرات العربية إلى أوروبا ومشكلاتها وخاصة قضية اندماج المهاجرين في المجتمعات الأوروبية .

5- التفرقة بين المقاومة المشروعة للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والإرهاب .

6- العنصرية الجديدة في أوروبا .

رابعا :الدعوة للإسهام العربي في مناقشة المشكلات الإنسانية العالمية

نحن نعيش في عصر عولمة المشكلات الإنسانية. حيث ضاقت المسافات بين المشكلات المحلية والعالمية. فتلوث البيئة مشكلة محلية وعالمية، والفقر كذلك، والفجوة بين الموارد والسكان وهكذا يمكن القول إن الإعلام العربي يمكن أن يلعب دورا فاعلا في حوار الحضارات الذي ينبغي أن يدور بين العرب والعالم .

وهذا الحوار لا ينبغي أن يقتصر على مناقشة مشكلات العرب مع العالم، ولكن أن يثبتأننا كعرب لدينا كفاءة معرفية تسمح لنا بالإسهام في مواجهة الإشكاليات المعرفية والمشكلات الواقعية التي تواجه الإنسانية في القرن الجديد .

1-الإشكاليات المعرفية

أدت التطورات العالمية التي أشرنا إليها في مقدمة هذا البحث الى بروز إشكاليات معرفية جديدة ومشكلات واقعية عالمية. ويمكن رد سبب بروز هذه الإشكاليات والمشكلات إلى عوامل متعددة. وربما كان أول عامل من هذه العوامل هو الخبرة التاريخية الثمينة التي تحصلت من الممارسات الإيديولوجية والسياسية والاقتصادية والثقافية في القرن العشرين .

لقد كان القرن العشرون حافلا بالأحداث الكبرى، فقد اكتملت فيه الثورة الصناعية بكل أبعادها، ثم برزت من بعد الثورة العلمية والتكنولوجية، حيث أصبح العلم لأول مرة في تاريخ البشرية عنصرا أساسيا من عوامل الإنتاج، وتحولت التكنولوجيا لتصبح هي

الأداة الأساسية لإشباع الحاجات الأساسية لملايين البشر في مختلف أنحاء المعمورة .

وجاءت مؤخرا الثورة الاتصالية الكبرى والتي أصبحت شبكة الإنترنيت هي رمزها البارز، وهذه الثورة بإجماع العلماء الاجتماعيين هي أخطر ثورة في تاريخ البشرية، بحكم أنها أتاحت للناس في كل مكان إمكانية الاتصال المباشر، والتفاعل الإيجابي بين مختلف الثقافات الإنسانية بكل ما تحفل به من رؤى متنوعة للعالم .

وليست خبرة القرن العشرين فقط هي التي أدت إلى بروز إشكاليات معرفية ومشكلات واقعية جديدة، بل إن بروز الوعي الكوني بمشكلات الإنسانية الحادة، وأبرزها موضوع البيئة ومخاطر تلوث الكوكب، قد أدى إلى ظهور أنماط مستحدثة من التفكير، وممارسة مؤسسات قديمة مثل اليونسكو ومؤسسات حديثة مثل جامعة الأمم المتحدة في طوكيو للبحث بطرق جديدة تعتمد في المقام الأول على التفكير الجماعي، من خلال استطلاع آراء أبرز العقول الإنسانية في مختلف التخصصات العلمية وحقول المعرفة، حول تشخيص الوضع الإنساني الراهن، والتماس أكثر الحلول فعالية لمواجهة كل من الإشكاليات المعرفية والمشكلات الواقعية .

يمكننا التأكيد على أن ابرز المؤسسات العالمية التي انشغلت في السنوات الأخيرة بموضوع تحديد وبلورة الإشكاليات المعرفية ونحن على مشارف الألفية الثالثة هي هيئة اليونسكو .

وفي هذا المجال نظم العالم الاجتماعي الفرنسي جيروم بانديه رئيس وحدة البحوث المستقبلية في اليونسكو مؤتمرا عالميا عنوانه

"حـوارات القـرن الحـادي والعـشرين" جمـع فيـه ابـرز العقـول لمناقـشة الإشـكاليات التي ستواجه الإنسانية في العقود القادمة .

وقـد جمـع بانديـه خلاصـة هـذه الحـوارات في كتـاب نـشرته اليونكسو في أبريل عام 2000 بعنوان "مفاتيح القرن الحادي والعشرين". ولو استعرضنا أقسام الكتاب الخمسة، لاستطعنا ان نضع أيدينا على الإشـكاليات المعرفيـة الأساسـية، الـتي تـصلح لأن تكـون موضـوعات بحثية، تؤلف عنها الأبحاث والكتب، أو تكون موضوعات لـورش عمـل وندوات ومؤتمرات .

وفيما يلي بيان بهذه الموضوعات الهامة :

القسم الأول : استشراف المستقبل وعدم اليقين. أي مستقبل للبحوث المستقبلية؟

موضوعات هذا القسم تتعلق كلها بفكرة استشراف المستقبل مـن زاويـة إمكانياتهـا وحـدودها و فاقهـا وعلاقتهـا بالفعـل الـسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

ومن أمثلة الموضوعات المبحوثة :

1- مستقبل واحد أو تعددية المستقبلات؟

2- طبيعة المستقبل

3- أصول المستقبل

القسم الثاني : نحو عقد طبيعي :مستقبل النوع الإنساني ومستقبل الكوكب .

ومن أمثلة الموضوعات المبحوثة :

1- أي مستقبل للنوع الإنساني؟

2- السكان: أي مستقبل للسكان والهجرة في القرن الحادي والعشرين؟

القسم الثالث : نحو عقد ثقافي جديد؟

آفاق جديدة للثقافة التعددية والتعليم

وفيما يلي نماذج من الموضوعات المبحوثة:

1- نحو صدام للحضارات أم تجاه التهجين الثقافي؟

2- الآفاق الجديدة للثقافة: العولمة وعدم اليقين الثقافي والعنف

3- نحو ثقافات مهجنة

القسم الرابع : نحو عقد اجتماعي جديد؟

تعلم العيش المشترك

وفيما يلي نماذج من البحوث :

1- أي ديمقراطية في المستقبل؟

2- أي مستقبل لحقوق الإنسان؟

3- ما هو مستقبل وضع المرأة في العالم؟

4- ما هو مستقبل الطفولة في القرن الحادي والعشرين؟

5- ما هو مستقبل العمل وما هو مستقبل الوقت؟

القسم الخامس : نحو عقد أخلاقي جديد؟

العالم والعولمة

وفيما يلي نماذج من البحوث :

1- الثورة الصناعية الثالثة والعولمة .

2- هل تمثل العولمة فخا؟

3- عقد اجتماعي جديد لمرحلة جديدة من مراحل العولمة .

4- نحو نمط جديد من التنمية ونهاية الفقر .

ويمكن القول إن كل إشكالية معرفية من هذه الإشكاليات تنطوي على موضوعات بحثية متعددة. وهذه الموضوعات صدر بصددها كتاب بالغ الأهمية نشرته اليونسكو من تأليف فردريك مايور السكرتير السابق لليونسكو وأسهم إسهاما واضحا في تأليفه جيروم بانديه .

والكتاب عنوانه "عالم جديد" .

F.Mayor, J.Binde ; Un monde nouveau ; Paris ; Editions Odile Jacob ; 1999

(2)المشكلات الواقعية

في تقديرنا أن المؤسسة العالمية التي تخصصت في الفترة الأخيرة في حصر وتحديد المشكلات الواقعية التي ستجابه الإنسانية في القرن الحادي والعشرين هي جامعة الأمم المتحدة في طوكيو باليابان. وقد أسست هذه الجامعة مشروعا رائدا اسمه "المشروع الألفي" The Millenniumأصبح يصدر تقريرا سنويا بعنوان: "حالة المستقبل" of

the future وقد حرر التقرير الأخير الصادر عام 2002 Jerome .
C. Glenn & Theodore J. Gordon

ومما هو جدير بالذكر أن مركز الدراسات المستقبلية التابع لجامعة القاهرة أصبح مشاركا في وضع تقرير "حالة المستقبل" الجديد، وباعتباري أحد مستشاري هذا المركز فأنا مع مجموعة من الخبراء شاركنا بعرض رؤيتنا للمستقبل حتى يتضمنها التقرير الجديد .

وقد استطاع تقرير حالة المستقبل أن يضع يده على خمس عشرة مشكلة عالمية، بيان بعضها كما يلي :

1- كيف يمكن تحقيق التنمية المستدامة لكل الناس؟

2- كيف يمكن إتاحة الفرصة لكل فرد ليحصل على نصيبه من المياه النظيفة بغير صراع؟

3- كيف يمكن إقامة التوازن بين التزايد السكاني والموارد؟

4- كيف يمكن لديمقراطية أصيلة أن تنبع من النظم السلطوية السائدة؟

5- كيف يمكن لعملية صنع القرار أن تكون أكثر التفاتا لمنظور الأجل الطويل؟

6- كيف يمكن للعولمة وشيوع المعلوماتية والاتصالات أن تعمل لخير كل إنسان؟

7- كيف يمكن تدعيم البعد الأخلاقي للأسواق لسد الفجوة بين الغني والفقير؟

8- كيف يمكن تقليل مخاطر الأمراض الجديدة والأمراض القديمة التي عادت للظهور؟

9- كيف يمكن تدعيم القدرة على الحسم واتخاذ القرار في ضوء تغير طبيعة العمل والمؤسسات؟

10- كيف يمكن للقيم المشتركة واستراتيجيات الأمن الجديدة التقليل من الصراعات الإثنية والإرهاب واستخدام الدمار الشامل؟

خاتمـــــة

حاولنا في هذه الدراسة الوجيزة أن نقترح استراتيجية إعلامية عربية لتفعيل دور الإعلام في بناء واقع عربي جديد، في ضوء قراءة دقيقة للتغيرات في بنية المجتمع العالمي، وبناء على ممارسة بصيرة للنقد الذاتي العربي.

وعناصر هذه الاستراتيجية المقترحة يمكن إيجازها فيما يلي:

1- ضرورة رسم خرائط معرفية للاتجاهات الإيديولوجية في الوطن العربي.

2- تبني موقف رشيد من ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل.

3- حصر لمشكلات التواصل الثقافي مع الغرب.

4- الدعوة للإسهام العربي في مناقشة المشكلات الإنسانية العالمية، والتي تتمثل في عدد من الإشكاليات المعرفية والمشكلات الواقعية.

الفصل الثامن

الإرهاب و الإنترنت : تجليات رأي عام إفتراضي

1- حكاية الإستفتاء المثير

في شهر ديسمبر من سنة 2007 عرض موقع "الجزيرة نت" في ركن إستفتاء سؤالا يفترض- حسب مصمميه- الإجابة بنعم أم لا. وجاءت صياغة السؤال على النحو الآتي : هل أنت مع أم ضد التفجيرات الأخيرة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي على مقر هيئة الأمم المتحدة بالجزائر، والتي كما نعرف أدت إلى موت 41 شخصا من بينهم 17 موظفا من هيئة الأمم المتحدة

النتيجة هي انتفاضة الجهات الرسمية وقادة الرأي والنخب المثقفة في الجزائر ضد هذا الإستفتاء المثير وهو ما دفع بمسؤولي قناة الجزيرة إلى تقديم اعتذار رسمي ومحاسبة من كان وراء نشر هذا الإستفتاء. افردنا هذه القصة في مقدمة بحثنا للدلالة على كل هذا التداخل الذي أصبح يعيشه المشهد الإتصالي في نسخته االإلكترونية في المنطقة العربية وخاصة منه شبكة الإنترنت. فنحن أمام إشكال فكري وإجرائي في نفس الوقت ويمكن تلخيصه كالآتي : كيف يمكن التوفيق بين الحاجة التاريخية للعرب في الإستفادة المضاعفة من شبكة الإنترنت علميا وثقافيا وسياسيا وبين تداخل التوظيفات والقراءات الإنتقائية لها وخاصة تلك المتصلة بالتقدم المذهل لظاهرة الإرهاب.

إن إشكالية العلاقة بين كل من الإرهاب والإنترنت علينا اليوم مسائلتها ليس فقط إنطلاقا من مخرجات إعلام المجموعات الإرهابية بل أيضا إنطلاقا من مخرجات إعلام من هو ضد الإرهاب. لذلك لم يتسائل أهل الذكر لماذا صوت 54 ٪ من المستجوبين- كانوا جزائريين أم عربا- بأنهم مع الهجومات، وإتجهوا إلى البحث فقط في ثنايا سؤال لماذا

وقع عرض الإستفتاء على الراي العام. وحري بنا القول : "رب إستفتاء نافع"، فقد أظهر هذا الإستفتاء أن الإنترنت كوسيط يمكن أن يساعدنا- اتصاليا- على إظهار أشياء جد خطيرة في تفكير الناس وما علينا إلا تعميق سؤال لماذا استجابت تلك الأغلبية التي كثيرا ما أعتبرت أنها مسالمة وصامتة وقالت نعم للإرهاب. لقد جاءت شبكة الإنترنت لتكشف لنا وبشكل عرضي وعفوي أن الأغلبية الصامتة- وهي جزء من الرأي العام- في تعاملها مع وسائل الإعلام التقليدية كالتلفزيون مثلا ليست كذلك في تعاملها مع الإنترنت. فهي ومن خلال الشبكة تصبح قادرة بأن تقول لا أو نعم حتى وإن كان في ذلك تعارضا مع مصالحها ومبادئها وحتى وإن كان في ذلك تطرف وترحيب بالإرهاب. ربما يكمن الجواب في أن شبكة الإنترنت تشفي ضمأ التعبير عند الرأي الغائب- منذ عقود- عند عامة الناس، وذلك بغض النظر عن النتيجة والعاقبة، المهم هو أن تعبر، وما الإنترنت إلا فضاء لتأكيد هذا الحق. المثير فكريا في كل ما حدث وخاصة في قراءة نتيجة الإستفتاء، هو أن الفئة المستجوبة هي فئة متعلمة ومثقفة لأنها تتقن وبكل بساطة منهجية إستعمال شبكة الإنترنت. فهي أيضا فئة صاعدة في رأي عام عربي متحول كما يمكننا مستقبلا وإنطلاقا من هذا الإستفتاء إعتبار كل الجدل الذي أثير بسبب هذه القضية إحدى تجليات رأي عام إلكتروني عربي ونقطة تحول تاريخية كبرى في التأريخ لميلاد هذا الضرب من الرأي العام.

يبدو أن رجع الصدى الإعلامي للفكر الإرهابي على شبكة الإنترنت اليوم هو أقوى حضورا مما تبثه المجموعات الإرهابية ذاتها، ذلك أن ما يكتب ويسوق عن الإرهاب والعمليات الإرهابية إعلاميا وخاصة في

شبكة الإنترنت يفوق بشكل كبير ما يبثه الإرهابيون أنفسهم من رسائل إعلامية. هكذا وبعد سنوات من الخطاب التمجيدي بمزايا الإنترنت- والذي عليه أن يتواصل- وبالتحديد فيما يتعلق بدوره في المساهمة في رفع تحدى التنمية في الدول النامية، وامكانية شبكة الإنترنت في أن يكون لها كبير الأثر في تقريب الثقافات وتفعيل حوار الحضارات وتحرير الفئات المهمشة في مختلف المجتمعات الإنسانية، أصبح الجدل يأخذ بعدا تصعيديا تجاه شبكة الإنترنت، لتلصق بها صفات الإرهاب والشذوذ والقرصنة، والهوة الرقمية، وأصبحت شرطة الإنترنت لها اليوم سلطة أكبر من سلطة البوليس السياسي. تحول كل ذلك الإرث الفكري السريع الذي حققته شبكة الإنترنت ومعها تكنلوجيا الإتصال الحديثة هش وفي حاجة إلى إعادة القراءة وإلى إعادة طرح السؤال الفكري : مّا هو الحد الفاصل بين حاجيات الناس من شبكة الإنترنت ومختلف الإستعمالات السائدة اليوم. أصبحت الإنترنت عند البعض سببا في تهميش اللغات المحلية، وعاملا في عرقلة التجارة الوطنية في علاقتها بالعولمة، ومرتعا لتخريج إرهابيين. هكذا تحولت شبكة الإنترنت إذن من نعمة إلى ورطة يصعب حصر مخرجاتها وفرز وظائفها وبيان من هو المستفيد منها. لقد حل في تشخيص حال الإنترنت- وللأسف- خطاب الكأس نصف فارغة محل الكأس نصف معبأة.

سنحاول في هذه الدراسة وبالإعتماد على مقاربة نقدية تواصلية أن نفعل إشكالية كيف تحولت شبكة الإنترنت وضمن الإستعمالات المجتمعية إلى فضاء أمني في مواجهة الإرهاب أكثر منها فضاء مجتمعي تحرري وذلك ربما بسبب الخطاب المتفائل فوق العادة عن الإنعكاسات

الإيجابية المحتملة لشبكة الإنترنت على بنية العلاقات الإجتماعية وعلى سيرورة الممارسة السياسية. المستوى الثاني من الجدل يتعلق بسبل توظيف شبكة الإنترنت وكيف أعاد زواج الإرهاب بالإنترنت إشكالية العلاقة بين الوسيط ومضمونه بين الوعي ووعائه، بين الحوامل والثقافة. والغاية من هذه المقاربة هي تحديد إطار بحثنا والذي يبدو أنه يتمظهر في جزئين. الأول له صلة إمبيريقية بشبكة الإنترنت وهي احدى الإستعمالات التواصيلة الأكثر حضورا وتأثيرا في عدة أوجه من الصراع الإجتماعي القائم في الساحة السياسية والفكرية عربيا ودوليا. الثاني هو عبارة عن قراءة في إمكانية الحديث الفكري عن وجود مبحث يتعلق بسوسيولوجيا المجتمع الرقمي وخاصة فيما يتعلق بحالة المجتمع العربي. والسؤال المركزي الذي نريد البحث في فرضياته هو هل- حقا- إنزلقت شبكة الإنترنت عن سياقها ومدلولها الإجتماعي لتلامس الهامش والعنف أم أن الإنزلاق كامن على المستوى العربي في وسائل الإتصال الجماهيرية التقليدية وما حال الإنترنت إلا امتدادا لحال الصحيفة والتلفزيون وبقية وسائط الإتصال في الفكر العربي وذلك بسبب حالات الإقصاء والإقصاء المتبادل.

2ـ الرأي العام والإنترنت والإرهاب : السياق النظري

تهتم العديد من الإختصاصات الفكرية بدراسة العلاقة بين شبكة الإنترنت والإرهاب ويمكن هنا ذكر حقل العلوم السياسية، والعلوم التقنية وصولا إلى العلوم الأمنية والعسكرية لكن أردنا أن نفرد لبحثنا سياقا له صلة بسوسيولوجيا المجتمع الرقمي والتي تبحث في التداعيات والاستعمالات اليومية وغير اليومية للمنظومة التكنولوجية- المعلوماتية أو كما يسميها البعض بالمنظومة التكنو- إجتماعية. وهي

مقاربة تهدف إلى تخفيف وزر الخطاب التقنوي الأمني والذي أصبح منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر مؤثرا في تحديد مسارات فهم تكنلوجيات الإتصال الحديث في علاقتها بالمجتمع.

إن حضور الكومبيوتر وبرامجه المختلفة وتشابك أجهزته بات من ديكور الحياة اليومية ولا يمكن لأي عاقل تجاهل تدخله وتكييفه لأنماط إنتاج وصياغة العلاقات الاجتماعية على هيئة جديدة قد تقطع ما كان سائدا في الماضي. يوجد على سبيل الذكر لا الحصر شبكة معلومات تسهل العلاقات الذاتية من زواج وصداقة بالاستعانة بالإنترنت. يوجد كذلك اقتصاد وعلاقات بيع وشراء وقوانين تنظم التجارة الإلكترونية وهي في ازدياد مطرد وكذلك بورصة إلكترونية. كما تقدم المنظومة المعلوماتية المشبكة خدمات صحية وأخرى طبية وغيرها تعليمية، هكذا أصبحت المعلوماتية وشبكة الحواسيب عنصر محددا لماهية مجتمع المنشود.

إن جل البحوث التي تهتم بثل هذه الإشكاليات يطلق عليها بحثيا تسمية "سيولوجيا المجتمع الرقمي" أو يذهب البعض ولتعميق البعد الثقافي في الدراسات الاجتماعية التي تهتم بالمجتمع الرقمي إلى اعتماد مصطلح "إنتروبولوجيا المجتمع الرقمي" كما هو الحال عند كل من SALVAGGIO A. Salvino و Michel BAUWENS الأستاذان المشرفان على شهادة الماجستير في تعدد الوسائط والتفاعلية بمعهد الدراسات العليا ببلجيكا. فقد كرس هذان الباحثان ومن خلال إشرافهما على فريق من الباحثين جهدا كبيرا لتوفير مادة لتدريس أهم مكونات المجتمع الرقمي من زاوية سوسيولوجية. فقد خصص الجزء الأول من دراستهم الصادر سنة 2001 والذي يحمل عنوان

: "أنثروبولوجيا المجتمع الرقمي" على فصل خاص ب"الاقتصاد الرقمي"، وآخر عن تأثيرات الثقافة الرقمية على كل من الهندسة والموسيقي وبحث آخر عن "الدردشة والعلاقات الإنسانية" هذا بالإضافة إلى "جمهورية الإنترنت" وفصل عن تحولات الكتاب من العصر المادي إلى العصر الرقمي وختم الجزء الأول من هذا المؤلف بتساؤلات عن ماهية العلاقة بين الروحي والرقمي وأية علاقة من المحتمل أن تتأسس بينهما. في الجزء الثاني من المؤلف والذي صدر سنة 2002 تعرض الباحثان إلى مسائل تتعلق ب"الصحة الرقمية" وغيرها من المواضيع.

كما كان موضوع انتروبولوجيا الفضاء والمجتمع الافتراضي المبحث المبجل في دراسات الفيلسوف الفرنسي بيار ليفي، كان ذلك في كتابه "الديمقراطية الافتراضية" أو "الفضاء الافتراضي" أو "الثقافة الافتراضية". ويرى بيار ليفي أن تشبيك الحواسيب على المستوى الدولي أي في إطار إندماج تقنيات الإتصال وذلك بفضل لغة وبروتوكولات الإنترنت وخاصة فيما يتعلق بالإنترنت الواسع الإنتشار أي الإنترنت الجماهيري قد أدى إلى تبلور الإتصال الكوني بين البشر من كل اصقاع الأرض وإنصهار المعرفة الإنسانية في إطار معرفة جماعية. وقد أثار مشروع بيار ليفي الفكري في تصور مجتمع معرفي على قاعدة نظرية تبلور مجتمع إفتراضي قائم على تبني شبكة الإنترنت فضولا متناميا بين ناقد ومتحمس لهذا المشروع ويمكن في هذا السياق إعتبار كتاب المفكر الفرنسي فيليب بروتون " قدسية الإنترنت" ردا من بين عديد الردود على هذا المشروع الفكري والفلسفي المثير. إنطلاقا من هذا الإرث المعرفي ومن عدة مساهمات فكرية أخرى لا يسمح السياق بعرضها يمكننا أن نفعل مختلف الأبعاد السوسيولوجية لشبكة الإنترنت

ومنها قضية الإرهاب باعتبارها قضية مجتمع وقضية وقضية رأي عام محددة للمصلحة العامة.

3ـ شبكة الإنترنت : منتجة لرأي عام إلكتروني

تمكنت شبكة الإنترنت وفي ظرف وجيز وقياسا إلى وسائل إتصال أخرى من أن تؤسس لنفسها عذرية معرفية والتفافا أكاديميا وفكريا وسياسيا منقطع النظير. أكيد أن السبب في ذلك يعود إلى أصل نشأة شبكة الإنترنت والتي جاءت من مختبرات البحوث العسكرية والعلمية وترعرعت في سنواتها الأولى في الفضاءات الأكاديمية أي الجامعات وأن الإستعمال الجماهيري التجاري ألواسع يعتبر حديث النشأة. كما أن الإطار العام للوظائف التي كانت شبكة الإنترنت قد إنخطرت فيها قد مكنها من قيمة تضاهي القدسية، والتأليه، ومن بين هذه الوظائف يمكن ذكر الوظيفة الإخبارية إذ أصبحت شبكة الإنترنت بلا منازع وسيلة الإتصال الأسرع في نشر الأخبار وتداولها وخير دليل على ذلك تحول أهم الصحف والتلفزيونات إلى مواقع إخبارية على شبكة الإنترنت تنشر الأخبار على مدار الساعة، مساهمة في تشكيل فئة جديدة من الرأي العام العالمي، أصبح يطلق عليه بالرأي العام الاكتروني أو الإفتراضي. وإنتهت بذلك النسخة اليومية للصحيفة الورقية كوسيط حصري لنقل الأخبار والمعلومة بعد قرون من الهيمنة. ويمكن أن نظيف إلى الوظيفة الإخبارية الوظيفة التثقيفية والترفيهية، والوظيفة التعليمية، وظاهرة الإقتصاد اللامادي والتجارة الرقمية، والتعلم الإلكتروني عن بعد، لتتوج كل هذه الإضافات بإقرار المجتمع الدولي لهذه المسألة قمة في دورتين عرفت بقمة "مجتمع المعرفة والمعلومات" في كل من جينيف 2003 وتونس 2005.

تحول البحث العلمي والأمني في قضايا العلاقة بين شبكة الإنترنت والإرهاب إلى أحد المباحث المحبذة والسائدة في العلاقات الدولية وفي قضايا الشأن العام المحلي والدولي محدثة شروخا فكرية وقانونية ودستورية وثقافية في منظومة الإتصال الدولي. وإذا كانت العلاقات الدولية ولا زالت من المحاور الشائكة في الفكر الإنساني فقد دخل عليها ويشكل مريك منذ بداية هذا القرن محورا أكثر تعقيدا إسمه الإرهاب وآخر لا يقل عنه شأنا إسمه الإنترنت. وقد ساعدت الحرب الدولية المفتوحة على الإرهاب منذ تفجيرات الحادى عشر من سبتمبر 2001 وتعقيدات الإدارة والتحكم في شبكة الإنترنت على مزيد إشعال فتيل الفتنة في هذا الفضاء الإفتراضي وأصبحت الأطراف العابرة للقوميات تتقاتل أو تستعد للقتال ماديا عبر الحروب الإلكترونية وفكريا من أجل تشكيل رأي عام الكتروني يناصر قضايا هذا الطرف او ذاك، مستغلة في ذلك أفضل ما جادت به التراكمات العلمية والفكرية للعقل البشري على مر العصور.

وقد أدى هذا التداخل في منظومة الإنترنت إلى سوء التحكم المحلي والدولي في الشبكة بحكم التعارض بين السياسات الدولية للدول العظمى، ودور الشركات العملاقة في مجال تكنلوجيات الإتصال وضعف دور الدول النامية. لكن واقعيا وبعيدا عن الإفتراضي تؤكد عديد الأبحاث أن هناك أكثر من 5600 موقع على شبكة الانترنت تروج للفكر الإرهابي، وأنه يوجد نحو 900 موقع جديد تظهر كل عام، ورغم تراجع بعض المواقع الاعلامية وخصوصا التي تديرها القاعدة الا أن كل المؤشرات الأمنية تؤكد أن المواقع المتطرفة على الانترنت في تزايد مستمر. ونعرف أنه من الصعب اقتفاء أثر معظم المواقع

حيث أن المواقع التي تديرها مثل تلك الجماعات غالبا ما تغير عناوينها لتجنب كشفها أو تبدأ من جديد في الظهور في مكان آخر بمجرد اختراقها. فالمعركة الحقيقية مع الجماعات الإرهابية- كما يؤكد خبراء الإنترنت ولإرهاب- لم تعد على الارض وانما على مستوى سيبيري أي على مستوى الاعلام والإتصال الإفتراضيين، وأن التغطية الإعلامية للقاعدة أصبحت أكثر أهمية من العمليات الفعلية التي تديرها.

وفي هذا السياق علينا مسائلة إشكالية مدى مقدرة شبكة الإنترنت والجماعات الإرهابية على تشكيل جزء من الرأي العام العربي الإلكتروني لنصرة قضاياها بالإعتماد على شبكة الإنترنت وذلك كرد فعل على وجود رأي عام كلاسيكي عربي أحادي بوسائل إعلام تقليدية أحادية. إذن فنحن أمام فرضية تشكل رأي عام عربي أو إسلامي يرتكز على قاعدة محورية ألا وهي غياب الحريات الأساسية خاصة منها حرية التعبير عن الرأي والتي تعتبر حجر الزاوية في تشكل أي رأي عام إفتراضيا كان أو تقليديا. فحرية التعبير داخل شبكة الإنترنت لا يفكر فيها- لدى الجماعات الإرهابية- بإعتبارها امتدادا للحريات التقليدية أي حرية الصحافة وحرية العمل السياسي بل باعتبارها بديلا عنها.

من جهة أخرى تثير الإستعملات الإجتماعية لشبكة الإنترنت فيما يتعلق بعلاقاتها بقضايا الشأن العام فرضية إستحالتها تشكيل رأي عام إفتراضي ويكفي هنا الإستدلال بما ذكرته منظمة الألكسو من أن أكثر من 70 مليون عربي يعيشون حالة أمية، كما أن نسب إنتشار الحواسيب بين المواطنين ونسب الإشتراك في شبكة الإنترنت ضعيفة الحضور. ويحيل هذا الإستنتاج إلى أن إمكانية تشكل رأي عام

إفتراضي نخبوي وليس جماهيري ممكنة وذلك بالعودة إلى ما قامت به حركة كفاية المصرية اثناء الإنتخابات الرئاسية المصرية من عصيان ومعارضة اساسها كان من خلال توظيف شبكة الإنترنت وخاصة المدونات، كما أن عديد الإحصائيات في المنطقة العربية تؤكد بأن إستعمال شبكة الإنترنت كان السبب الرئيسي وراء محاكمة الصحفيين في عدة دول عربية. ومن جديد نلتقي بمأزق غياب حرية التعبير الذي ذكرناه سلفا والذي بدا لنا عاملا في تشكل رأي عام إفتراضي، تحول إلى معيق لتشكل نفس هذا الرأي العام بحكم اصدار الدول العربية حزم من القوانين المنظمة للإنترنت وتأسيس شرطة خاصة بهذه الشبكة.

رغم كل تلك العوائق فإنه علينا بيان أهم عائق فكري وثقافي يقف حجر عثرة أمام شبكة الإنترنت ومقدرتها على فرز التمثلات المجتمعية بشكل حر، ألا وهو وقوع شبكة الإنترنت سبية حرب- حسب تعبيرة كاتب ياسين في حديثه عن اللغة الفرنسية بعد ثورة التحرير الجزائرية- إسمها الحرب الدولية لمحاربة الإرهاب والتي يقودها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والجماعات الإرهابية، وتقوم بترجمتها عمليا عديد الأطراف المحلية على أرض الواقع. إن هذه الفرضية هي التي تبدو لنا بمثابة المحدد في تشكل رأي عام عربي إفتراضي وكيف أن السيطرة الرمزية على شبكة بوصفها وسيلة اتصال واعلام ما هي إلا سيطرة رمزية على الوسيط من حيث الإدارة والمضمون، وهي سيطرة تهدف إلى فرض مقاربة في ماهية الشرعية السياسية التي حولها يتشكل أي رأي عام وطني.

4ـ الإرهاب والرأي العام ومعركة شرعية ممارسة العنف

يعرف الإرهاب على أنه الممارسة غير المشروعة للعنف وتعرف الدولة ضمن تعريفاتها المتعددة بأنها الجهاز الوحيد الذي يستأثر بالعنف وله شرعية ممارسته. ويمكن من خلال هذان التعريفان القول أن الإرهاب هو ممارسة العنف غير الشرعي من أجل الوصول إلى شرعية ممارسة العنف كأسلوب للوصول إلى تحقيق الشرعية السياسية. إذن فجدل ممارسة شرعية العنف هو جدل حول الشرعية السياسية أو التاريخية لنظام الحكم القائم. وتتمع الدولة- انطلاقا من مفهومها وظائفها- بحق ممارسة العنف دستوريا، وذلك حتى يعم الأمن والسلم الإجتماعين، وفي غياب هذه القاعدة فإن الفوضى ستعم المجتمع. وحتى يصل أي مجتمع إلى درجة متقدمة من التحضر والتقدم فلا بد من توفر مناخ من الإستقرار والتواصل الحر بين الناس وبعيدا عن كل أشكال الإكراه، وهو ما يستدعى من أن يكون حق ممارسة العنف (الإعدام، السجن، العقاب، النفي..) في قبضة جهة واحدة لا أكثر هي الدولة. فالإرهاب يعتبر محاولة للإستئثار بالعنف الذي تختص به الدولة والحلول محلها بطريقة غير شرعية. وتحاول بعض التنظيمات ممارسة الإرهاب من خلال تشكيكها في مشروعية الحكم وأسس الدول التي لها حق ممارسة العنف ضدهم. ففي عدة دول عربية مازالت إشكالية شرعية الحكم التاريخية أو الدستورية محل سجال علني أو خفي كان ذلك في حكم الأسر والعائلات أو في حكم الجمهوريات والملكيات. وكما هو الحال مع أغلب حالات الإرهاب في العالم، فإن القاسم المشترك بينها هو الرفض الإقصائي لشرعية الآخر، فحركة طابان تعتبر أن حكومة ما بعد حرب 2001 غير شرعية، ومنظمة إيتا تعتبر الحكم الإسباني لهذه

المقاطعة غير شرعي، وكذلك الأمر فيما يتعلق بحال العراق والشيشان، أو غيرها من حركات الإرهاب في العالم.

يعتبر الإرهاب بمفهومه العام إذن "الاستخدام غير المشروع للعنف" فهو في الأصل ظاهرة قديمة متجددة، لكن الأضواء سُلطت عليه في السنوات الأخيرة، في ظل الأزمة الأخلاقية التي يعيشها النظام الدولي، وفي ظل الانتقائية في تطبيق قواعد القانون الدولي والشرعية الدولية وتوظيفها سياسياً، مما تسبب بزيادة أعمال العنف في مناطق مختلفة من العالم. ورغم الاتفاق الدولي على مفهوم الكفاح المشروع للدول والشعوب، فإن المجتمع الدولي لم يتمكن من الاتفاق على تعريف واحد ومحدد لمفهوم الإرهاب، نظراً لاختلاف المقاييس بين الدول، وتباين الرؤى حولها، فمصطلح العنف واستخدام القوة مفهوم نسبي الدلالة له وظيفته واستخداماته المحددة، وظروفه وبيئته، وهو ليس مجرد لفظ يُعد بذاته مستهجنا أو مستقبحا. كما يتوسع بعض الباحثين والخبراء في مفهوم الإرهاب ليشمل الهجمات ضد الأشخاص وضد الممتلكات، ويأخذ بعضهم بالحسبان بواعث الفاعلين، فيفرق بين الهجمات الجنائية والهجمات السياسية. ويخلط بعضهم الآخر بين الإرهاب المحظور والحق في المقاومة والاستخدام المشروع للقوة لإنهاء الاحتلال والحق في تقرير المصير كما هو الحال مع الصراع العربي الإسرائيلي.

عربيا يصعب القول بوجود مقاربة عربية رسمية في تعريف الإرهاب هذا رغم وجود اتفاقية عربية لمكافحة الإرهاب وذلك منذ سنة 1998 وذلك لغياب توافق عربي حول السياسات الخارجية للنظام الرسمي العربي، فعديد الدول العربية تتعارض مصالحها مع تعريف محدد لماهية الإرهاب مثل العراق ولبنان والسعودية والسودان والمغرب

بحكم وجود إما عدم إستقرار داخلي أو بحكم وجود أطراف تنادي بالإستقلال أو تمارس نوعا من أنواع العنف ضد الدولة قد تكون أطراف عربية وراءه. وعلى هذا الأساس إعتمدنا على مقاربة نخبوية لمفهوم الإرهاب عرفت بإسم "وثيقة مفهوم الإرهاب والمقاومة : رؤية عربية إسلامية" نشرت في يوليو تموز 2003، وقد أسهم في صياغة هذه الوثيقة حوالي خمسين مختصا وخبيرا عربيا، ووقع عليها ما مجموعه 96 شخصية عربية من أكثر من أربع عشرة دولة.

وقد عرفت هذه الوثيقة الإرهاب بكونه "الاستخدام غير مشروع للعنف أو تهديد باستخدامه ببواعث غير مشروعة، يهدف أساساً إلى بث الرعب بين الناس، ويعرض حياة الأبرياء للخطر، سواء أقامت به دولة أم مجموعة أم فرد، وذلك لتحقيق مصالح غير مشروعة، وهو بذلك يختلف كلياً عن حالات اللجوء إلى القوة المسلحة في إطار المقاومة المشروعة" وهو بهذا انتهاك للقواعد الأساسية للسلوك الإنساني، ومنافٍ للشرائع السماوية والشرعية الدولية لما فيه من تجاوز على حقوق الإنسان. وتشير ظاهرة انتشار الإرهاب في العالم إلى أزمة فكرية تعيشها المجتمعات المختلفة، التي ترتبط بفلسفة العنف في تحقيق أهدافها، ويُعبر تفشي أعمال العنف على الصعيد الدولي عن إشكالية سياسية تتعلق بطبيعة العلاقات الدولية المستندة إلى تحكم الدول القوية عسكرياً في مصالح الدول الأضعف. أما فيما يتعلق بالمقاومة فهي حسب نفس الوثيقة : "استخدام مشروع لكل الوسائل بما فيها القوة المسلحة لدرء العدوان، وإزالة الاحتلال والاستعمار، وتحقيق الاستقلال، ورفع الظلم المسلط بالقوة المسلحة، بوصفها أهدافاً سياسية مشروعة، وهو ما يتفق مع القانون الدولي وتؤيده الشريعة الإسلامية". وتستند مشروعية المقاومة إلى

مجموعة من المبادئ القانونية الثابتة، كحق المقاومة استناداً لعدم الولاء والطاعة لسلطة الاحتلال، واستناداً إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها، والدفاع المشروع عن النفس، والاستناد إلى قرارات الأمم المتحدة، والاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية المدنيين أثناء الحروب. ومن ذلك يتبين أن المقاومة عمل مشروع لتحقيق مصالح الشعوب التي تتعرض للعدوان والاحتلال، فيما الإرهاب يمثل اعتداءً على حق هذه الشعوب في الحياة والحرية وتقرير المصير. إن كل هذا السجال حول مصطلح الإرهاب ودلالاته ما كان ليحتدم لو لم تكن وسائل الإعلام وخاصة شبكة الإنترنت طرفا في صياغة أو فرض مفهوما أحدايا لتعريف محدد له، فقد تحول الإرهاب إلى مصطلح ميدياتيكي أكثر منه مصطلحا له علاقة بالسياسة المحلية والدولية، ونعرف أن كل مصطلح وعندما يصبح منغلقا على الميديا دون أن يتنزل في سياقاته الإجتماعية والسياسية يفقد قيمته المعرفية.

5ـ الإنترنت والإرهاب أو المهاجرون الجدد:

الإرهاب لا وطن له والإنترنت لا وطن له أيضا هكذا حدث الزواج بين الطرفين فإتحدا في الهجرة، زواج يبدو في حده الظاهر زواج متعة ولكنه في الأصل يعتبر زواج فتنة. والمهاجرون الجدد هو إحالة على هذا التلاقي بين ضربين من الهجرة : هجرة من يوصفون بالإرهابيين فهم في أغلب الحالات بلا وطن، وهجرة من يجوبون الفضاء الإفتراضي بدون جواز سفر فهم أيضا بلا وطن حتى وإن كانوا على المستوى الواقعي داخل أوطانهم. يلتقي مهاجرو الإنترنت بمهاجري ما يطلق عليه بالجهاد ليشكلوا ما يصطلح عليه البعض بالإرهاب الرقمي أو الإفتراضي أو الجهاد الإلكتروني وغيرها من المصطلحات الجديدة في قاموس العلاقات الدولية، والسياسة، وتكنلوجيات الإتصال. وتعتبر شبكة

الإنترنت في أدبيات الجماعات الإرهابية وسيلة مساندة ومساعدة لوجستيكية وذلك على عدة مستويات تبدأ من الدعم المادي والمالي في جمع التبرعات وتجنيد الإنصار وإستقطابهم إلى الدعاية والإعلام لنشر عقائد الجماعات الإرهابية وأيديلوجيتها هذا دون نسيان عنصر جمع المعلومة والخبر المناسب لإستغلالهما في إدارة الصراع مع الأطراف المستهدفة على أرض المعركة :خرائط، بيانات، إحصائيات، أخبار، ..وقد إزداد الإهتمام بشبكة الإنترنت من قبل الجماعات الإرهابية لما تقدمه هذه الشبكة من مزايا تواصلية تتمثل خاصة في قلة التكلفة، وسرعة الإنتشار، وضعف الرقابة المؤسساتية، وقوة التأثير على الرأي العام وعلى صناع القرار. كما أن الإحتضان الحميمي للجماعات الإرهابية لشبكة الإنترنت يعتبر استجابة تكتيكية تحولت إلى إختيار إستراتيجي لفك حصار وحرب دولية ضدها على الأرض وذلك منذ إعلان الحرب الشاملة والدولية على الإرهاب بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر 2001. فهي لم تعد حسب تعبيرة بيار بورديو تكتفي بالقول بأن الله معها بل تسعى أيضا إلى أن يكون الرأي العام معها. لم تجد تلك الجماعات من خيار غير هجر الفضاء الجغرافي لتحلق ومن جديد وفي حلة متجددة في الفضاء الإفتراضي أي داخل شبكة الإنترنت. لقد تحول الحصار الأرضي إلى إمتداد لتلك الجماعات داخل شبكة الإنترنت وبشكل يبدو منظم ومهيكل هدفه تعويض خسائر المعركة غير المتكافئة أمنيا وعسكريا في ساحة القتال التقليدي مع أجهزة دول العالم مجتمعة.

لقد فككت الضربات الموجعة للجماعات الإرهابية والتي وجهت من قبل التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب البنية التحتية الهرمية التقليدية لها لتتحول آلاف أو مئات الآف من الأنصار إلى جماعات بلا قيادات بلا بوصلة ولا مرشد تهتدى به. جاء الحل السحري في شبكة

الإنترنـت ذات البنـاء الأفقـي كبـديل عـن البنـاء العمـودي التقليـدي للجماعـات الإرهابيـة الـذي تهـاوى ليصبح البريد الإلكترونـي والرسـائل المشفرة، وصور الفيـديو القبلة الـتي يتجه إليها زوار وأنصار الجماعـات الإرهابية. وبما أن شبكة الإنترنت تتميز بكونها وسيط غير هرمـي فقـد التقت لاهرمية الجماعات الإرهابية مع لاهرمية شبكة الإنترنت، وهو ما يفسر حالـة التماهي وزواج المتعة بين الإرهـاب وشـبكة الإنترنت. هكـذا تتضح لنا ماهيـة العلاقة التواصلية الكامنـة بين الطـرفين وكيـف تـوفر شبكة الإنترنت تغذية منقطعة النطير للجماعات الإرهابيـة علـى مختلف الأصعدة، ومنها خاصة بقاء فكر الجماعات الإرهابية على قيد الحيـاة، بحكم أن شـبكة الإنترنـت، ليست زعميـا يسجن أو قائـدا يمـوت في ساحات الوغى ولا هـي صحيفة تصادر أو إذاعة تغلق أو موقعا عسـكريا للتدريب في جبال توريورا يقصف ويدمر فيهجر.

يوصف تنظيم القاعدة لـدى أخصائي مكافحة الإرهـاب- علـى سبيل الذكر- بأنه أول تنظيم مسلح يتحول من الواقع المادي إلى الواقـع الإفتراضي، وذلك عبر التوظيف المحكم لتكنلوجيات الإتصال الحديثـة ليصبح ما يماثل التنظيم المؤسس داخل قاعدة شبكة الإنترنت. وقـد أدى هذا التحول إلى ميلاد وتبلور مجموعة إفتراضية تدار مباشرة إنطلاقا مـن تجمع للعقائد والمبادئ المشتركة. لـذلك تسعى الجماعات الإرهابيـة إلى تحويل شبكة الإنترنت ليس فقط إلى فضاء للدعاية والترويج لأفكارهـا بل إلى تطويع وإقتيـاد هـؤلاء الهائمون في الفضاء الإفتراضي إلى قاعـدة الجهاد المفتوحة. فهي تسعى أيضا إلى توظيف شبكة الإنترنت مـن خـلال عرض المعلومة المضللة كحرب دعائية مضادة لما ينشر من أخبـار ووقـائع ونشاطات عـن الجماعـات الإرهابيـة تبـدو أنهـا مسيئة لـصورتها وأفقهـا النضالي. كمـا تستغل الجماعـات الإرهابيـة الشبكة لصياغة مضامين

تهديدية لزرع ثقافة الخوف والرعب ونشر صور وأفلام فيديو لمختطفين ومحجوزين وهي عمليات تهدف إلى شن حرب نفسية ضد العدو سلاحها الإعلام والإتصال الإلكترونيين. **ويتمظهر توظيف الإرهاب لشبكة الإنترنت في الاستعمالات الآتية :**

الدعاية والتسويق :

تعتبر حملات الدعاية والإشهار من العلامات التجارية للحروب النفسية ، فقبل ظهور الإنترنت كانت الجماعات الإرهابية تتعامل مع المعلومة القادمة من وسائل الإعلام التقليدية على قاعدة الإنتقاء أي إختيار الأخبار بما يخدم اهدافها الإستراتيجية ويساعدها على التأثير في الرأي العام. مع إنتشار شبكة الإنترنت أصبحت الجماعات الإرهابية هي المنتج والناشر والمسوق للمضامين الإعلامية الخاصة بها. النتيجة لهاذا التحول هو أن مضامين الفكر الإرهابي وما يكتب عنه لم يعد حبيس ما ينشره الآخر بل أصبح يفكر فيه تحت رعاية وإشراف مختصين في نظم المعلومات من الجماعات الإرهابية وهو تحول على قدر كبير من من الأهمية على المستوى الإتصالي. لقد أصبح النشاط السياسي للفكر الإرهابي لا يمكن تمثله بعيدا عن شقه الإتصالي وهذه نقلة نوعية في إستراتيجيات الجماعات الإرهابية الجديدة أو المهاجرون الجدد. لقد تحول النشاط والفكر الإرهابي الإتصالي من دائرة تقليدية تقوم على قاعدة الإنتقاء ونشر ما يستقيم مع مرجعية العقيدة إلى دائرة أن إنتاج المضامين الإتصالية عقيدة جديدة للعقيدة الأم ومؤسسة لها ، محدثة بذلك تغيرات هيكلية في درجة ونسق التسويق والإعلان لفكر الجماعات المتطرفة. أصبحت إمكانية إختيار المضامين الإتصالية ونوعية

الجمهور والعدو المستهدف وتوقيت بث الرسالة قضايا إعلامية جلية ومتناغمة مع بقية مفردات الفكر الإرهابي.

شبكة الإنترنت دليل عمل الإرهابيين :

تمثل شبكة الإنترنت بحرا من المعارف والمعلومات اللامتناهية والتي يتجه إليها الجميع وبدون استثناء ومنهم الإرهابيون الذين يسعون إلى وتوظيف شبكة الإنترنت بشكل نشط لتحقيق أهدافهم. فمن خلال وحدات البيانات والمعلومات عن شبكة النقل والموانئ ومولدات الطاقة الكهربائية والنووية ومواقع وزارات الدفاع والداخلية يتوفر الإرهابيين على مادة معرفية دسمة يمكن إستغلالها بيسر في تنظيم وتخطيط الهجمات الإرهابية. وتوظف كل تلك المعلومات والبيانات لصياغة أدلة عمل مرشدة تهتدي بها العناصر النشطة في الجماعات الإرهابية في كل مكان لتوظف في صنع القنابل والمتفجرات وتقنيات الكر والفر وفي كيفية مواجهة التحقيق.

الإنترنت مصدر للتمويل :

لا إرهاب بدون تمويل. فلكي تتواصل وتستمر في الوجود تجد الجماعات الإرهابية نفسها في حاجة ماسة إلى مصادر مالية لتفعيل نشاطها. إن سرية شبكة الإنترنت وعالميتها تتيح فرصة ذهبية للتمويل، فعديد الجماعات الإرهابية تعتمد على تبرعات الأفراد والجمعيات الخيرية والمنظمات شبه الحكومية التي تتعاطف معها أو التي اسستها بشكل تبدو أنها منظمات مدنية. تقوم تلك الجمعيات بجمع المال بإستعمال ما تتيحه شبكة الإنترنت تقنيا من سبل في الدفع الإلكتروني وذلك بشكل ملتوى وخفي يصعب تتبعه تكنولوجيا وأمنيا. وتقوم بعض

الجمعيات بعرض رقم حسابها البنكي على مواقع الإنترنت وفي غرف الدردشة والحوار والمنتديات الإلكترونية موفرة الفرصة لإنصارها والمتعاطفين مع أفكارها أو مشاريعها الخيرية (بناء مساجد، منح دراسية، إعانة المعوزين...) لتقديم المعونة بشكل طوعي وحر.

فضاء للإستقطاب والتجنيد:

كما تسعى الجماعات الإرهابية- ودائما عبر شبكة الإنترنت- إلى القيام بحملات تعبئة وتجنيد وإستقطاب لعناصر جديدة لفكرها كمقدمة لإنتمائها إلى تلك التنظيمات. إن عملية التبرع بالمال تحيل مباشرة إلى أن المتبرع بإمكانه أن يذهب أبعد في مساندته للجماعات الإرهابية وتعاطفه معها، فيقع تصيد من تبرع فيمطر بوابل من الرسائل الإلكتروني" من أطراف أخرى يكون مضمونها تعبوي وفكري كإرسال كتيبات ودليل لبعض السلوكيات والبرامج التثقيفية. وتوجد العديد من برامج الحاسوب المتطورة التي يمكن أن تسهل عملية الإتصال بين الإرهابيين وأنصارهم ومتصفحي بعض المواقع المنتمية لهم أو المتعاطفة معهم. ويحدث أن يدخل بعض متصفحي تلك المواقع في حديث ودردشة تلفونية أو المحادثة عبر الإنترنت لتكون بذلك مقدمة للتجنيد والتأطير التنظيمي والأيديولوجي وهي إحدى تجليات الدعوة على الطريقة الإفتراضية بعد أن حوصر الإرهابيين من الإلتقاء في الأطر التقليدية لتحركاتهم (المساجد، الجمعيات الخيرية والأهلية...). في مرحلة متقدمة من الحوار وتبادل الآراء ترسل إلى هؤلاء المهاجرون الجدد وعبر البريد الإلكتروني فتاوي ومجموعة من الكتب الإلكترونية كمحاولة لدفع متصفح الشبكة إلى التحول إلى عنصر نشط في الجماعة وذلك إنطلاقا من موقعه.

الحرب الإلكترونية :

تمثل الحرب الإلكترونية قمة الصراع بين الجماعات الإرهابية العابرة للقومية والجماعات القومية (الدول) فهي عملية إنتقال الهجمات إلى رحاب الفضاء التخيلي- الإفتراضي (مواقع الإنترنت) بغرض تدميرها أو تعطيلها أو تشويه محتوياتها، وتعطيل البريد الإلكتروني لجهات حساسة وشخصيات على مستوى القيادات السياسية مما يشل ويعيق وسائل الاتصال، أي أنه في حديثنا عن الجهاد الإلكتروني لا يوجد صدام أو تلاحم مادي بل مقدرة فنية وتكنولوجية فائقة. كانت البدايات الأولى التي أظهرت قيمة الإنترنت مع ما يطلق عليه بالهجمات الافتراضية التي حدث في أكتوبر من سنه 2000، عندما شنت مجموعة إسرائيلية هجمات على موقع حزب الله بعد أسر ثلاثة جنود إسرائيليين، حيث قام مختص إسرائيلي في الكومبيوتر هو ميكي بوزاغلوا مع مجموعة من قراصنة الإنترنت بحذف محتويات موقع حزب الله ووضع نجمة داود وعلم إسرائيل بدلا منها. رد حزب الله على الهجوم الإسرائيلي بهجمات مماثلة على مواقع حكومية إسرائيلية أهمها موقع مكتب رئيس الوزراء وموقع الكنيست وموقع غرفة التجارة وموقع بورصة إسرائيل وموقع بنك إسرائيل.

الإنترنت العميل المزدوج:

غير أن منهج توظيف شبكة الإنترنت هذا ذو حدين فالعديد من الجماعات يقع اقتفاء أثرها إنطلاقا من خطط مخابرية إلكترونية تستهدف الإندساس داخل هذا الفضاء وكشف أساليبه في التمويل والتجنيد وإيقاف كل من له صلة بالموقع الذي وقع رصده. وتستخدم

الإدارة الأمريكية ومخابرات أغلب الدول الرقابة على الشبكة في داخل الولايات المتحدة أو خارجها ، ففي الخارج تستخدم الرقابة لتأكيد الإشراف والتحكم في الشبكة، وفي الداخل لتأكيد الرقابة على المهاجرين أنفسهم وذلك من خلال تفعيل قوانين مكافحة الإرهاب Patriot Act. ومن ثم تتقمص شبكة الإنترنت من خلال هذا الدور الرقابي دور الجاسوس، كما عرف منذ عهد الاستعمار التقليدي، فالإرهاب يتجسس بالإنترنت على مؤسسات الحكومات، وتتجسس الدول ومخابراتها ومن خلال توظيف الشبكة على تتبع نشاطات الجماعات الإرهابية. وأصبح معروفا أن الولايات المتحدة تراقب كل شيء عبر الشبكة الدولية، بل يذكر أنه أصبح معروفا أن شركة ماكروسوفت تسلم السلطات الأمريكية الشفرة الخاصة بكل جهاز أو برنامج كمبيوتر تبيعه، مما يسهل لهذه السلطات مراقبة كل شيء يقع تبادله عبر شبكة الإنترنت وخاصة كل ما له صلة بالإرهاب فكر وتنظيما وتمويلا. إن ما يصنعه زواج الإرهاب بالإنترنت يتجاوز هذه العلاقة النفعية المتقلبة ليحدث وقعا أكثر تاثيرا إسمه لذة إستكشاف الإفتراضي.

6- تماهي الرأي العام مع الإنترنت أو "لذة" الإفتراضي

تمكن طبيعة الإنترنت التحررية وغير القابلة بشكل آلي وسريع للمراقبة الجماعات الإرهابية من فرص نشر ما تعتقد أنه صالح للنشر، غير أن ما يقع عرضه يأتى تقديمه بشكل مثير على المستوى الإخراجي، وذلك بهدف تضخيم الحدث وتقديمه بشكل يتجاوز حجمه الحقيقي. ويعود هذا بطبيعة الحال إلى الحجم الصغير لتلك الجماعات، فشبكة الإنترنت أصبحت الوسيلة لشد إنتابه الآخر وتضخيم الوقع الحقيقي

للحدث الإرهابي. إن المصادرة والإقصاء التي تعرضت لها الجماعات الإرهابية من التلفزيون ومن الإذاعة يجب توعويضهما بالنشر على الشبكة حتى تتكافئ مخرجات إعلام الجماعت الإرهابية مع مخرجات الإعلام الرسمي المؤسساتي، فالعلاقة علاقة حرب وقتال على كل المستويات. هكذا حولت شبكة الإنترنت مجموعة صغيرة لا يتعدى أفرادها أصابع اليد الواحدة إلى جماعات معورفة ومتداولة على السطح السياسي والإعلامي وذلك بمجرد نشر رسالة إلكتورنية تهديدية أو صور فيديو لشخصية محتجزة. تحدث الإنترنت الصدمة على الشبكة ليتحول الحدث الإرهابي إلى كرة ثلج إعلامية، فتتسارع وسائل الإعلام التقليدية لتتبع ما بثته شبكة الإنترنت. وهكذا يكون الإرهاب قد إخترق الجميع وحقق الهدف وهو أن يكون في أي فضاء وفي أي وقت، وبفضل الآخرين ظاهرا ومحل إهتمام اللرأي العام.

تماهت وسائل الإعلام مع تلك الأوعية والرسائل الإعلامية المختلفة حد التسابق والمنافسة، ويحدث أن تعلن بعض المواقع الإلكترونية أو القنوات التلفزيونية مسبقا جمهورها أنها ستبث لهم شريطا- مع تحديد دقيق لليوم والساعة- وصلها من جهة غير معلومة أو حزب أو شخصية غير مرغوب فيها، فيتسمر الرأي العام أمام جهاز الكومبيوتر أو التلفزيون كما يتسمر أيضا القادة الكبار في أكثر من دولة لمتابعة الحدث. إنها فرجة تشبه نهائيات كأس العالم أو مسابقات الفرميلا واحد. أشخاص مغمورين تحولوا إلى نجوم وإلى أكثر الناس المطلوبين، ووعود بملايين الدولارات لمن يأتي بأثرهم. أحزاب أو جماعات (جند الشام، القاعدة، ...) تحولت عبر شبكة الإنترنت هي الأخرى إلى سلطة وقوة توازي قوة وسلطة دول وأجهزة كبيرة. مراكز مختصة

ومؤتمرات بميزانيات خيالية وكتب بطباعة فاخرة يلقى به في السوق تحلل وتناقش وتحاول إماطة اللثام عن تلك الفئات لتشكل شيئا من المختصين تنقصهم فقط الرتب العسكرية يتنقلون من تلفزيون إلى آخر ومن مؤتمر إلى آخر لتتحول قرائتهم في بعض الأحيان إلى شكل من أشكال التنجيم. إختلط الحابل بالنابل والمقاومة بالإرهاب، الإعلام بالتضليل والإتصال بالتجسس والأمن بالقمع والمصلحة بتحجيم حرية التعبير يحدث هذا في الدول المتقدمة والمتخلفة على حد السواء، والفضاء واضح وجلي أنها شبكة الإنترنت العالمية.

أثار بث الأشرطة التي تعرض على شبكة الإنترنت والفضائايات العربية والأجنبية صور الرهائن الغربيين في كل من العراق وأفغانستان إستياء كل الجهات الداخلية والخارجية وكان أن إنتهى الجميع إلى أن ما يعرض ليس بالعمل الأخلاقي، وتحولت تلك الصور إلى مسرح فرجوي إعلامي لم يألفه المواطن العربي والغربي على حد السواء. من قال أن تلك الوسيلة النبيلة -الإنترنت- لإعلام الناس والتواصل بينهم يمكن أن تتحول إلى أحد أقوى الأسلحة الحديثة في تصفية حسابات عقائدية وسياسية وتغيير إستراتيجيات دول بأكملها. تحولت تلك الأشرطة أيضا إلى مادة دسمة لقوى الأجهزة المخابراتية في العالم لتشفيرها وتفكيك رموزها ليلتقى خيرة علماء النفس والأمن وكبار مهندسي التقنية وغيرهم من المختصين يقضون الليالي والساعات لصياغة تقرير في بضعة أسطر- للسلط العليا- عن الرسالة التي تريد تلك الجهة أن تمررها عبر ذلك الشريط المسجل أو تلك الرسالة الإلكترونية. في المقابل مثلت تلك الأشرطة علاجا نفسيا لعدد كبير من الرأي العام وخاصة فئة الشباب المحبط باليأس والذي ترسخت في ذهنه مقولات مكررة مفادها أن أصل مشاكلنا قادم من الغرب ومن الرأي العام وقد حق فيهم الجهاد، وكان

هؤلاء الشباب يتلذذ مشاهدة تلك الصور ويبدع في سبل فك شفرة المواقع المصادرة لإشباع ضمأه مرددا مقولة : "من قال لهم بالمجيء إلى العراق أو أفغانستان"، "ليتذوقوا عذابات أطفال فلسطين والعراق". يحدث هذا حتى مع من جاؤوا للمساعدة الإنسانية أو للتغطية الصحفية، ورغم كل التوسلات يتلذذ المخرج والمتفرج المبحر ومصمم الموقع الإلكتروني بعذابات الضحية.

يمرر كل ذلك من خلال وسائل الإعلام والإتصال وخاصة شبكة الإنترنت ويمكن التكهن مستقبلا بإحتدام المشكلة أكثر مما هي عليه وبتوظيف أسوأ لتكنولوجيات الإتصال الحديثة. أمام كل ما يحدث يتهرب الجميع من طرح سؤال لماذا وصلنا إلى مثل هذا التعامل مع الإعلام والإتصال في نسخته الرقمية؟ من جهة أخرى توصف تلك الجهات بإجماع الكل ودون سابق معرفة وتنسيق عبر وسائل الإعلام بأنها إرهابية أو كلاب ضالة أو مرتزقة أو عصابة أو متمردين أو غيرها من التسميات التي تؤسس وتشرع لتلك الأطراف أكثر من أن تدفع بالسؤال والبحث الفكري المعمق لنسف وتقويض أيديولوجيتها. ما يمكن أن نستنتجه هو أنه يوجد تداخل كبير في توظيف وسائل الإعلام والإتصال اليوم في الوطن العربي، وقد كان لما يحدث في العراق دورا كبيرا في إظهار هذا الإشكال على السطح وكيف تحولت ضرورة تحويل ملف الإنترنت إلى قضية فكرية تستدعي تدخل الباحث وقراءة التاريخ إلى حاجة مجتمعية. التوظيف غير النزيه لا يستثنى طرفا أو جهة بعينها: دولا ونخبا ومجوعات إرهابية، بل إن قوانين محاربة الإرهاب وإنطلاقا من أمثلة واقعية وفي أكثر من دولة عربية أو غربية قد قلصت من حرية التعبير وحرية وسائل الإعلام عما كانت عليه.

مثل هذه النتيجة يستفيد منها أكثر عدو حرية التعبير ويتضرر منها من هو مدافع عليها ، لأن في تعامل الدولة مع إشكالية محاربة الإرهاب يوجد خلل معرفي. فهي لم تسعى إلى تحويل الصراع الدائر مع الإرهابيين إلى صراع بين المجتمع وفكرة الإرهاب- نقول فكرة الإرهاب وليس الإرهابيين - بل سعت إلى حصره في شكل صراع بين السلطة التي تمتلكها والإرهابيين الذين تحاربهم مما حول جزء من المجتمع الذي يتعامل مع شبكة الإنترنت إلى رهينة أو سبية الحرب الدولية لمواجهة الإرهاب في قبضة الدولة من الجهة والإرهابيين من جهة أخرى. هكذا تحولت أيضا وسائل الإعلام وحرية التعبير بإسم محاربة الإرهاب إلى رهينة في قبضة الدولة أو في قبضة الإرهابيين في حين أن وسائل الإعلام وحرية التعبير هي قضية مجتمع وليست قضية دولة أو سلطة أو جماعة متدا رفة. وجدت الدولة نفسها من خلال خطابها السياسي والإعلامي تشرع للعدو من خلال لجم الصديق أو الحليف لتداخل الأدوار والمفاهيم والقوانين وماهية حرية التعبير ووظيفة وسائل الإعلام كلما إلتقينا بقضية الحرب والمقاومة والإرهاب في الفكر أو في الممارسة. تحولت الإنترنت إلى أسيرة القراءة المخابراتية ومعها أصبح توظيف بقية وسائل الإعلام كقاعدة أمامية في إدارة الحرب على الإرهاب. ويبدو أن أمام غياب القراءة السوسيولوجية من جهة وأمام كل هذا الإلتفاف الأمني والإتصالاتي من جهة أخرى. أصبحت شبكة الإنترنت تتراجع يوما بعد يوما عن خصائصها التحررية والإنسانية بوصفها وسيلة الإتصال الأفضل والأنجع في تشكيل الرأي العام الحديث وتوهج المجال العمومي.

7ـ المقاربة الإتصالية في نقد العلاقة بين الرأي العام والإنترنت والإرهاب.

تتقاطع المقاربة الإتصالية لشبكة الإنترنت وهي مقاربة من بين المقاربات العديدة- الأمنية، السياسية، الإقتصادية- لفهم سبل مقاومة الإرهاب والذي لا يمكن وتحت أي خلفية علمية أو فكرية تبريره، مع نظريات سوسيلوجيا المجتمع الرقمي والتي تهتم بالإستعمالات الإجتماعية لتكنلوجيات الإتصال : شبكة الإنترنت، الهاتف الخلوي، البث الفضائي القمي. وتريد المقاربة الإتصالية على المستوى الفكري تفعيل الأسس التواصلية لشبكة الإنترنت والتي بسبب مجموعة من العوامل المركبة والمتداخلة محليا (الفقر، الأمية، الإستبداد السياسي..) ودوليا (الفجوة الرقمية، إحتكار الشركات الكبرى لتدفق المعلومة...) حولت شبكة الإنترنت وخاصة في دول العالم الثالث ومنها الدول العربية إلى موضوع تفكر فيه السلطة وتقننه مؤسساته وترتع فيه قوى مهمشة ومهاجرة. وتعتبر قضية المصالحة بين الإنترنت كوسيط تحرري وبين وظائفة الثورية المغيبة من بين الإشكاليات المعرفية المركبة في الفكر العربي. إن تلك الوظائف لا يمكن لها أن تترسخ بعيدا عن قراءة فكرية تأخذ بعين الإعتبار القيمة المعرفة الآتية : إن شبكة الإنترنت هي أفضل ما توصل إليه العقل البشري فيما يتعلق بالتثاقف والتحاور وتبادل المعلومات والحق في الإتصال من أجل ديمقراطية أكثر تشاركية.

وتعتبر قضية محاربة الإرهاب الدولي من المسائل المفتوحة على مصراعيها حتى قبل هجمات الحادى عشر من سبتمبر، وقد زادها التقدم التكنلوجي المذهل للشبكة تعقيدا. وأصبح السؤال السائد الآن هو هل أن الحرب على الإرهاب عبر شبكة الإنترنت هو الطور القادم من

الحروب. ويعد النموذج العربي في قلب هذا الصراع بحكم أن عديد التقارير الدولية تتجه بالتشخيص على أن المنطقة العربية هي على المستوى المحلي والدولي الأرضية الخصبة والخفية لنشأة وتطور هذا الضرب الجديد من فنون القتال لدى الإرهابيين. فمن بين الإستنتاجات السائدة في تحليل ظاهرة العلاقة القائمة بين الإرهاب والإنترنت في المنطقة العربية تبدو مسألة انحسار الديمقراطية، وغياب حرية التعبير من بين العوامل المباشرة والمحفزة على إلتفاف الفكر الإرهابي على شبكة الإنترنت.

إلى زمن ليس بالبعيد كان الحديث عن وسائل الإعلام ونقدها محتشما قياسا للتجاوزات التي تمارسها، والسبب يعود إلى المقدرة على السيطرة على وسائل الإعلام التقليدية (صحافة، إذاعة تلفزيون...) أما مع ظهور شبكة الإنرنت، وإنشطار الهيكلة التقليدية لعملية نشر وتبادل المعلومة فقد بات عنصر مراقبة مخرجات وسائل الإعلام وتجاهل التوظيف السيء لدورها غير مبرر اغفاله، فمن بين انعكاسات توظيف الإرهاب لشبكة الإنترنت هو ضرورة إعادة التفكير في الظاهرة التواصلية في شموليتها وليس فقط عزل شبكة الإنترنت منفردة وإعتبارها الفضاء الوحيد المزعج. لذلك عاش المشهد الإتصالي العربي انفجارا كميا بعد أحداث 11 سبتمبر لأن العديد من النخب والدول الغربية توجهت بالنقد إلى الأنظمة العربية وفشلها في إدارة ملفات حرية التعبير والمشاركة السياسية وحرية الصحافة. إن التوظيف المتعدد التوصيفات لشبكة الإنترنت هو بالضرورة إحالة على أن بقية وسائل الإتصال والإعلام لا تقوم بدورها الصحيح، وأن تنقية شبكة الإنترنت

من شوائبها لا يستقيم بدون تنقية المجال الإعلامي والاتصالي برمته من الهيمنة الإقتصادية والإحتكار والتوظيف السياسي.

إن كل كائن يهمش سياسيا يسعى إلى خلق وتصور فضائات ووسائل إعلام هامشية لكنها فائقة التأثير لأنها لا تخضع إلى رقيب ولا هي مكلفة ولا تخضع إلى أخلاقيات ولا إلى قوانين، وهو ما نطلق عليه بالإعلام الموازي. عندما سيطرت الدولة على التلفزيون وكذلك على الإذاعة وذلك عبر مقص الرقابة والإقصاء لم تجد النخب الفكرية والسياسية في الوطن العربي من بد سوى اللجوء إلى شكل من الإعلام والإتصال أكثر ما يمكن أن نقول عليه اليوم هو أنه جاء بمثابة رد الفعل على ما كانت تعيشه تلك النخب من إقصاء وتهميش إعلامي في التعبير عن رأيها وعرض تصوراتها عن المجتمع البديل. كان من المثقفين من هجر إلى الخارج الأوروبي والغرب الأمريكي المتحرر أو الداخل العربي جزائري في المغرب وتونسي في ليبيا وعراقي في سوريا وفلسطيني في لبنان ومصري في لندن. إضافة إلى هذه الظاهرة برزت مظاهر جديدة- خاصة داخليا- غير أنها ليست بمعزل عن الخارج تتمثل في شريط الكاسات وحلقات المساجد والكتب الدينية الصفراء. هذا الشريط غير المكلف وغير الباهظ وسهل الحمل وسريع النسخ وتلك الحلقات الفكرية العفوية بعد صلاة المغرب أحدثت بشكل مباشر أو غير مباشر أكبر إنقلاب على مضامين الثقافة السياسية السائدة بالإعتماد على الوسائط الإتصالية والإعلامية أي حوامل الثقافة السياسية في الوطن العربي في عصر دولة ما بعد الإستقلال.

لماذا إتجهت الجماعات الإرهابية إلى الإنترنت؟ سيكون الجواب الأول على شاكلة أن الإنترنت سريع وواسع الإنتشار وغير مكلف. قول

صحيح لكنه خادع ويتعامل فقط مع الإنترت في بعد التكنلوجي. لا يكفي كل ما ذكر حتي نتمكن من فهم ظاهرة الأسلمة التي يعيشها الإنترنت العربي. من بين أسباب إنقضاض الجماعات الإسلامية على الإنترنت هو إعتبارها أن هذا الفضاء فضاء هامشيا كهامشيتها في المجتمع وفي نظر السلطة. من جهة أخرى فإن النظرة السائدة إزاء الإنترنت داخل الدول العربية ورغم حضور خطاب متحمس لتكنلوجيات الإتصال الحديثة هي نظرة قيمية هامشية لا تعكس نظرة إستراتيجية لكون الإنترنت ظاهرة إتصالية وأنها أرقى التكنلوجيا على مستوى السرعة والتكلفة والإنتشار وأرقى أشكال التعبير عن الديمقراطية من زاوية إتصالية. تهتم الدول العربية بالإنترنت لإهتمام الآخر به أكثر من حاجة مجتمعاتها لفوائده، تهتم على سبيل المثال بالتجارة الإلكترونية حتى توفر البنية التحتية الإتصالية للشركات المتعددة الجنسيات.

كما يمكن العودة إلى الأرقام وحجم الإستثمارات العربية في شبكة الإنترنت وعدد المستخدمين حتى نتأكد من الرؤية الدونية لهذا الوسيط، هذا بالإضافة إلى أن الدول العربية هي أكثر الدول تخلفا وآخر الدول التي دخلت منظومة الإنترنت. توجد إذن علاقة نفعية أسس لها رصيد ومروث سيء للإعلام التقليدي على مستوى السياسة الإعلامية والهيكلة والتشريع. إن أصل التعامل العربي الرسمي مع الإنترنت هو عبارة عن تاريخ التعامل مع الصحيفة نضيف له تاريخ التعامل مع الإذاعة زائد أسلوب التعامل مع التلفزيون. إنه طبقة فوق طبقة فوق طبقة. هكذا يصعب فهم الإنترنت بعيدا عن أركيولوجيا وسائل الإتصال والإعلام في الوطن العربي، وهكذا أيضا شرعت الإنترنت قمع السلطة وهامشية

الفضاء الذي عبره تؤسس الجماعات الإرهابية لفكرها ولحصانتها السياسية وللحفاظ على تواصلها مع أنصارها والرأي العام.

لذلك إنزلقت شبكة الإنترنت عن سياقها الإجتماعي لتصبح فضاءا هامشيا للهامشيين لأن الفاعلين الأصليين والحقيقيين وقع إقصائهم أو لم تكن السلط العربية معنية بهم وهم الفنانين والمثقفين والأكاديميين. هكذا بقي الإنترنت لقمة سائغة في يد خليط من التطرف الديني أو السياسي والفكري أو حتى الكروي، إنهم لفيف من اليساريين والإسلاميين والجمعيات الحقوقية والمدنية والخيرية لا نسمع عنها لا في التلفزيون ولا في الإذاعة. تحول الإنترنت إلى مرتع لمن لا نسمع بهم ولا نعرف عنهم شيئا لذلك نقول أنه لو كان لتلك الجماعات منذ بداية تبلورها كفكرة جنينية مساحة ولو متواضعة في الإذاعة والتلفزيون كوسائل إتصال جماهيري مؤثرة تمكننا من معرفة آراهم وفرصة محاسبتهم ومجادلتهم، فنخفف من وتيرة خطابهم ونقلم أظافر فكرهم المتطرف يمينا أو يسارا. نقول أن وسائل الإعلام بحكم سلطتها الثقافية ورأسمالها الرمزي بإمكانها أن تصقل التفكير وأن تتحول إلى مدرسة للديمقراطية ومراجعة الأفكار لأنه لا يمكن لأي متدخل في إطار برنامج إذاعي أو تلفزيوني إلا أن يفكر في الجمهور ورد فعل الجمهور. إذا كان هذا الحال مع التلفزيون فإن الإنترنت لا يوفر مثل تلك الخاصية لأن الإنترنت لا توفر لك في لحظة واحدة وأثناء عملية التصفح ملايين المشاهدين أو المستمعين لأن الإنترنت هي بيت بلا نافذة ولا أبواب يدخله من يشاء ويخرج منه من يشاء أما التلفزيون فله أخلاقياته وتقاليده وأدبياته في الإعلام والإتصال والديمقراطية.

التعبير إنطلاقا من الإنترنت هو تعبير بلا قيود أو حدود وهو تعبير ذاتي يدفع أكثر إلى التمسك بالثوابت أكثر من كونه دعوة إلى التنازل أو التحاور لأن كاتب العريضة أو الرأي على شبكة الإنترنت لا يعرف مسبقا من سيقرأه أو من سيستمع إليه فهو بذلك يتحدث أو يكتب إلى المطلق. هكذا تتوالد الأفكار والآراء على الإنترنت مطلقة ومتطرفة بها الشتيمة والسب والتكفير وقطع الأعناق وصور الرهائن. لذلك فإن الإنترنت عربيا هي منتج مهمش وأن كل إعلام وإتصال مهمش وخفي مثله مثل كرة الثلج كلما تدحرجت كلما كبرت.

لا بكاء على الإنترنت بل حري من يريد أن يبكي أن يبكي التلفزيون والإذاعة اليوم على تخلفهم عن أداء دور المرشد والصاقل والملطف للأراء. توجد جماعات متطرفة في الغرب الأروبي أو الأمريكي تتعارض مبادئها حتى مع مبادئ الجمهوريات هناك لكن لم يتم منعها من الإجتماع أو من الإنتخابات أو من إصدار صحيفة أو من حرية التعبير على الهواء. إنها تعي إنها إذا ما رفضتها فإنها ستلجأ إلى أساليب أخرى أخطر وأن فرصة التواصل المباشر والمقنن مع السلطة والمجتمع يمنح الجميع أحقية الحسم في أفكار هؤلاء وخاصة فرصة معرفة أفكار وآراء تلك الجماعات ونقدها ومقارنتها بالسائد. يصعب اليوم إذا ما توجهت إلى مواطنين عرب من الطبقة الوسطى أو حتى الراقية وسألتهم ماذا تعرف عن الفكر الإرهابي أو الإسلاميين أن تجد جوابا فسيعجز تماما عن الرد لأنه لا يعرف لا فكرهم ولا أدبياتهم ولا برامجهم السياسية بل إن الحديث عنهم تحول إلى حديث إفتراضي وبات خطاب السلطة يناجي نفسه وكفى.

نقول أن الإنترنت في الوطن العربي بصدد الإفلات من إمكانية أن تكون فضاء للتربية على الديمقراطية لأنها لا تفهم بوصفها عنصرا مشكلا للمجال العمومي. إنقلبت الإنترنت وفي غفلة من الجميع إلى فضاء جديدا ومحبذا للإقصاء والإقصاء المضاد ومرتعا للتجاذب الفكري الحاد القائم على قواعد النفي والتكفير. ما نتصفحه في مواقع الإنترنت العربية ما هي إلا إثنيات وطوائف ومثليين وأعراق وملل ونحل ومهمشين كلهم على الهامش وغير معترف بهم لا من السلط العربية ولا من الجمهور. كل يدق ناقوس إمتلاكه الحقيقة المطلقة، ينشرها يوميا على الإنترنت عسى أن يقع أحد في حبال شباك الشبكة العنكبوتية. أما إذا كان أحد هؤلاء المتطرفين يتحدث مباشرة على الهواء وفي التلفزيون فإنه سيستحى من قول شيء يبدو أنه حقيقة مطلقة بل سيتحدث عن حقيقة نسبية لأنه لا يريد أن يخسر الناس ويزعج الجمهور أو أن يقول شيئا غير متواضع عليه أخلاقيا أو إجتماعيا أو سياسيا. فوسائل الإعلام هي فضاء لبلوغ نوع من التوافق الإجتماعي تكون فيه النسبية هي المنتصرة. هكذا شيئا فشيئا سنة بعد سنة بالحوار والتواصل يمكن ترويض السلطة ومن ضدها دفاعا على المصلحة العامة لأن الجميع في مركب واحد، كما يمكن أيضا بيان أنه لا توجد حقيقة مطلقة وأنه بفضل وسائل الإعلام وفضائات الإتصال يمكن أن نحول الحقيقة إلى نسبية. غير أن شبكة الإنترنت تعتبر ملكية فردية لفضاء عمومي لذلك يصعب عليها توفير الإجماع والتوافق حول جملة من الثوابت المشتركة كمقدمة لتحويلها إلى ملكية رمزية لوسيط محدد لتضاريس الرأي العام الصاعد.

8- خاتمة : إعادة صياغة سؤال القيم التواصلية

يصعب فهم ظاهرة العلاقة بين الإرهاب وشبكة الإنترنت والرأي العام بعيدا عن قيمة التواصل بوصفها قيمة ثقافية وفكرية إنسانية ثابتة. إن غلبة فكرة الإرهاب على قيم الإنترنت تأكيد على أن الإشكال القائم يعود في الأصل إلى غياب الحوار والتواصل. هكذا يبدو أن سبر أغوار القضية الإعلامية والإتصالية داخل المجتمع العربي ليست بالأمر الهين وذلك لارتباطها بكل عناصر التطور التاريخي بدأ بالسياسي وصولا إلى الثقافي وإن إغفال عنصر الإعلام والإتصال من لآليات الحراك التاريخي المنتظر ومن إستراتيجيات العمل السياسي العربي إعلان جديد عن فشل النظام الرسمي العربي في إدارة صراع الإختلاف داخل المجتمع، كما يعرض الآن وكما إلتقينا به بمسميات أخرى في السبعينات من القرن الماضي. أردنا أن نقول أن للإتصال في الوطن العربي وسياساته إرث وقسط وفير في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي القائم اليوم. ذلك أن كل خصائص المشهد السياسي والمتمثل في صعود المد الإسلامي لم تحاربها الدول العربية ومن ورائها أمريكا إلا بكلمة واحدة هي الإرهاب. كأنها بإطلاق عنان هذه الكلمة على الأثير وطباعاتها يوميا على الصحف قد تخلصت من المشكلة ومن حضورها في النسيج السياسي للمجتمع. يخطئ من يزعم أن ما يحدث يمكن عزله عن فضاءات التعبير أي عن وسائل الإعلام والإتصال وخاصة منها شبكة الإنترنت.

من بين التعريفات الفكرية النادرة لمفهوم الإنترنت في المكتبة العربية المعاصرة يعترضنا تعريف المفكر محمد عابد الجابري لشبكة الإنترنت إذ يقول "هذا العالم الجديد، عالم الإنترنيت، يضم جميع

أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة أخرى، فقط مع هذا الفارق وهو أن جميع أشيائه وأنشطته تسمى بأسماء يسبقها أحد المقطعين، سيبر cyber، وتلي télé. الأول يدل على التحكم، والثاني معناه عن بعد. أما هوية الأشياء التي يحتويها والأنشطة التي تتم فيه فتتحدد بالوصف اعتباري: virtuel. ونحن نترجم هذه الكلمة بـ "اعتباري"، وليس بـ "افتراضي" أو "وهمي" حسب المعنى الأصلي للكلمة، لأن الأمر هنا يتعلق، ليس بمجرد وجود تصوري مفترض من صنع الخيال أو الوهم، بل بوجود واقعي مشاهد عبرّ الصورة والكلمة وجميع الرموز، ولكنه مع ذلك "اعتباري" (من العبور والاعتبار معا)، بمعنى أن الاتصال فيه يتم عن بعد وعبر رموز". الإستنتاج الأهم في هذا التعريف هو إعتبار أن مخرجات الإنترنت أمر واقعي وليس إفتراضي أو وهمي كما يتعامل معه عربيا. والواقعي في حاجة إلى معاملة واقعية وليس إقصائية أو تكفيرية، فلا وجود لواقعية أكثر من التفكير العقلاني فيما هو واقعي. وختاما نقول أنه لا يمكننا أن نصحح الإنترنت إلا بما قادم من الإنترنت وليس من خارجه، لأن الإنترنت أمر واقع وواقعي، أي إلا بما هو أصيل في الإتصال كما يقول الجابري في حديثه عن التأصيل الفكري، كما لا يمكننا أن نحارب الإرهاب بالإنترنت فقط كما لا يصح توظيف الإنترنت لغايات إرهابية أيضا.

ـ مراجع مساندة في دراسة الإرهاب والإنترنت :

- بالعربية

- أرمان ماتيلار: الإعلام ضد الدولة : لومند ديبلوماتيك، مارس- آذار، 2001.

- أرمان ماتيلار : المهمشون في العالم الافتراضي : القمة العالمية حول مجتمع الاعلام، لومند ديبلوماتيك آب- اغسطس، 2003.

- مصطفي عبد الغني : الرقابة المركزية الأمريكية على الإنترنت في الوطن العربي، 2006 دار العين للنشر القاهرة، 171 صفحة.

- نرمين عبد القادر. رقابة شبكة الإنترنت : دراسة لتطبيقات برامج الحجب في المكتبات، cybrarians journal، (يونيو 2004) www.cybrarians.info/journal/no1/internet.htm.

- يحي اليحياوي : أوراق في تكنلوجيا الإعلام والديمقراطية، دار الطليعة، بيروت، 2004.

- بيل جيتس : المعلوماتية بعد الإنترنت (طريق المستقبل)، ترجمة : عبد السلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة 231، الكويت مارس 1998، 447 صفحة.

- الفضاء العربي :الفضائيات والإنترنت والإعلان والنشر، مجموعة مؤلفي، ترجمة فرديريك معتوق، الناشر: قدمس للنشر والتوزيع، لبنان 2003.

- نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات : رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة 276 الكويت ديسمبر 2001 ، 556 صفحة.
- نزيه الشوفي : الثقافة الهدامة والإعلام الأسود من هيروشيما إلى بغداد.ومن خراب الروح إلى العولمة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق .2005 .
- نصر الدين لعياضي : الإعلام التلفزيوني والإرهاب : القناعات والإختيارات، الإذاعات العربية، مجلة إتحاد إذاعات الدول العربية ، العدد ، 3- 4، تونس 2007.
- هويدا مصطفي : دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف وإتجاهات الجمهور نحو الإرهاب، الإذاعات العربية، مجلة إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد، 3- 4، تونس 2007.
- مايكل هيل : أثر المعلومات في المجتمع: دراسة لطبيعتها وقيمتها واستعمالها ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2004.
- عادل عبد الصادق :مكافحة الإرهاب عبر الإنترنت.. التحديات والفرص

http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/ANAL734.HTM
- جمال الزرن : تساؤلات عن الإعلام الجديد والإنترنت : العرب وثورة المعلومات (كتاب جماعي) منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005. ص : 109- 125.

- الجزيرة نت www.aljazeera.net هو موقع الكتروني تفاعلي تابع لمجموعة قنوات الجزيرة ويعتبر مع موقع إسلام اون لاين www.islameonline.com من قبل المتتبعين من بين أكثر المواقع العربية على شبكة الإنترنت إبحارا.
- ذكرت محطة الجزيرة الفضائية أن نتيجة الاستطلاع الذي اجري اثر الهجومين الانتحاريين في الجزائر في 11 كانون الاول/ديسمبر واللذين اسفرا عن 41 قتيلا بينهم 17 موظفا في الامم المتحدة، اظهرت ان 54 في المئة يؤيدون الاعتداءين.
- تفاعلا مع نشر الإستفتاء عنونت بعض الصحف الجزائرية الحدث مستنكرة، فصحيفة "الوطن" الجزائرية الناطقة بالفرنسية اعتبرته "استطلاع العار" وان "استطلاع الجزيرة ليس مجرد خطأ عابر. انه بكل بساطة ذروة احتقار الحياة الانسانية واهانة للاخلاق المهنية والقيم الكونية التي تعترف بها كل الاديان"، فيما تساءلت "لو كوتيديان دوران": "ماذا تريد الجزيرة؟". ووصفت "ليكبريسيون" ما حصل بانه "خطوة الجزيرة الناقصة" فيما كتبت "المجاهد": "اعتداء الجزيرة" و"لو جورنال دالجيري": "الجزيرة المتحدث الرسمي باسم القاعدة". وقالت "المجاهد" الحكومية ان "الجزيرة هي اليوم جزيرة محضنة للارهاب وقدرتها على احداث الضرر تتجاوز قدرة من يقتلون الابرياء من دون تمييز، لانها تسعى الى اضفاء شرعية على مجرمين انذال".
- أرمان ماتيلار: المهمشون في العالم الافتراضي: القمة العالمية حول مجتمع الاعلام: لومند ديبلوماتيك أوت، أغسطس 2003.

- مداخلة الباحث السعودي خالد الفرم أمام مؤتمر تقنية المعلومات والامن الوطني في العاصمة السعودية الرياض ديسمبر 2007 .

- حصرنا في موضوعات مؤتمر الإرهاب في العصر الرقمي الذي عقد في الأردن في صائفة 2008 ما يعادل 50 موضوعا وعنوانا فرعيا ومن بينها : التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب، 2. دور مؤسسات إنفاذ القانون في مكافحة الإرهاب، 3. مفاوضات الرهائن، 4. الاستجابة للكوارث، 5. التعاون والتنسيق بعد حوادث الإرهاب، 6. تحليل شبكات الاتصال خلال موقف اخذ الرهائن وبعده، 7. الدوافع الاقتصادية والاجتماعية للإرهاب، 8. الاختطاف، 9. حوادث الإرهاب على فنادق عمان: ماذا تعلمنا؟، 10.الاستجابة لمسرح الإرهاب وإدارته، 11. الجديد في بحوث، لإرهاب، 12. المجرمون والإرهابيون، 13. دور الدين في مكافحة الإرهاب، 14. دور التقنية في مكافحة، الإرهاب، 15. الإرهاب الفضائي، 16. حرب المعلومات الدولية، 17. حرب الشبكة، 18. امن المعلومات، 19. الأمن في عصر المعلومات، 20. الأمن الرقمي، 21. إرهاب المعلومات..ألخ.

- جمال الزرن : المدونات الإلكترونية وسلطة التدوين : مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، صيف 2007، أو راجع مدونتنا www.jamelzran.arabblogs.com

- راجع موقع : الفدرالية الدولية للصحفيين، بروكسل.

- راجع الوثيقة العربية لمكافحة الإرهاب. موقع جامعة الدول العربية.

- يمكن ذكر حزب الله في جنوب لبنان أو المقاومة الغراقية في العراق أو جبهة تحرير البوليزاريو في المغرب أو الحركة الإنفصالية في جنوب السودان، أو ممارسة تنظيم القاعدة للعنف في شبه الجزيرة العربية.

- وثيقة مفهوم الارهاب والمقاومة : رؤية عربية – اسلامية، تموز / يوليو 2003.
- نفس المرجع.
- نفس المرجع.
- راجع تقارير منظمات حقوق الإنسان وحرية الصحافة والتي تجمع على أن قوانين محاربة الإرهاب أثرت على الحريات السياسية والصحفية في دول عدة ومنها بالتحديد الدول العربية : مراسلون بلا حدود، المنظمة العربية لحرية الصحافة...
- جمال الزرن : تساؤلات عن الإعلام الجديد والإنترنت، العرب وثورة المعلومات (جماعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005. أو راجع مدونتنا www.jamelzran.arabblogs.com.
- لا تكاد تخلو دولة عربية من محاكمات لها صلة بحرية التعبير والإنترنت من تعطيل وإيقاف وسجن وقوانين زجرية، راجع التقارير السنوية للمنظمات الحقوقية العربية والعالمية (المنظمة العربية لحرية الصحافة، مراسلون بلا حدود..).
- محمد عابد الجابري : العولمة ومسألة الهوية : المشكلة والإشكالية، راجع موقع محمد عابد الجابري.

بالفرنسية:

- BRETON Philippe: Le culte de l'Internet. Une menace pour le lien social ? Paris : La Découverte, 2000 (Sur le vif.)

- FLICHY Patrice: L'imaginaire d'Internet. Paris :La Découverte, Sciences et société, (2001), 272p.
- HABERMAS Jürgen :L'espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société , (1962). Trad. Paris, 5eme édition française : Payot 1993.
- LEVY Pierre: Cyberdémocratie. Essai de philosophie politique. Paris : Odile Jacob, (2002), 283 p.
- MATTELART Armand (2001), Histoire de la société de l'information. Paris: La Découverte,Repères, 124 p.
- GARNHAM Nicholas: « La théorie de la société de l'information en tant qu'idéologie ». Réseaux, (2000), vol.18 n°101 p.53-91.
- DORTIER Jean François, « Vers une intelligence collective ? ». Sciences Humaines Hors série n° 32, avril-mai-juin 2001, p. 22-26.
- MATTELART Armand," Comment est né le mythe d'Internet" , Le Monde diplomatique août 2000.
- Gérard CHALIAND / Arnaud BLIN (dir.) : Histoire du terrorisme : de l'Antiquité à Al Quaida: Éditions Bayard, 2004, 668 p.
- Carol GLUCK : 11 septembre : guerre et télévision au XXIe siècle, Article in : Annales : histoire, sciences sociales, n° 1 janvier-février 2003, p. 135-162. Revue bi-trimestrielle (6 numéros par an), éditée par l'EHESS avec le concours du CNRS Editions de l'EHESS .
- Isabelle GARCIN-MAROU :Terrorisme : médias et démocratie Éditions des Presses Universitaires de Lyon, Collection Passerelles, 2001, 80 pages.

- Michel WIEVIORKA , Dominique WOLTON : Terrorisme à la Une : médias, terrorisme et démocratie Éditions Gallimard, 1987, 259 p.
- Philippe Braud, Violences politiques, Seuil, Paris, 2004, 281 p. : une analyse sociologique de la violence, notion au cœur de la relation terroriste.
- J.-L. Marret, « Terrorisme : les stratégies de communication », étude du Centre d'étude en sciences sociales de la défense, juillet 2003.
- P. Mannoni, « Le terrorisme, un spectacle sanglant » in « Violences », in Sciences humaines, Hors-série n° 47, décembre 2004-janvier-février 2005, p. 64.
- M. Wieviorka et D. Wolton, Terrorisme à la une. Media, terrorisme et démocratie, Gallimard, Paris, 1987, p. 210.
- Garcin-Marrou Isabelle, Terrorisme, Médias et Société, PUL, Lyon, 2001, p. 126. http://www.watan.com/index.php?name=News&file=article&sid=5498&theme=Printer
- GARCIN-MARROU Isabelle : Terrorisme, médias et démocratie, PUL, 2001.
- Tome I, 2001.
- Tome II, 2002.
- LEVY Pierre, Cyberdémocratie. Essai de philosophie politique. Paris 2002: Odile Jacob, 283 p.
- LEVY Pierre, World Philosophie. Le marché, le cyberespace, la conscience. Paris 2000: Odile Jacob, Le champ médiologique, 220 p.

- L'équivalent de " Dieu est avec nous ", c'est aujourd'hui " l'opinion publique est avec nous ". Tel est l'effet fondamental de l'enquête d'opinion : constituer l'idée qu'il existe une opinion publique unanime, donc légitimer une politique et renforcer les rapports de force qui la fondent ou la rendent possible.
- P. Mannoni, « Le terrorisme, un spectacle sanglant» in « Violences », in Sciences humaines, Hors-série n° 47, décembre 2004-janvier-février 2005, p. 64.
- L.NACOS Brigitte : Médias et terrorisme, du rôle central des médias dans le terrorisme et contre-terrorisme, Nouveaux Horizons, Paris, 2005.

الفصل التاسع

موقف الخطاب الديني من الإرهاب

توجد هجمة عارمة على العالم العربي و الإسلامي تساق فيها التهم المغلفة بعناوين ثقافية تدفعها تعقيدات سياسية متلاطمة الأمواج الأمر الذي جعلنا في موقع الدفاع عن هذا الإسلام العظيم فقد حاول العالم الشرقي والغربي منذ زمن بعيد فرض مفاهيمه الثقافية والفكرية على العالم الإسلامي لذا نجد أن الخطاب الديني اتهم بالعنصرية ومعاداة الساميّة، فالعروبة إرهاب والإسلام إرهاب والمسلمين إرهابيين هذه الكلمة أصبحت تطارد كل حر وشريف في العالم العربي والإسلامي والتبست معانيها عند كثير من الناس وزاد الأمر غموضا محاولات الغرب فلسفة معانيها لتتفق مع أفكاره ومصالحه وأصبحت المجتمعات العربية والإسلامية سوق استهلاكية تردد تهمة الإرهاب دون الوقوف على معانيها الحقيقية وكان من ثمار تلك السياسة أن أصبحنا نسمع عن الإرهاب الفلسطيني والإرهاب اللبناني والإرهاب العربي والإرهاب الإسلامي حتى إن رئيس معهد هدسون في أمريكا اتهم العرب جميعا وحمّلهم المسئولية عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأضاف قائلا: لذلك لا بد من محاربة العرب والمسلمين، ومن جانب آخر وجدنا الخلط الواضح في المفاهيم بين المقاومة المشروعة وتحرير الشعوب و الإرهاب، بحيث اتهمت تلك المقاومة بالإرهاب، وفي هذا البحث أردت أن أكشف عن براءة الخطاب الديني من هذه التهمة، وكذلك بيان وتأكيد أن الإسلام يحترم الإنسان بغض النظر عن عقيدته وقوميته ويحرم ويرفض الظلم بكل أشكاله بل ويحاربه لأن الإسلام دين الرحمة والتسامح والمحبة والسلام والتعاون والعلم والحضارة.

بين هذا البحث أن الخطاب الديني المعاصر يعتريه الضعف في مخاطبة المسلمين وغير المسلمين، أما ضعفه في مخاطبة المسلمين فانه

يتمثل في عدم تأثيره على جماهير المسلمين مباشرة نتيجة لعدم وجود الكفاءة العلمية، وكذلك الطريقة التقليدية لبعض العلماء في مخاطبتهم للمسلمين، وأما ضعفه في مخاطبته لغير المسلمين فقد ظهر واضحا في عدم تأهيل الدعاة المختصين بالعلم الشرعي وعدم معرفة عقلية وثقافة هؤلاء و كذلك غياب الأهداف الواضحة، وأيضا عدم الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي في تطوير أساليب الدعوة في مخاطبتهم كاستعمال الإنترنت وغيره، لذلك على الداعية أن يدافع عن هذا الإسلام العظيم الذي شيد أعظم حضارة عرفها التاريخ، تلك الحضارة قائمة على التوحيد والتسامح والسلام والتعاون والمحبة والأخوة، و الذي اتهم بالإرهاب والتطرف والعنصرية، والإسلام من هذه التهم بريء، فالإسلام حجة على المسلمين جميعا بأحكامه وتشريعاته، فمن عرفه عرف الحق و من يعرف الحق يعرف رجاله فالأدعياء من المغرضين والمنحرفين لا علاقة للإسلام بهم وفي هذا البحث سأذكر تعريفا للخطاب الديني وأسسه وأهدافه و مبرراته وأزمته في الوقت الحاضر مع أبرز القضايا التي تواجه الأمة كاتهامه بالإرهاب،

أولا : تعريف الإرهاب لغة :

تشتق كلمة (إرهاب) من الفعل المزيد (أرهب) ويقال : ارهب فلانا :أي خوَّفه، وفزَّعه، وهو نفس المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهَّب) أما الفعل المجرد من نفس المادة وهو (رَهِبَ) يَرْهَبُ، رَهْبَةً ورُهْبَاناً فيعني خاف، فيقال رَهِبَ الشيء رَهْبَاً ورهبةً أي خافه أما الفعل المزيد بالتاء وهو (تَرَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته ويشتق منه الراهب والرهبة والرهيبة والرهبانية .....

وكذلك يستعمل الفعل تَرَهَّبَ بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال تَرَهَّبَ فلانا : أي توعده.

وكذلك تستعمل اللغة العربية صيغة استفعل من نفس المادة فنقول استرهب فلاناً أي رَهَّبَهُ [1].

واسترهبه :أي استدعى رهبته حتى رهبه الناس وقال ابن الأثير :هي الحالة التي تُرهِب أي تُفزِع وتُخوِف .

لم يستعمل القرآن الكريم مصطلح الإرهاب بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع .

ثانيا : استعمال صيغ الإرهاب :

وردت مادة (رهب) وتكررت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة بصيغة الفعل والمصدر واسم الفاعل :

* ورد الفعل في خمسة مواضع هي :

1. قوله تعالى ﴿ فارهبون ﴾ (البقرة : 40) .
2. وكذلك وردت في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع السحرة يقول تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ◆ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف : 115- 116)
3. وردت في قصة الرسول – ﷺ - عندما التقى مع الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ

﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف:154) .

4. عندما أمر الله المؤمنين بإعداد القوة لإرهاب الأعداء يقول تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:60)

5. عندما جاء القرآن ليحذر من يتخذ إلهين اثنين قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (النحل:51) .

* أما ذكر المصدر فجاء في أربعة مواضع وهي :

1. ذكر بعض صفات بعض المؤمنين يقول تعالى:﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ (الأنبياء: 90)

2. عندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه قال تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ (القصص : 32) .

3. ذكر القرآن بعض صفات اتباع عيسى عليه السلام يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (الحديد:27) .

4. ذكر القرآن الكريم أن بني إسرائيل يخافون من المسلمين يقول تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ (الحشر : 13) .

* ورد اسم الفاعل في ثلاثة مواضع هي :

1. قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ (المائدة : 82) . ذكر القرآن صفات اتباع عيسى عليه السلام وقيامهم الليل .

2. ذكر القرآن الكريم أن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم و رهبانهم آلهة من دون الله يقول تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة : 3وضح القرآن الكريم أن كثيراً من أحبار اليهود ورهبان النصارى يأكلون أموال الناس بالباطل يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ (التوبة : 34) .

الملاحظ أن عدد هذه الألفاظ وردت في اثني عشر موضعاً [3] .

والذي يهمنا في هذا البحث من هذه المواضع كلها ثلاثة مواضع هي :

1. الإرهاب بالسحر من قبل فرعون وسحرته تمثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾(الأعراف : 116) .

2. الإعداد للجهاد في سبيل الله لإرهاب الأعداء يقول تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال : 60) .

3. وضح القرآن الكريم أن بني إسرائيل يخافون من المسلمين يقول تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ (الحشر : 13) .

صيغ الإرهاب إجمالاً :

1. (يرهبون) يقول تعالى : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف : 154) .

2. (فارهبون) يقول تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾ (النحل : 51) .

3. (ترهبون) يقول تعالى : ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ﴾ (الأنفال: 60) .

4. (استرهبوهم) يقول تعالى: ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف:116)

5. (رهبة) يقول تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ ﴾ (الحشر :13)

6. (رهبا) يقول تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ (الأنبياء : 90) .

بينما وردت مشتقات نفس المادة (رَهَبَ) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبنة والتعبد .

أ - (الرهبان) يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة : 34) .

ب- (رهباناً) يقول تعالى:﴿ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً ﴾(المائدة : 82)

ج- (رهبانهم) يقول تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة : 31)

د- (رهبانية) يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ (الحديد : 27) .

ملاحظات على استعمال هذه الصيغ :

1. تبين الآية الأولى حينما تلقى الألواح متضمنة الهدى والرحمة لمن يرهب ربه جاء التعبير (يرهبون) .

2. خطاب الله لبني إسرائيل يطالبهم بالوفاء لعهدهم والرهبة، لذلك جاء التعبير(فارهبون) .

3. خطاب الله للمؤمنين أن يتخذوا أسباب القوة والمنعة من كل مصادرها ، فحدد لهم الهدف من ذلك وهو إرهاب عدوهم حتى لا يقدم العدو على حربهم كان التعبير (ترهبون) .

4. يبين الله سبحانه وتعالى انه حينما أراد السحرة إدخال هذه الرهبة في صدور الذين جاءوا ليشاهدوا التحدي بين موسى والسحرة كان التعبير (استرهبوهم) .

5. وضح القرآن الكريم أن المسلمين مرهوبون من قبل أعدائهم وخاصة آهل الكتاب (اليهود) لذا جاء التعبير (رهبة) .

6. بين النص القرآني أن الصالحين يسارعون في الخيرات ويدعون اللهَ طمعا وخوفا حتى تتحصل لهم المغفرة ودخول الجنة لذا جاء التعبير (رهباً) .

بناءً على هذه النصوص يتحدد معنى الإرهاب، وهو تحصيل سائر القوة لإحداث الرهبة في نفوس العدو فيمتنع عن إيقاد نار الحرب، وإذا حصَّل المسلمون أسباب القوة فانهم لا يستخدمونها في العدوان على الآخرين لأنهم محكومون بأوامر الله، وبذلك يتحقق السلام العالمي المنشود ، فلا عدوان من جانب أعداء الإسلام لخوفهم من قوة المسلمين ولا عدوان من جانب المسلمين طاعة لأوامر الله هذا هو الإرهاب المشروع، أما الإرهاب الممنوع فهو إرهاب الآمنين المسالمين من أي ملة كانوا والمسلمون مأمورون بعدم الاعتداء سواء كان الاعتداء على مسلم أم على غير مسلم .

ملاحظة هامة : إن الإرهاب بمفاهيمه المتعددة والمختلف فيها سيظل قائماً طالما وجد الظلم والطغيان على الأرض ولن يتوقف هذا

الإرهاب أو يقلل منه إلا بالرجوع إلى العدل وإنصاف الإفراد والشعوب واحترام الأقوياء للضعفاء واحتكام الأفراد والدول إلى القوانين والشرائع العادلة التي تنظم طبيعة العلاقات بين المجتمع ولا يتحقق ذلك إلا بالإسلام .

ثالثا : أهداف الإرهاب :

الإرهاب هو كل عملية نفسية تهدف إلى هدم معنويات الخصم وإحداث اضطراب نفسي.

1. يسعى الإرهاب إلى ترويع الآمنين، والتهديد والفزع والهلع والذعر والفتنة والاضطراب العنيف .
2. يرمي الإرهاب إلى إشاعة الخوف من أجل السيطرة أو التسلط، وذلك لتحقيق أغراض سياسية .

سمات الإرهاب :

يرى بعض علماء الطب النفسي أن من السمات الشخصية للإرهابي أنه يتميز بالعدوانية و الميل للعدوان لأقل مؤثر وهو يحاول دائماً أن يكون ذلك البطل في قصة من صنعه هو أو أنه هو الذي يريد إصلاح الكون بالعنف وهو صاحب الفلسفة وصاحب القنبلة أيضاً وهذا ما تحاول أن تفعله الدول الاستعمارية. وقد يكون الإرهابي ناضجا جسميا ولكن لم ينضج نفسياً وسلوكياً ً.

رابعا : أسباب الإرهاب العالمي :

1. السبب المباشر للإرهاب هو عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية، وذلك لأنه في تطبيق هذه الشريعة تحقيق القوة للمسلمين بحيث أن أعداء الإسلام لا يجرؤن على الاعتداء عليهم .

2. نزعة التسلط وشهوة وحب السيطرة على العالم بأسره، واعتبار أن هذه الدول الضعيفة يجب أن تكون خادمة للدول الإرهابية والاستعمارية .

3. الظلم وعدم وجود شرعية دولية قائمة على العدل، فهذا مجلس الأمن، والجمعية العامة والجمعية العمومية، والأمم المتحدة، فهذه المجالس ما هي إلا أدوات لاستعمار الدول الصغيرة والواقع المعاصر خير دليل على ذلك .

4. السيطرة على منابع الثروات وخاصة البترول، بحيث تعتبر أن تلك الدول المصدرة للنفط لا تحسن استغلال تلك الثروات .

5. سباق التسلح العالمي وخاصة من قبل أمريكا التي تحاول الهيمنة على العالم عر طريق تطوير أسلحتها في مختلف المجالات وتكوين الإمبراطورية الأمريكية العالمية .

6. إذعان بعض الدول العربية والإسلامية للضغوط الخارجية الأمريكية على حساب ثوابت الأمة مما جعل تلك الدول الإرهابية تستأسد على العالم كله .

7. تعاون بعض الأنظمة العربية والإسلامية مع أمريكا في حربها ضد بعض الدول العربية.

8. الخلافات بين الأنظمة العربية والإسلامية التي أدت إلى ضعف وتفكك العرب والمسلمين مما جعل أعدائهم يستبيحون بيضتهم .

9. كراهية العالم الغربي للإسلام والمسلمين هذا واضحاً من خلال كلام رئيس أمريكا بوش حيث أعلن الحرب على الإسلام وقال : هي حرب صليبية .

10. من أهم أسباب الإرهاب سيطرة الصهيونية والماسونية العالمية على وسائل إعلام في معظم البلاد الغربية ،بحيث نجحت تلك الدعاية الصهيونية من تسويق فكرة الإرهاب وإلصاقها بالإسلام والمسلمين.

11. كشف كلارك مستشار الرئيس الأمريكي مؤخراً أن الحرب على الإرهاب كان غير صحيحاً ، وأن الرئيس بوش كان يقصد من دعايته إسقاط نظام صدام حسين وكل تلك الدعاية لم تكن صحيحة .

12. الخلط الكبير بين الدفاع عن النفس والمقاومة الشرعية لدفاع عن الأرض والمال والعرض والدين وبين الإرهاب ،بحيث أصبحت مقاومة الاحتلال إرهاباً وأصبح القاتل مقتولاً ، والغادر مغدوراً به والقتل يطلب شفاعة القاتل ، وراحت أمريكا والدول العظمى توجه ترسانتها العسكرية شرقاً وغرباً بدعوى محاربة الإرهاب ، وتوزع الاتهامات على المقاومة المشروعة واتهامها بالإرهاب والتخلف والقتل ، وهكذا اتهمت المقاومة في فلسطين ، ويا ليت الأمر يقف عن هذا الحق حيث أوعزت أمريكا إلى هيئاتها التعليمية والثقافية أن تطلب من وزارات التعليم في الدول الإسلامية أن تنقي مفهوم الدين الإسلامي من مفاهيم القتل والإرهاب، وتلغي كل ما يمس بالعداوة لدولة إسرائيل، وفي النهاية تصب المصلحة الكبرى لصالح إسرائيل .

13. بل إن الأمر أبعد من ذلك فقد تنوي أمريكا رسم خريطة جديدة للعالم الإسلامي وتفرض عليه إصلاحات من وجهة نظرها تصب في مصلحتها ومصلحة إسرائيل، وقد رأينا بوادر ذلك التدخل .

مفهوم الإرهاب وتاريخه في أوروبا

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول
الإرهاب في الفكر والثقافة الغربية :

لقد سجلت القرون الوسطى أبشع صور البطش والعنف متمثلة في محاكم التفتيش التي نصبها البابا وات للانتقام من المارقين وكل من لا يدين بالولاء للكنيسة .

إن اختلاف وجهات النظر حول تعريف الإرهاب يعود إلى طبيعة هذه الأعمال الإرهابية واختلاف نظرة الدول لمثل هذه الأعمال، مم يراه بعضهم إرهابا يراه الآخر عملاً مشروعاً، وذلك يرجع لمصلحة تلك الدول، حيث تطلق على الجهاد الذي أباحه الشرع محور الشر حسب تعبير الإدارة الأمريكية، حيث يتحول شعار مكافحة الإرهاب إلى أيدلوجيا يفرض القوي سياسته على الضعيف، لذلك يصبح شارون رجلاً محباً للسلام والشعب الفلسطيني إرهابياً لأنه يقاوم الاحتلال والاستيطان، ويصبح الإسلام بالتالي ثقافة تحض على الإرهاب لأنه يحض على المقاومة والجهاد ورفض الاستسلام والاستكانة للظلم، وبالتالي يسقط التمييز بين الإرهاب والمقاومة وتصبح السياسة : إما معنا أو مع الإرهاب، وتسقط حينئذٍ الأخلاق الديموقراطية وحقوق الإنسان والمساواة وحق التعبير عن الرأي وكل تلك الشعارات الجوفاء التي ليس لها معنى .

لذلك نجد أن بعض المؤلفين وضعوا تعاريف متعددة للإرهاب وهذا يؤكد مقولة أن محاربة الإرهاب أسهل من تعريفه

تتكون كلمة الإرهاب في اللغة الإنجليزية بإضافة (ism) إلى الاسم Terror، بمعنى فزع ورعب وهول كما يستعمل منها الفعل Terrorize بمعنى يرهب ويفزع ويرجع استخدام Terrorism في الثقافة الغربية تاريخاً تعود إلى الثورة الفرنسية عام 1789م – 1799م، حين تبنى الثوريون الذين استولوا على السلطة في فرنسا بالعنف ضد أعدائهم، وقد عرفت فترة حكمهم باسم عهد الإرهاب، وبعد ذلك توالت عمليات الإرهاب، فهذا الطفل الأمريكي الذي أطلق النار على رفاقه وأساتذته داخل الحرم الجامعي فقتل وجرح العديد وكذلك الرجل الذي أطلق النار على المصطافين على شاطئ البحر فقتل وجرح الكثير، وأيضاً عمليات الاغتصاب والقتل المنتشرة عن طريق المافيات المسلحة المنتشرة في أمريكا وغيرها من الدول التي تدعي التقدم والمدنية والحضارة، وهذه جملة من أقوال علمائهم ومفكريهم في الإرهاب:

1- **جماعة كوكلوكس كلات** : وهي جماعة أمريكية استخدمت العنف لإرهاب المواطنين السود والمتعاطفين معهم وعلى ذلك فإن مصدر الإرهاب في العصر الحديث هي أمريكا فمنذ عشرات السنين وهي تفرق بين البيض و السود الزنوج رغم انهم أصحاب البلاد الأصليين، فهناك أحياء للبيض وأخرى للزنوج، ومدارس للبيض و أخرى للزنوج ومطاعم للبيض وأخرى للزنوج وهذا بالإضافة إلى ذلك أنه توجد هناك أماكن لا يمكن للزنوج أن يدخلوها أبداً، وأيضاً تعرض الأمريكيون العرب لأكثر من 250 حادث اعتداء ضرب هذا بالإضافة إلى التفرقة العنصرية المنتشرة

في أمريكا وانتشار الجماعات الإرهابية المنظمة المنتشرة في أنحاء أمريكا التي بلغت على ما يزيد عن (24) منظمة .

2- يقول راكاس كلاين : إن استخدام الإرهاب كتكتيك من أجل الإقلال بنظام متحضر في المجتمعات، يعد من الحقائق التي تكون ثابتة في الحياة الدولية وفي هذا العصر ولكن الإرهاب لا تعده الدول الديمقراطية حرباً تحت أي مسمى، ونادراً ما تتخذ ضده إجراءات مؤثرة إذا كان يخدم مصالحها .

3- أبرز المنظمات الإرهابية التي عرفت في العصر الحديث منظمة إيتا في أسبانيا، وجماعة الألوية الحمراء في إيطاليا والجيش الأحمر في اليابان والجيش الايرلندي في إنجلترا، وكذلك العصابات اليهودية التي اشتهرت قبيل استيلائها على فلسطين مثل الهاغانا، والأرجوان، وشتيرن وجبل الهيكل وغيرهم الكثير من المنظمات الإرهابية المنتشرة في العالم.

4- وقد تبنت بعض الدول الإرهاب كجزء من الخطة السياسية للدولة مثل حكم هتلر في ألمانيا وحكم ستالين في الاتحاد السوفيتي سابقاً وحكم موسوليني في إيطاليا، حيث تمت ممارسة إرهاب الدولة تحت غطاء أيدولوجي لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية.

5- إن دعم أمريكا المستمر لإسرائيل طوال الخمسين سنة الماضية دليل الإرهاب العالمي والدولي من جانب أمريكا وإسرائيل، هذا بالإضافة إلى استعمال أمريكا حق الفيتو الظالم ضد أي قرار يدين إسرائيل على المذابح والاغتيالات والتدمير والهدم والاجتياحات

وبناء الجدار العنصري الفاصل على مدار السنوات السابقة واللاحقة .

6- إن ما تمارسه أمريكا في العراق وخاصة فضيحة سجن أبو غريب وما يحدث فيه من ممارسات غير أخلاقية يمثل وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية ووصمة عار في جبين الحضارة الغربية التي تدعي المدنية والتقدم وما خفي أعظم، أيضاً ما يحدث في معتقل غوانتنامو في أفغانستان من وسائل تعذيب يفوق التصور، وأيضاً ما يحدث في سجون الاحتلال الإسرائيلي ضد المعتقلين الفلسطينيين لهو الدليل على إرهاب الدولة المنظم .

7- أن ما تحول أن تفرضه أمريكا من النظام العالمي الجديد، باعتبارها القوة الوحيدة المهيمنة على العالم كله ، وبذلك تتصرف وكأنها المسؤولة عن هذا العالم، هذا بالإضافة إلى تدخلها في الشؤون الداخلية للدول مباشراً وغير مباشر، وأن محاولتها لفرض هيمنتها على هذه الأمة عن طريق تغيير مناهج الدول العربية والإسلامية تبعا لمصلحتها.

المبحث الثاني
تعريف الإرهاب من وجه النظر الامريكي

لقد حاولت أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان عدواً لها أن توجد لها عدوا آخر فكان الإسلام والمسلمون، ولأن هذا العدو لا يمثل القوة الحقيقية أما م أمريكا نظرا لضعفه الشديد واعتماده على غيره في معظم شؤون حياته، فكان لا بد من تشويه صورة هذا العدو حتى يعتبر العالم فناء هذا العدو تضحية في سبيل التقدم والرقي وانتعاش الحضارة الغربية، وعلى ذلك رأت المسيحية العالمية متمثلة في أمريكا وخلفائها وكل من يحاول المساس بالمصالح الغربية سواء بالدفاع المشروع عن النفس أو امتلاك وسائل القوة أو الحماية الفكرية الثقافية أو التمسك بالدين والعقيدة وتطبيق الشريعة هو إرهابي وهذا مما جعل أمريكا تضع معظم المنظمات الإسلامية في العالم على قائمة المنظمات الإرهابية مع أن هذه المنظمات تقوم بمساعدة أبناء العالم الإسلامي ولا علاقة لها بالإرهاب، فهذه منظمات إنسانية، مع هذا وصفت بالإرهابية لأنها لا تتفق مع الفكر الأمريكي ولا تسير في فلكه.

توصلت المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) إلى بلورة التعريف التالي الذي اعتمدته الأمريكية : (الإرهاب هو التهديد باستعمال العنف أو استعماله لتحقيق أهداف سياسية من قبل أفراد أو جماعات سواء كانوا يعملون لمصلحة حكومية رسمية أم ضدها ..، وتهدف هذه الأعمال لإحداث صدمة أو حالة من الذهول، أو التأثير على جهة تتجاوز ضحايا الإرهاب المباشرين، وقد مُورِسَ الإرهاب من قبل

جماعات تسعى إلى الانقلاب على أنظمة حكم معينة، أو معالجة مظالم وطنية أو فئوية، أو إضعاف النظام الدولي باعتبار ذلك في ذاتها .

لعل خطيئة التعريف الأمريكي للإرهاب يمثل اخطر قضايا الحرب الأمريكية، لأن التعريف الأمريكي يخلط بين الكفاح المسلح المشروع للشعوب لا تذاع حقها في تقرير المصير ذاتها، وهذا يفسر الموقف الأمريكي المتميز من إسرائيل، المتحيز للظلم والعدوان بدلاً من إنصاف الحق، لذلك نجد أنه لا يوجد تعريف واضح للإرهاب حظي بموافقة عالمية ولكن الرؤية الأمريكية تفرض مفهومها للإرهاب، واستطاعت أمريكا أن تسوق هذا المفهوم للعالم كله، بحيث اصبح يردد ما تقوله أمريكا وجاء في تعريفها للإرهاب في موضع آخر : (العنف المتعمد ذي الدوافع السياسية والذي يرتكب ضد غير المقاتلين، وعادة بنية التأثير على الجمهور حيث غير المقاتلين هم المدنيون إلى جانب العسكريين غير المسالمين، أو في غير مهامهم وقت تعرضهم للحادثة الإرهابية، أو حين لا توجد حالة حرب أو أعداء، أما الإرهاب الدولي فهو الإرهاب الذي يشترك فيه مواطنوا أو يتم على أرض أكثر من دولة واحدة .

وذكرت مجلة نيوزويك أن الأصولية فاشية هذا العصر، فقالت : (... على الرغم من أن الإرهاب منتشر في العالم بأسره نتيجة لتباين الأيدلوجيات والدوافع السياسية قومية تارة، أو يسارية تارة أخرى أو يمينية أو دينية، ولكن صمايويل هانتجون حاول إلصاق الإرهاب بالمسلمين دون غيرهم حيث قال : أن العدو الحقيقي الإسلاميون الأصوليون اصبحوا فاشيي حاضرنا مثلما كتب فرانسوا فوكوياما .

المبحث الثالث
التشابه بين الإرهاب الأمريكي والصهيوني

هناك تشابة كبير يصل إلى حد التطابق بين ما تقوله أمريكا وإسرائيل عن الإرهاب، وسر هذا التشابه يعود إلى عدة أسباب تشترك فيهما كل من الدولتين منها :

1. أن أمريكا قامت على أنقاض الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون على الأرض التي احتلها الأمريكان وإسرائيل قامت على أنقاض الفلسطينيين الذين عاشوا في ديارهم منذ آلاف السنين .
2. هؤلاء الأمريكان تجمعوا من مختلف دول أوروبا وتجمع اليهود وما يزالوا يتجمعون من شتى أنحاء العالم واتجهوا إلى فلسطين تدعمهم الدول الكبرى .
3. ،وقد تجمع اليهود من شتى أنحاء العالم واتجهوا إلى فلسطين تدعمهم الدول الكبرى .
4. لقد مارس الأمريكان صنوف من الاضطهاد والتعذيب على الهنود الحمر، واليهود يمارسون أسوأ صنوف التعذيب ضد الفلسطينيين .
5. اتفقت أمريكا وإسرائيل على وصف المقاومة بالإرهاب تمثل ذلك في العراق وفلسطين وأفغانستان وكشمير.

المبحث الرابع

العنف الأمريكي نموذج لإرهاب الدولة

في إطار ما يسمى بـ (النظام العالمي الجديد) الثلاثي الأقطاب أمريكا ،أوروبا واليابان والأحادي القطب عسكرياً : أمريكا تمثل إرهاب الدولة تحت ما يسمى بالشرعية الدولية ، أو القانون الدولي القرار الدولي من خلال الأمم المتحدة، وبخاصة مجلس الأمن ، وذلك من خلال استصدار القرار الملائم لسياسة أمريكا وأخذ الغطاء الدولي لفعل ما تشاء دون حساب أو رقيب للعدوان والهيمنة وهناك أمثلة اذكر منها :

1- نشرت صحيفة (نيويورك تايمز) جزء من تقرير لمجلس الأمن القومي، وكان هذا الجزء يستعرض كيف يتم التعامل مع ما اسماه (تهديدات العالم الثالث) وجاء فيه : (في الحالات التي تواجه فيها الولايات المتحدة الأمريكية أعداءً أضعف منها بكثير، فإن التحدي الذي يواجهنا لن يكون مجرد هزيمتهم، ولكن أن نهزمهم هزيمة نكراء قاطعة وبسرعة ... إلى أن يقول التقرير : إن التهديد بالاستقلالية لا يمكن قبوله، فالولايات المتحدة الأمريكية ستؤيد اكثر الطغاة سفكاً للدماء ما دام يلعب على هواها وستعمل على إسقاط أي نظام في العالم الثالث إذا ما خرجوا عن أغراضها .

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف الإرهاب الدولي : بأنه استخدام أو التهديد باستخدام العنف ضد أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو يودي بها أو تهديد الحريات الأساسية للأفراد، لأغراض سياسية بهدف التأثير على موقف أو سلوك دولة أو منظمة أو مجموعة

مستهدفة بغض النظر عن الضحايا المباشرين مع تعدي عواقبه حدود أكثر من دولة، وقد حصر ليمكن تعريفه للإرهاب الدولي بأنه (خلق حالة من الاضطرابات في العلاقات الدولية) .

2- وقال د. أحمد جلال عز الدين بأن الإرهاب الدولي : هو أفعال القهر التي تمارسها النظم الاستعمارية، والمحتلون الأجانب، أو المسيطرون الأجانب على الأراضي والشعوب، وكذلك أعمال التفرقة العنصرية، وأفعال الدول المنحازة ضد الشعوب التي تناضل من أجل حريتها .

3- الدرس الأساسي للسياسة الأمريكية (للنظام العالمي الجديد) بحسب تعليق الكاتب الأمريكي تسوميسكي : (نحن السادة وأنتم تعلقون أحذيتنا) .

4- انتشار القواعد العسكرية في مختلف قارات العالم حيث بلغت أكثر من (2500) قاعدة عسكرية خارج الولايات المتحدة – وهذه القواعد تمثل قوة التدخل السريع لأي دولة تخرج من منهج أمريكا لإسقاطه واحتلال بلاده، وهذا يمثل أكبر إرهاب في العالم، إرهاب الدولة

5- انتشار القواعد العسكرية في البلاد العربية والإسلامية واحتلال منابع النفط في الشرق الأوسط بشكل رئيسي .

6- كل الحروب العربية الصهيونية قامت بدعم كامل من أمريكا اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وكانت أول دولة تعترف بقيام دولة إسرائيل عام 1948م، وهي الحليف الاستراتيجي لأمريكا وعن طريق إسرائيل تم التغلغل في جميع دول العالم العربي والإسلامي

7- المذابح التي مارستها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني مثل مذبحة دير ياسين وقبية وقانا وكذلك المذابح التي ترتكب ليل نهار في الوقت الحاضر في جميع مدن فلسطين بمباركة وتأييد من أمريكا .

8- إذا كانت هذه هي العقلية الأمريكية في التعامل مع العالم الثالث فيا ترى ما هو موقف زعماء العالم العربي والعربي والإسلامي ؟.

الملاحظات على تعريف أمريكا للإرهاب :

1. إن هذا التعريف (فضفاض) يشمل كل أنواع الإرهاب، ولا يفرق بين المقاومة المشروعة التي يقاوم فيها الاحتلال .

2. هذا التعريف يلصق بالمسلمين زوراً وبهتاناً الإرهاب، ويجد المسلمون أنفسهم ضحية من ضحايا هذا الإرهاب الأمريكي .

3. هذا التعريف يؤدي إلى النتيجة التالية : إن الإرهابي هو عدونا الذي يقوم بعمليات إرهابية، أما صديقنا الإرهابي فليس إرهابيا ما دام إرهابه يمارس ضد خصومنا، وهذه النتيجة تنطبق تماماً مع واقعنا المعاصر حيث يقتل اليهود الفلسطينيين بمباركة وتأكيد مطلق من أمريكا، ولا تعتبر أمريكا ذلك القتل إرهابا، بل تعتبره دفاعاً عن النفس، ولكن عندما يقتل الفلسطيني يهودياً تتصارع الدول وخاصة أمريكا بالشجب والاستنكار .

4. إن ما تمارسه أمريكا في العالم وخاصة في أفغانستان والعراق وفلسطين يسمى إرهاب الدولة المنظم .

5. إن مصطلح الإرهاب، لم يكن معروفاً بهذا المعنى في تاريخ المسلمين وحلفائهم .

6. أول من أطلق هذا المصطلح (الإرهاب) تاريخياً هم في أوروبا ولقد مارسوه على أرضية الواقع إبان الثورة الفرنسية و لكن العرب والمسلمون لم يعرفوه بهذا الاسم .

7. تاريخ هذا المصطلح سجل أن الإرهابيين ليسوا مسلمين وليسوا عرباً.

بناءً على ما سبق كيف يلصق الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولكنني أقول لقد لعبت الصهيونية العالمية والماسونية دوراً بارزاً في ترويج هذه الفكرة وإلصاقها بالمسلمين ولعب الخطاب الإعلامي الأمريكي المحكوم والموجه من الصهيونية العالمية من تسويق هذه الفكرة عالمياً حتى أن العالم الإسلامي أصبح يردد نفس الفكرة ونفس المفهوم إلا من رحم .

8. لذلك أرى أن مفهوم الإرهاب نسبي متطور يختلف من مكان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن عقيدة أو فكر إلى آخر حسب الظروف المتغيرة، رغم القواسم المشتركة، ولهذا من الصعب تحديد مفهوم واحد للإرهاب أو الجريمة وذلك حسب وجهة نظر الغرب .

المبحث الخامس

وسائل الإرهاب في العصر الحديث : الإرهاب الالكتروني

1- المقصود بالإرهاب الإلكتروني : هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان في دينه ونفسه أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوفه وصور الإفساد في الأرض.

2- خطر الإرهاب الإلكتروني : إن استخدام البريد الإلكتروني أصبح منتشراً انتشاراً واسعاً وهذا مما سهل نقل المعلومات بين الدول، ولكن نجد أن في الآونة الأخيرة إساءة استخدام هذا البريد حيث أصبح يمثل إرهاباً إلكترونيا عالمياً يهدد العالم بأسره، ويكمن خطر استخدام ذلك - سهولة استخدامه- فيقوم الإرهابي وهو في منزله أو مكتبه أو غرفة نومه سواء كان في بيته أو في فندقه أو في أخر مكان آخر.

أصبح الإرهاب الإلكتروني هاجساً يخيف العالم الذي أصبح عرضة لهجمات الإرهابيين عبر الإنترنت، الذين يمارسون نشاطهم التخريبي في أي مكان في العالم .

ويعتبر البريد الإلكتروني من أهم الوسائل في التواصل بين الإرهابيين وتبادل المعلومات لذلك يقوم الإرهابيون باستغلال البريد الإلكتروني في نشر أفكارهم والترويج لها والسعي لتكثير الاتباع والمتعاطفين معهم عبر المراسلات الإلكترونية وما يقوم به الإرهابيون أيضاً من اختراق البريد الإلكتروني للآخرين، وهتك أسرارهم والاطّلاع على معلوماتهم وبياناتهم والتجسس عليها لمعرفة مراسلاتهم ومخاطباتهم والاستفادة منها في عملياتهم الإرهابية.

المبحث السادس
آثار الإرهاب

1. إن أعمال الإرهاب عدوان على النفس والمال وقطع الطريق وترويع الآمنين، بل وعدوان على الدين، حيث يصور الإرهابيون أن الدين يستبيح الدماء والأموال، ويرفض الحوار كما يصورون المسلمين بأنهم دمويون ويشكلون خطرا على الأمن والسلم الدوليين وعلى القيم الحضارية، وحقوق الإنسان، وهذا يؤدي إلى أضرار ومفاسد تنعكس على مصالح الأمة وتضر بعلاقة المسلمين مع غيرهم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً واجتماعياً مع غيزهم من الشعوب .

2. التضييق على الجاليات الإسلامية التي تقيم في دول غير إسلامية وتعزلهم عزلاً تاماً عن المجتمع الذي يعيشون فيه مع مصادرة حقوقهم، هذا مع مطالبة الدول الإسلامية إعطاء كل الحقوق للأقليات غير الإسلامية التي تعيش فيها.

3. آثار الإرهاب الأمريكي القتل وسفك الدماء واحتلال البلاد كما حدث في أفغانستان والعراق وفلسطين، وكذلك نشر القواعد العسكرية في كل مكان لتهديد الدول إذا رفضت أن تتبع السياسة الأمريكية .

4. آثار الإرهاب الإسرائيلي على الفلسطينيين ومحاصرتهم في سجن كبير هذا بالإضافة إلى القتل والتشريد وهدم البيوت وتجريف الأراضي ومصادرتها واقتلاع الأشجار وبناء الجدار العنصري الفاصل وكذلك بناء المستوطنات هذا بالإضافة إلى الحصار الاقتصادي الخانق والفقر المنتشر في المجتمع.

5. من أهم آثار الإرهاب العالمي وخاصة إرهاب الدولة عدم الاستقرار في العالم كله، فالإنسان لا يشعر بالأمن والسلام في أي مكان في العالم .

6. ينتج عن هذا الإرهاب الأمراض العصبية والنفسية والعضوية، وهذه الأمراض تؤثر مباشرة على تركيبة المجتمع وأخلاقه وسلوكه خاصة في الدول التي يمارس فيها الإرهاب بصورة واضحة.

7. ينتج عن هذا الإرهاب مقاومة مضادة حيث تشكل قوة تقف وتقاوم هذا الإرهاب بكل الوسائل المتاحة .

وبعد ذكر تعريف الإرهاب من وجهة نظر الغرب وكذلك أسباب الإرهاب في العالم، وكذلك آثار الإرهاب على العالم، يجدر بنا أن نعرف الخطاب الديني وأسسه ومقوماته.

المبحث السابع
تعريف الخطاب الديني عند علماء اللغة

1. قال السمين الحلبي : أي ما ينفصل به الاقريين بين المتخاطبين في الخصام ونحوه، لان كلا من الخصمين يخاطب خصمه بما ينفعه، والخطب الأمر العظيم الذي يحتاج فيه إلى تخاطب.

2. قال الأصفهاني : خطب الخطب المخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ومنه الخطبة بضم الخاء تختص بالموعظة، ويقال من الخطبة خاطب وخطيب والخطب الأمر العظيم الذي يكثر منه التخاطب قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي ﴾ (طه : 95) وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر : 57)، وقال تعالى : ﴿ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (الذاريات : 31) : ما ينفصل به الأمر من الخطاب .

3. قال الزمخشري : خطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام .

تعريف الخطاب الديني اصطلاحا :

فالمقصود بالخطاب الديني أن يوجه هذا الخطاب باسم الإسلام للناس جميعا سواء كانوا مسلمين أوغير مسلمين لتعريفهم بالإسلام، وقد يأخذ الخطاب شكل خطبة الجمعة والمحاضرة و المناقشة والرسالة والمقال والكتاب الحوار والمسرحية الهادفة والأعمال الدرامية المعبرة وغيرذلك [24].

ويمكن القول أن المراد بالخطاب الديني في العصر الحديث هو إبراز الإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي والتربوي و السياسي والاقتصادي والعسكري و التاريخي والاجتماعي والنفسي، وذلك بأسلوب يتناسب مع مقتضيات العصر بأسلوب عصري يعتمد على الحوار والنقاش في طريق العرض، يقول تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : 125) .

المبحث الثامن

أسس الخطاب الديني ومقوماته

يعتمد الخطاب الإسلامي على أسس لابد من مراعاتها عند مخاطبة الآخرين :

1. القرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الأول من مصادر التشريع، وذلك لان القرآن دستور هذه الأمة إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، وهو كتاب الهداية يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ .

2. الاعتماد على السنة النبوية التي تعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع وهي شارحة للقرآن الكريم ويقول الرسول ﷺ :(**وما آتاكم الرسول عنه فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) .

3. يعتمد الخطاب الديني على الفقه لذا يجب ألا يكون همه ذكر الماضي فقط، وإنما يجب أن يوظف الماضي في خدمة الحاضر و المستقبل ويواكب الأحداث التي نعيشها، ويبين الأحكام الشرعية في كل منها مؤكدا أن الخطاب الديني يجب أن يعتمد على فهم عقلية وثقافة ونفسية المخاطبين، قال علي "رضي الله عنه" (حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا مالا يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) .

4. الاجتهاد : يعتبر الاجتهاد من أهم المصادر التي بني عليها الخطاب الديني وذلك لأنه يواجه قضايا جديدة معاصرة تحتاج إلى رأي الشرع ذلك، وهذا الإجتهاد يجب أن يعتمد على ما سبق من الأسس الشرعية

وقد ذكر علماء الفقه قاعدة جليلة تقول (الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والبيئة)، ومن هنا فالدعوة وخطابها اكثر قابلية للتغير، ويقول ابن مسعود : (ما أنت حدثت قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) .

المبحث التاسع
تعريف الإرهاب من وجهة نظر وزراء الداخلية العرب

إن مفهوم الإرهاب لم يعرف في تاريخ المسلمين، و لكن ظهر في تاريخ أوروبا الحديث حيث أن حوادث الإرهاب في العالم كثيرة وقد رصدها بعض الباحثين مبيناً أن ثلثها تحدث في أوروبا، ونصفها في أمريكا والباقي توزع في أنحاء العالم، وقد عرف وزراء الداخلية العرب (الإرهاب أنه العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه، وشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال الخوف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم وتعرض حرياتهم أو أمنهم أو أصولهم للخطر)؛ وقد وقع العرب اتفاقية لمكافحة الإرهاب في القاهرة 22 أبريل 1998م.ومضمونه (هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض الموارد الوطنية للخطر) .

بناءً على ما سبق يمكن أن نعرّف الإرهاب بأنه : هو إيقاع الأذى المادي أو المعنوي بالآخرين ورفض الاستماع إليهم أو التحاور معهم، ويبدأ الأذى بالتكذيب والتشهير، وينتهي بحرب الإبادة والتصفية الجماعية

وبين هاتين المرحلتين مراحل كثيرة من العدوان الإعلامي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي، وينطلق الإرهاب من فكرة رفض التعايش مع الآخر، وينتهي بالتصفية الجسدية ومحاولة الاستئصال الدموي لذلك الآخر، وهذا ما فعله الغرب وعلى رأسه أمريكا ، فالحرب ليس على الإرهاب وإنما على الإسلام والمسلمين، واستحدث الغرب مصطلح الحرب على الإرهاب بدل مصطلح الحرب على الإسلام وذلك من أجل التغرير بالمسلمين وخداعهم والدليل على ذلك ما حدث في فرنسا من افتعال لمسألة الحجاب، فهل محاربة الحجاب هي محاربة للإرهاب أم للإسلام، وما حصل في البرلمان التركي للنائبة (قاوقجي) عندما منعت من ممارسة عملها لأنها محجبة ثم إصدار قرار بطردها من البرلمان ...؟!

ولعلي أتساءل ما هو الإرهاب الذي قدمه الشعب الفلسطيني لدول الغرب وخاصة أمريكا حتى يذبح ويقتل ويسجن ويشرد وتهدم بيوته ويحارب في مقدراته ورزقه ؟!

المبحث العاشر
الخصائص العامة للإسلام

يتميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بصفات خاصة مما جعله خالدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من هذه الصفات ما يلي :

1- عالمية الدين الإسلامي : إن الإسلام دين ودولة ، وفكرة وعقيدة ، ونظام وشريعة لا يعرف العنصرية أو الإقليمية ، دين ليس له حدود ، تذوب فيه فوارق الأجناس والأوطان والألسنة والألوان ، لذا فرسالة الإسلام عالمية تدعو الناس جميعاً ، يوحد بين أبنائها الإيمان بالله وحده وبرسول واحد ، وتجمعهم قبلة واحدة وكتاب واحد وشعائر واحدة ، وبذلك تتكون أمة واحدة قائمة على التوحيد ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:107). ويقول تعالى : ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ (طه:2) .

2- سمو التشريعات الإسلامية : والمقصود بذلك سمو تلك التشريعات القرآنية ، وهذه التشريعات قائمة على أساس العقيدة القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين الوضعية مهما بلغت على أن تأتي بمثل تشريعات القرآن الكريم . إن المبادئ الإسلامية تنطلق من الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لتعميق القيم والمثل العليا في نفوس البشرية ، وقد تمثلت هذه القيم في شخص الرسول ﷺ يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : 4) .

فهذه الأخلاق الحميدة التي تقوم على أساس العقيدة هي المحور الأساسي لهذه الدعوة الخالدة لذا نجد أن القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب إلى عبادة الله وحده يقول تعالى :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالانْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:65) .

ويحث القرآن الكريم على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، يقول تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: 46) .

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (البقرة:139) .

يعتمد القرآن الكريم في خطابه الديني الموجه إلى المجتمعات غير الإسلامية على اتباع البرهان والحجة والإقناع وترك الأمر للآخرين في اختبار العقيدة، يقول تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:256) .

3- اتباع الحوار وآدابه واحترام الآخرين وتقديرهم : فالحوار الهادف سمة من أبرز سمات الإسلام، لذا نجد أن القرآن الكريم استعمل الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة لأنه وسيلة من أساليب الإقناع التي سلكها القرآن لاستقطاب الناس نحو الحق ومن الأمثلة التي تؤكد هذا المبدأ المحاورة التي دارت بين موسى –عليه السلام– وبين فرعون في قوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه:43) .

*وأيضاً حوار إبراهيم – عليه السلام – مع النمرود يقول تعالى: (البقرة:258) .

يقول الرازي : إن من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا علواً وكبراً ، والمقصود البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا أمر الله تعالى بالرفق

و يقول تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:125).

كذلك يجب عدم الإساءة إلى الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى المخالفة ، فعلى الرغم أن القرآن حرم عبادة الأصنام، إلا أنه نهى عن سب تلك الأصنام التي يعبدها المشركون حتى لا يقابل المشركون هذا السب بالإساءة إلى المسلمين بسب الله يقول تعالى : ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام : 108) .

❖ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها من يحاور غيره أن يكون بعيداً عن فظاظة اللسان وغلظة القلب يقول تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ....﴾ (آل عمران : 159) .

* أيضاً لا بد من انتقاء الكلمات والألفاظ التي تتصادم مع الأديان الأخرى وتمثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾ (الإسراء:53)، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ ﴾(الأحزاب:70- 71) وقوله تعالى (البقرة:83- 84) .

* هذا هو الأدب الرفيع الراقي في حواره للديانات المخالفة و بأسلوب علمي، فالدعوة لهذا الدين تحتاج إلى الحكمة والموعظة الحسنة حتى نصل إلى الهدف المنشود وهو هداية الناس جميعا إلى الطريق المستقيم .

4- **استيعاب ثقافة وقضايا العصر** : من سمات الخطاب الديني استيعاب ثقافة وقضايا العصر وخاصة التقدم العلمي والتكنولوجي ولا بد من الاستفادة من هذا التقدم وفي ذلك يقول د.زكي نجيب محمود " تلك الأفكار والأحداث التي مست حياتنا فأثارت اهتمامنا عن إخلاص لا تكلف فيه، ولا جدال في أن أخطرها جميعا وأهمها شمولا هو القفزة الهائلة التي قفزتها تلك العلوم الطبيعية في عصرنا، بكل ما تبعها من نتائج، كانت إحداها شعار المستعمرين، وكانت الأخرى مناً على الدين، أن تهتز مكانته في نفوس المؤمنين، فلو تقصينا ما كتبه الكاتبون حول هذين المحورين، وما كتبوه دفعاً للمستعمر ودفاعاً عن الحرية، ثم ما كتبوه

بياناً لقوة الدين، ولكن نجد أن الدين والعلم لا يتناقضان " .

* ومن جانب آخر لا بد من الانفتاح على ثقافة العالم وذلك عن طريق تعلم اللغات الأخرى ثم نقل تلك الثقافة إلى العالم الإسلامي، فالرسول ﷺ أمر زيد بن ثابت تعلم العبرية ليترجم للرسول ﷺ ما يريد من ديانة اليهود ثم ليتمكن الرسول ﷺ من مخاطبة أهل الكتاب .

5- **وسطية الإسلام** : إن الخطاب الديني يقوم على التوسط والاعتدال ويرفض المغالاة والتطرف يقول تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : 143) .

* لذلك نجد أن الخطاب الديني ينعى على أهل الكتاب الغلو في الدين يقول تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (النساء:171) .

* فالأمة الإسلامية لها القوامة والصدارة على جميع الأمم، بل لها دور بارز في قيادة البشرية يقول تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران:110) .

6- **الخطاب الديني يتجاوز الخلافات المذهبية و الفقهية :** حتى يكون هذا الخطاب مقبولا عند المسلمين وغير المسلمين، لابد أن يعرض هذا الخطاب بعيدا عن الخلافات المذهبية والفقهية، وقد حقق هذا الخطاب أهدافه و أتى ثماره في عصر الرسول ﷺ ومن بعده ..

7- **يوضح الخطاب الديني الهدف من خلق الإنسان: الهداية وعبادة الله** وليس القتال والتناحرعلى حطام الدنيا يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات:56)

كذلك ليكون هذا الإنسان خليفة على هذه الأرض يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:30) . لذا أنزل الله سبحانه وتعالى الكتب السماوية لهذه الأهداف و غيرها.

المبحث الحادي عشر
صور الخطاب الديني في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم مجموعة من الخطابات، هذه الخطابات تمثل في مجموعها خطاب طوائف الناس جميعاً، مؤمنين وغير مؤمنين وسأذكر أهم تلك الأنواع :

1- **الخطاب العقدي** : يركز هذا الخطاب على عرض قضايا العقيدة، وبيان أسسها بطريقة سهلة ومبسطة بعيداً عن الخلافات بين علماء الكلام ؛ لذا نجد أن القرآن خاطب المؤمنين وذكر صفاتهم، ويقول تعالى : ﴿ **آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (البقرة:1- 5) (المؤمنون:1- 11) ؛ يقول تعالى:(البقرة:285)، وأيضاً ذكر القرآن الكافرين وصفاتهم يقول تعالى : ﴿ **خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ** ﴾ (البقرة:7) ؛ وكذلك ذكر القرآن المنافقين وصفاتهم يقول تعالى (البقرة:8- 2) وأيضاً نقرأ سورة النافقين . ويشير هذا الخطاب إلى عدم إكراه الآخرين إلى الدخول في هذا الدين إنما يترك لهم حرية الاختيار [36] يقول تعالى : (البقرة:256) وكذلك إعطاء الفكرة الكلية عن الإنسان والكون والحياة قبل الموت وبعده والعلاقة بينهما، فالعقيدة تنشئ مجتمعاً مستقيماً لا انحراف فيه ؛ ومن جانب آخر خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب وبين

فساد عقيدتهم وتحريفهم لكتبهم، ويقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ (المائدة:73)، ويقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (النساء:46) .

2- الخطاب الأخلاقي: يبين هذا الخطاب القاعدة الأخلاقية المبنية على العقيدة و احترام الوالدين وبناء الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، وكذلك تحديد وتوطيد العلاقة بين أفراد الأمة جميعا، يقول تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ (الإسراء: 23)، كذلك يأمر المؤمنين بالوفاء بالعهد يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء:34)، ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ (البقرة:177) ويهدف هذا النظام المحافظة على الروابط والعلاقات الإنسانية الحسنة في المجتمع الإسلامي . [37]

3- الخطاب الاقتصادي: يوضح هذا الخطاب النظام الاقتصادي الإسلامي وأسسه في معالجة أهم المشكلات التي تواجه الأمة مثل مشكلة الفقر والبطالة، وأيضاً كيفية توزيع الأموال واستثمارها بالحلال، والنهوض بالاقتصاد وبناء الاقتصاد القوي، وبالتالي بناء أمة قوية، وذلك لأن الاقتصاد عصب الحياة، يقول تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ (الإسراء:29)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ (الإسراء:27) ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ (التوبة:60)، ومن جانب آخر فإن الاقتصاد

الإسلامي هو البديل من النظام الربوي، لذا جاء الخطاب يحرم الربا بأنواعه يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:278) وبالتالي يحقق التكافل الاقتصادي بين أفراد الأمة .

4- الخطاب السياسي والحكم: يبين هذا الخطاب أن الحاكمية لله وحده يقول تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (الأنعام : 57)، ويقول تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (النساء : 59) كما أن هذا الخطاب يوضح نظام الشورى يقول تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:38)، وقوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران:15)، أيضاً يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وعلاقة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى، وبناء الدولة الإسلامية داخلياً وخارجياً بناءً محكماً. فالقاعدة أن الحكم لله لا يشاركه أحد ، وأن التحاكم إلى الشرع واجب، ويحرم التحاكم إلى غيره .

5- **خطاب المساواة والعدل:** فالمساواة أساس العدل وهدف من أهداف الخطاب القرآني يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ (النحل:90)، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (النساء:135)، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة : 8) والخطاب القرآني يحرم الظلم، لأن الظلم عاقبته وخيمة يقول تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً ﴾ (الكهف:59)، ويقول تعالى : (الحجرات:13) ويقول

تعـالى (النسـاء:1)، فالعـدل لا يتـأثر بـالهوى يقـول تعـالى : (المائدة:8)، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (النساء:135)، فالناس جميعاً سواسية أمام النص القرآني وواجب على الدولة حماية هذا الحق وتطبيقه.

6- الخطاب الجهادي : كلمة الجهاد جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد، فجهاد النفس والهوى والشيطان والمنافقين والأعداء، والجهاد غايته رفع كلمة الله يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76) . والهدف من هذا الخطاب التعبئة النفسية وشحذ الهمم والإغراء بالمواجهة والتحريض عليها فبهذا الخطاب تكون الأمة مهابة الجانب، وعندما تركته استباح أعداء الله بيضتها وأصبحت هزيلة .

7- الخطاب الإعلامي : يلعب الإعلام دورا بارزاً في نشر الثقافة والفكر لأنه يخاطب مختلف طوائف الناس لذا انزل الله تعالى القرآن الكريم هداية للبشرية كافة فهو دين عالمي، وقد ذكر القرآن الكريم كثير من الآيات التي تدلل على ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم:52) و يقول تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:138)، ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:21) ويقول تعالى : (الأعراف:158)، ويقول تعالى : (الفرقان:1)، فجاءت الألفاظ تتناول عالمية الرسالة (بيان) ؛ (الناس)، ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾،

﴿كَافَّةً﴾، ﴿ جَمِيعاً ﴾ (43) ويقول تعالى (الصف:9) و يقول تعالى (المائدة:67) يقول تعالى (النحل:125)، ويقول الرسول ﷺ " والذي نفسي بيده لا يسمع أحد من هذه الأمة يهودياً ولا نصرانياً ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ."

ومن الخطاب الإعلامي الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:104)، ويعتبر هذا النوع الخطاب من أهم الخطابات وذلك لأنه يخاطب الناس جميعا ويؤثر فيهم ويعطي الحقائق والمعلومات الثابتة عن الإسلام وأهله .

8- الخطاب التاريخي الإسلامي: ويقصد به دراسة تحليلية لشخصية الرسول وسيرته وغزواته مثل غزوة بدر وأحد والأحزاب وغيرهم كذلك تحليل أحداث التاريخ والاستفادة منها وأخذ بالعبر والعظات ، وقد ذكر القرآن الكريم طرفاً من سيرة الرسول الكريم – ﷺ ﴿ وأما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى 1- 11) ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك ﴾ (الشرح1- 8)، ويقول تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:4)، يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ شَيْءٍ كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران 154) يقول تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ◆ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ (الأنفال : 9- 12) .

على المسلمين إعادة النظر في قراءة التاريخ من جديد لأنه مشوه، والذين كتبوه قاموا بتحريفه وتزويره وقلبوا الحقائق؛ لذا نحن بحاجة ماسة للرجوع إلى التاريخ الإسلامي لفهم الواقع الذي نحياه ونستشرف المستقبل .

9- الخطاب الأصولي : و هو الخطاب المعرفي الذي يلتزم بالنصوص القرآنية والسنة النبوية وينطلق من أصوله الثانية،لذا فلا بد من إعادة قراءة نص القرآن مرة أخرى، في ضوء الواقع والمتغيرات ويستفاد من هذا الخطاب في كيفية استنباط الأحكام الشرعية وفقاً لمتغيرات العصر والقضايا التي لم يرد فيها نص.

10- الخطاب المؤسساتي : هذا الخطاب الذي يجب أن تتبناه المؤسسات الدينية الرسمية مثل الأزهر الشريف، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العلماء في أوروبا وأمريكا وأسيا وأفريقيا، ويجب أن يتوحد هذا الخطاب لتلك المؤسسات حتى يقوم بدوره الحقيقي في شرح وبيان الإسلام الصافي النقي كما أنزل على الرسول الكريم و أيضا لابد من تكوين لجنة من كبار علماء المسلمين للتصدي والرد بطريقة علمية علي الشبهات التي تثار حول الإسلام والمسلمين في العالم كله و بمختلف اللغات، وبذلك تأخذ الأمة مكانتها بين الأمم، ولكن للأسف لم نجد لهذه المؤسسات الدور البارز في خطاب الآخرين فدورها مغيب، وأصبح الخطاب السياسي بديلا عن الخطاب الديني فأين هذا الخطاب من ضياع الأقصى.

11- الخطاب الديني : لم يتح لهذا الخطاب الفرصة الكافية ليعبر عن ضمير الأمة وقضاياها المعاصرة بل أتهم بالرجعية

والراديكالية والتخلف لذا استبدل بالخطاب القومي تارة والليبرالي تارة أخرى، والعلماني تارة ثالثة والاشتراكي والثوري وغيرها ... وانتشرت هذه الأنواع من الخطابات في الأمة الإسلامية وأصبح لها اتباع على الرغم أن هذه الخطابات الدخيلة شكلت عقلية الإعلاميين والسياسيين لفترة طويلة من الزمن وهذا ما أحدث تراكمات ومشكلات فشلت في حل قضايا الأمة، بل وتوالت هزائم الأمة، فنحن بحاجة إلى فقه الحالة – وفقه الاستطاعة – و فق الظروف [47]، ونحن بحاجة **لاعادة المكانة لهذا الخطاب حتى يأخذ دوره في قيادة البشرية بعد غيب طويل**

12- الخطاب الاجتماعي : يقصد بهذا الخطاب إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع و الأمة ليأتي ذلك متناسقا مع أهداف الوجود الإنساني المتمثلة في العبادة وتحقيق الخلافة و العمارة في الأرض، يقول تعالى : (البقرة : 31- 33)، ومن جانب آخر حرم القرآن الغيبة والنميمة والتجسس على أفراد المجتمع حفاظاً على الأواصر الاجتماعية يقول تعالى : (الحجرات : 5- 12) .

موقف الإسلام من الإرهاب:

إن هذا الإسلام العظيم الذي ننتمي إليه بني أعظم حضارة شهد لها التاريخ قائمة على التوحيد والعدل والمساواة والتسامح وحرية الرأي والفكر والتعبير، ولكننا وجدنا في الآونة الأخيرة من يتهم هذا الإسلام بالإرهاب و الأصولية والعنصرية دون أن يكون هناك دليل على ذلك، بل إن الإسلام يرفض الظلم والعدوان ويقاوم من أجل تحرير الشعوب من العبودية لغير الله و تخليصها من التبعية المطلقة لشهواتها، هذا الإسلام

جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهذه الأمة ميزها الله في عقيدتها وتشريعاتها وأخلاقها وسلوكها حتى أصبحت أفضل الأمم، يقول تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (آل عمران: 110) وهذا البحث محاولة لرد هذه التهم التي بريء الله منها و كتابه ورسوله ثم المؤمنون، بل إن كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على أن سماحة الإسلام وأنه دين يحارب الإرهاب والتطرف، ويدعو إلى العلم والتقدم و الرقي و التعاون بين الحضارات وعمارة الأرض و إصلاحها وعدم الإفساد فيها كل من أجل تحقيق الرفاهية و السعادة للإنسان.

أولا : نصوص من القران الكريم :

1- نهت الشريعة عن التجسس لأنه مفسدة للفرد و المجتمع و الأمة، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ (الحجرات : 12)، و يقول الرسول ﷺ " **إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم** "[(48)] واختراق البريد الإلكتروني هو خرق لخصوصية الآخرين وهتك لحرماتهم وتجسس على معلوماتهم وبياناتهم التي لا يرغبون أن يطّلع عليها غيرهم، يقول النبي ﷺ يقول" **ولا تجسسوا ولا تحسسوا** "، فالشريعة الإسلامية كفلت حفظ الحقوق الشخصية للإنسان وحرمت الاعتداء عليها بغير حق، فهؤلاء الذين يتجسسون آثمون شرعاً لمخالفة أمر الله ومستحقون للعذاب الرادع لهم، لذلك يجوز اختراق

البريد الإلكتروني للمجرمين والمفسدين في الأرض واللصوص وقطاع الطرق، لتتبعهم ومعرفة خططهم و أماكن وجودهم لقطع شرهم ودفع ضررهم عن المسلمين وهذا الموافق للشريعة الإسلامية

2- جاءت الأدلة من القرآن الكريم تنهى عن الفساد يقول تعالى : ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ (الأعراف : 85)، ويقوله تعالى : ﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص :77) ويقوله تعالى : ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الشعراء : 183) وانظر (البقرة : 60) و(الأعراف :74) و(هود : 85)، فمحور هذه الآيات وهدفها الأساسي أن الله سبحانه وتعالى أصلح الأرض بما أنزل فيها من كتب سماوية تدعو إلى الاستقامة وعدم الإفساد في الأرض وأرسل الرسل ليكونوا القدوة الحسنة في عقيدتهم وفكرهم وسلوكهم.

3- توجد نصوص قرآنية تحرم القتل وسفك الدماء، لأن القتل يؤدي إلى الفوضى وعدم الاستقرار في المجتمع، يقول تعالى:﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء: 33)، ويقول تعالى : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (المائدة: 32) ويقول تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام:151)، وقد توعد القرآن الكريم من يقتل النفس البريئة بعدة عقوبات منها الخلود في جهنم واللعنة والغضب من الله والعذاب العظيم، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً ﴾ (النساء: 92)

4- اعتبر القرآن الكريم أن الذين يدخلون الرعب في قلوب الناس يحادّون الله ورسوله فعقوبة هؤلاء القتل والصلب وقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و النفي من الأرض و الخزي في الدنيا و في الآخرة

العذاب العظيم يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (المائدة : 33) .

5- حرم القرآن الكريم الاعتداء على الذين لم يقاتلوا المسلمين، ولم يخرجوهم من ديارهم، وأجاز قتال من قاتل المسلمين في الدين وأخرجوهم من ديارهم وحرم موالاة هؤلاء المعتدين، وذكر أن من والاهم من الظالمين،وبذلك حددت العلاقة بين المؤمنين وغيرهم، يقول تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ ﴾ (الممتحنة :8- 9)

6- أن القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب إلى الحوار الهادئ الهادف والى الكلمة السواء، يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ (آل عمران : 64) .

7- يحث القرآن الكريم على دعوة الناس جميعاً بالحكمة والموعظة الحسنة يقول تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل : 125) .

8- إن الله خلق هذه الأمم والشعوب للتعارف وليس للتصارع والقتال يقول تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ ﴾ (الحجرات : 13) .

9- هذا الإسلام العظيم الذي أنزله للبشرية جمعاء دين السلام والرحمة والتسامح و الأخوة يقول تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : 107) وهو بذلك دين الرأفة بالناس وبالمخلوقات جميعا في هذا الكون .

10- القرآن يدعو المسلمين إذا جنح الناس للسلام فعلى المسلمين أن يلتزموا بهذا السلام يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال:61)

11- إن مبدأ القصاص في الإسلام هو القيمة العليا التي تجسد دعوة الإسلام إلى العدل بين الناس جميعاً دون تفريق ودون النظر إلى عقائدهم، وقد قرر الإسلام أنه لا فرق لعربي على أعجمي إلا التقوى، وان الجميع سواسية كأسنان المشط أمام الأحكام الشرعية يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ (النحل : 90)، وجعل الإسلام القصاص للرد على المعتدي وهذه قمة العدالة يقول تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾ (المائدة : 45) وفي تطبيق القصاص لضمان الأمن الاجتماعي و السياسي والاقتصادي و الأمني، وحتى لا يصل المجتمع إلى الفوضى والانفلات الأمني بحيث يقتل القوي الضعيف ويصبح الإنسان غير أمين على نفسه وما يملك وتهتك الحرمات وتؤكل الحقوق .

12- جعل القرآن الكريم أن من قتل نفساً بريئة كأنما قتل الناس، ومن أحياها فقد أحيا الناس جميعاً يقول تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة : 32) .

13- لقد قرر القرآن الكريم أن المؤمنين أخوة، يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : 10) .

14- ينهى القرآن الكريم عن إكراه الناس في الدخول في الدين تاركاً لهم الحرية في الاختيار دون إكراه أو قهر يقول تعالى ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة : 256) . ويقول تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴾ (يونس : 99)، ويقول تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون : 6) .

15- الإسلام هو دين الإنسانية، والكرامة والحرية والقوة لذا نجد أن القرآن الكريم يلفت انتباه المؤمنين بالإعداد وحسب الإمكانات المتاحة حتى يخشاهم عدوهم وبذلك يتحقق السلام العالمي يقول تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال:60) .

ويتحقق هذا السلام الحقيقي بإدخال الرعب في قلوب أعدائهم لأن المسلمين يمتلكون القوة الحقيقية على الأعداء وبذلك يحفظ للمسلمين عزهم وكرامتهم فلا يعتدي عليهم وبذلك تصبح هذه الأمة مهيبة الجانب، و تصبح المعادلة متساوية، ولكن عندما ترك المسلمون الإعداد ووجدنا منهم هذا التخاذل والهوان على أنفسهم وعلى غيرهم ،، بحيث أصبحت بيضهم مستباحة وأراضيهم مغتصبة وأعراضهم منتهكة، وما ضياع فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين إلا نتيجة لهذا التخاذل والضعف .فمن حق المسلمين أن يمتلكوا كل أسباب القوة لرد العدوان عنهم كما هو حق غيرهم، ومن جانب آخر أمر القرآن المسلمين بعدم الاعتداء على الغير يقول تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:190) .

حدد التشريع الإسلامي موضع استخدام القوة في الدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن والسيادة حتى إذا قتل المسلم فهو في سبيل ذلك فهو شهيد يقول الرسول ﷺ : **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** .

ثانيا : نصوص من السنة المشرفة :

1. جاءت السنة الشريفة تبين أن الإسلام يحث على مكارم الأخلاق يقول الرسول ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

2. حرمت السنة أن تنتهك عرض المسلم لأخيه المسلم يقول الرسول ﷺ : (كل المسلم على المسلم حزام) .

3. حرمت السنة ترويع المسلم لأخيه المسلم يقول الرسول ﷺ : (لا يحل لمسلم أو لمؤمن أن يروّع مؤمناً) .

4. حذرت السنة أن من يحمل السلاح على المؤمنين خرج من الإسلام يقول الرسول ﷺ : (من حمل علينا السلاح فليس منا) .

5. جعل الإسلام دم الذمي كدم المسلم تماماً في الحرمة في العرض وأمنه وأمانه في عنق كل مسلم يقول الرسول ﷺ :(من آذى ذمياً فأنا خصيمه يوم القيامة) .

6. الإسلام دين العدالة والسلام يقول الرسول ﷺ :(من ظلم معاهدًا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة) .

7. الإسلام دين الرحمة بأهل الذمة يقول الرسول (لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم) .

8. أوضحت السنة أن الرحمة من أهم الأسس التي قام عليها هذا الدين الحنيف يقول الرسول ﷺ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) .

9. ويقول ﷺ :(ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .

10. حذرت السنة من الحقد والكراهية التي تؤدي إلى قتال المؤمنين بعضهم بعضاً يقول الرسول ﷺ :(**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**) .

11. قال ﷺ : (**من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان**).

12. الإسلام يدعو إلى الرحمة بالحيوان، يقول الرسول ﷺ (**دخلت المرأة النار في هرة ......**).

13. قمة التسامح أن أعرابياً جاء ليقتل الرسول ﷺ : فقال : يا محمد ما يمنعك مني ؟فقال الرسول ﷺ : (الله) فسقط السيف من يد الإعرابي .

14. حذر الرسول الكريم من شتم المسلم وقتاله، قال ﷺ : (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**)

ثالثا : شواهد تاريخية تدلل على رحمة الإسلام :

1. الرسول ﷺ :عندما فتح مكة لم ينتقم لنفسه ويكفي قولته المشهورة (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**) هذا مع أن كفار مكة ناصبوه العداء وعذبوه وآذوه وأخرجوه من مكة ولكن سماحة الإسلام تمثلت في شخص الرسول والأمة الإسلامية فيما بعد .

2. وعندما اشتد تعذيب كفار قريش بالرسول ﷺ ، وبعد أن رجع من الطائف جاءه ملك الجبال فقال :يا محمد إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت، فقال نبي الرحمة ﷺ: (**عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقيم هذا الدين**) .

3. عاش اليهود في بلاد المسلمين وكذلك عاش المسيحيون في البلاد الإسلامية وخاصة في فلسطين معززين لا يعتدي عليهم أحد أبل

أخذوا حقوقهم بالكامل، ولعل العهدة العمرية دليل على ذلك، وكذلك عندما هاجر الرسول للمدينة كتب الوثيقة التي تحدد العلاقة بين المؤمنين وغيرهم وخاصة اليهود وقد ذكرت سابقاً كثيراً من الأحاديث .

4. قال لوبون في حديثه عن نتائج الحروب الصليبية :(ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون في ضروب التوحش، فيبيد النصارى عن بكرة أبيهم، فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعا سلب شيء منهم هذا على الرغم أن الصليبيين ذبحوا من المسلمين ما يقارب السبعين ألفا داخل المسجد الأقصى بحيث غاصت أرجل خيولهم في دماء المسلمين)، ويقول لوبون أيضاً : لم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بقتل سبعين ألفاً من العلماء والعباد والزهاد من المسلمين، ولكنهم عقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين، وكان عددهم ستين ألفا فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولداً ولا شيخا وأراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة فانهمكوا بكل ما يستنفذه الإنسان من صنوف السكر والعربدة .

5. إن الإسلام كفل لأهل الذمة دمائهم وأموالهم وأوجب حمايتهم بل فرض لهم عمر ابن الخطاب فريضة من بيت مال المسلمين .

6. كذلك أباح الإسلام لأهل الذمة الحرية الشخصية في البيع والشراء والتعامل مع المسلمين والسكنى بين المسلمين فقد كان الرسول يجاوزه يهودي كان و ذلك اليهودي يؤذي الرسول حيث كان يضع القمامة كل يوم أمام منزل الرسول وفي يوم لم يجد الرسول

تلك القمامة فسال الرسول فقيل أن اليهودي مريضا فذهب الرسول لعيادته فهذا هو الإسلام المتسامح حتى مع من يؤذيه.

7. الإسلام دين المحبة والسلام حيث لخص الرسول ﷺ ذلك الإسلام دين التسامح والرحمة حيث أوجز القرآن مهمة الرسول ﷺ بقوله : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(الأنبياء 107) وهو بذلك دين الرأفة بالناس والرأفة بالمخلوقات الأخرى والطبيعة ، فالإسلام يعتبر أن المخلوقات الأخرى مكملة لما في الكون .

8. الإسلام دين التعارف بين الشعوب وربط أواصر الوفاق والوئام معها ، حيث يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ الحجرات(13) .

9. الإسلام دين العلم ويحث عليه يقول ﷺ :(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) باعتبار العلماء هم أكثر خشية لله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(فاطر 38) .

10. من جانب آخر بُنيت الحضارة الإسلامية على أركان وأسس العقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد وقد استطاعت على مدى أكثر من ألف عام أن تكون الحضارة العالمية الأولى حيث أثرت على مسيرة الحضارة الإنسانية ، و قامت بدور فريد في تقدم البشرية وتواصلها الفكري والمعرفي في شتى الميادين . بهذه القوة الدافعة للإسلام انتشر الإسلام في العالم من تخوم إندونيسيا على شواطئ المحيط الأطلسي ، والمحيط الهندي جنوبا على تخوم الصين وأواسط روسيا شمالاً.

11. إن الجهاد في سبيل الله ابتدأ شرع دفاعاً عن المسلمين وغيرهم حيث جاء ليحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

12. أن أعداء الإسلام هم الإرهابيون الحقيقيون حيث دمروا الإنسان وأخلاقه والأرض والشجر والحجر، ولم يبقوا شيئاً يقول تعالى : ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ (التوبة:13) .

13. أن الجهاد في الإسلام محكوم بضوابط وأخلاق فلا يجوز تدمير البيئة ولا يجوز ترويع الشيوخ والنساء والأطفال ولا الرهبان في الأديرة و الكنائس بعكس أعداء الإسلام الذين يستأصلون ويدمرون كل شيء قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ (غافر:26)، ويقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (النساء:76) .

14. أيضاً انزل الله تبارك وتعالى القران محققاً مقاصد عظيمة يجب أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة هي حفظ الضرورات الخمس، والتي يسميها العلماء مقاصد الشريعة حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ الغرض وحفظ المال، لذلك بذل العلماء جهودهم لبيان هذه المقاصد العظيمة، ولكن عندما غاب العلم وتفشى الجهل والهوى وكثرت الشبهات، ظهرت الفتن والقتل، دون مراعاة لهذه المقاصد، لذلك فإن كل عمل تخريبي يستهدف الآمنين مخالف لأحكام هذه الشريعة التي جاءت بعصمة دماء المسلمين والمعاهدين، لذلك عقد الرسول الكريم صلح الحديبية مع قريش، عندما تبين له أن في ذلك مصلحة المسلمين وهذا من الأدلة على

حرص النبي – ﷺ – على إيصال الهداية إلى الناس، وتفضيل الجانب السلمي الآمن لنشر دعوته .

15. حث القرآن الكريم على العدل بين المستأمنين وعدم التعدي عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، بل ولا يجوز ترويعهم وإخافتهم، ويعاملون بالعدل والقسط يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:8) .

16. يحذر الرسول الكريم من يظلم أهل الذمة قال ﷺ **"ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة ".**

17. كان عمر – ﷺ – يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة والمعاهدين، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى فيقولون له : (ما نعلم إلا وفاء) .

18. الإحسان على المحتاج من أهل الكتاب يقول تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:8) .

19. الإسلام دين الرحمة، فالراحمون يرحمهم الله والرسول – ﷺ – يدعو إلى الرحمة " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ". ورحمته – ﷺ – امتدت لتشمل الحيوان والنبات، وكل شؤون الحياة ولقد أشار الرسول – ﷺ – إلى رجل دخل الجنة في كلب سقاه وامرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض .

20. يدعو الرسول – ﷺ - إلى عمارة الكون وإحياء الموات من الأرض وهذا دليل واضح على أن الإسلام دين البناء والتعمير يقول – ﷺ - " من أحيا أرضاً ميتة فهي له "(73) .

ويقول – ﷺ - " من عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها " وقال – ﷺ - : "من أحيا أرضاً فله فيها أجر، وما أكلت العوافي منها فهو له صدقة" .

21. هذه الأحاديث تؤكد حرص الإسلام على عمارة الكون، ودعوته المتجددة إلى بعث الحياة ونشر العمران في كافة بقاع الأرض، فهذا منهج الإسلام دين التعمير والبناء، ودين يعاقب من يسعى لإفساد الأرض ويحارب كل من ينشر الرعب والخوف في المجتمع حرصا على استقرار الأمن والأمان في المجتمعات الإسلامية وغيرها بدون تمييز بين البشر، أو ديانته لأنه خاتم الأديان، و يحمل لواء السلام ليحقق الأمن والأمان لكل الناس، في كافة ربوع الأرض .

22. الشريعة تلتزم بمأكل وملبس للأسرى وهذا يدل على أنه دين رحمة ودين إنسانية جعل الرفق بالأسارى والرحمة بهم والعناية بشأنهم .، ولكن نجد أن القانون الوضعي لا يوفر الرحمة من مسكن و ملبس ومأكل مناسب .

23. وعندما وقع ثمامة بن أثال في قبضة المسلمين، فجاءوا به إلى النبي – ﷺ - فقال " أحسنوه إحسان، وقال – ﷺ - " اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وكانوا يقدمون له لبن ناقة حلوب، فأسر الأسير ووضعه في مكان ليس لتعذيبه وإنما خشية الهرب، ولكن الذي نراه اليوم من اتباع الأساليب الوحشية واللاإنسانية في تعذيب المساجين (في سجن أبو غريب

ـوغوانتنـامو- وفي سـجون الاحـتلال الـصهيوني وغيرهـا باسـم محاربة الإرهاب) .

24. حرم القرآن الكريم قتل النساء والأطفال والشيوخ أثناء الحروب و لقـد كـان الخليفـة يـودع ويوصـي قائـد الجـيش بعـدم قتـل النـساء والأطفال وعدم قطع الأشجار؛ أما نراه اليوم أثناء الحـروب مـن قتل وتدمير للبيوت وقلع للأشجار وتجريف للأراضي و مصادرتها ، فـأين حقـوق الإنـسان ؛ الرسـول رأى امـرأة مقتولـة في إحـدى الغـزوات فأنكر ذلك وقال (ما بالها قتلت وهي لا تقاتل).

25. روي عـن علـي بـن أبـي طالـب – ﷺ - قـال:" لا تتبعـوا مـدبراً ولا تقتلوا ولا تدفقوا على جريح ولا يكشف سترولا يؤخذ مال " .

26. حرمة المؤمن عند الله أعظم من الدنيا ، يقـول الرسـول – ﷺ - " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم ." .

27. يقول الرسول – ﷺ - " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلـه إلا الله و إنـي رسـول الله إلا بإحـدى ثـلاث، الـنفس بـالنفس، والثيـب الزاني، والمارق من الدين المفارق للجماعة ".

بعد هـذا العرض الموجز يتأكد تماما براءة الخطاب القرآني مـن كل التهم التي روّج أعداء الله كالإرهاب وغيره ، لأنه دين يحمي الحياة الإنسانية ، ويعلي من كرامة الإنسان في كل زمان ومكـان بغض النظـر عن جنسه أو جنسيته أو لغته، فالإرهاب الحقيقي هو ما صنعه الاستعمار والاسـتكبار العـالمي الـذي يريد أن يبني الإمبراطوريـة الحديثـة علـى حساب الشعوب الـضعيفة لـذا فهو يعمـل جاهـدا على تمزيق العلاقـات الإنسانية بين الشعوب بكل الوسائل،واستخدام أفتك الأسلحة لإذلالها وقهرها ، ثم هاهو يتهجم على الدين الحق ونبيه الكريم ظلما وعدواناً .

الفصل العاشر

الإرهاب في الفضائيات العربية

- حظيت موضوعة الارهاب بتناول العديد من الدراسات لها ومن جوانب مختلفة إلاّ انه من النادر أن تجد دراسات عالجت هذه (الموضوعة) من زاوية علاقتها بالاعلام، خاصة التلفزيون الذي ينفرد من بين وسائل الاعلام الأخرى بميزة الاستخدام الأكثر من قبل الجمهور وبتأثر هذا الجمهور بالمضمون التلفزيوني بشكل غير واع، كما لم يحضى موضوع العلاقة بين الارهاب ووسائل الاتصال بصورة عامة وبين الارهاب والتلفزيون بصورة خاصة إلاّ باهتمام قليل من الباحثين وذلك على الرغم من أن المختصين بدراسة علوم الاعلام والاتصال والمهتمين بشؤون الارهاب من أمثال الباحث (أتش ميللر) مدير أبحاث الارهاب في مؤسسة (راند) الأمريكية، ورئيس جهاز الأخبار في (أن بي سي) كروس مان، وخبير الارهاب في وزارة الدفاع الأمريكية (رودولف ليفي) يتفقون على أن هناك علاقة متبادلة بين الاعلام والارهاب ويرون أن هذه العلاقة أصبحت الآن تشبه شراكة بين مؤسستين أحداهما تقوم بصنع الحدث والأخرى تسوّقه، ويؤكد هؤلاء المختصين والمهتمين أن للاعلام والدعاية في أحيان كثيرة أهمية تزيد على العمل الارهابي نفسه، فهما يوفران للعمل الارهابي الديمومة والحصول على التمويل اللازم ويقومان بتلميع صورة القائمين بالفعل الارهابي مما يضمن حصول التأييد وتأمين تجنيد مقاتلين جدد الى التنظيمات الارهابية، ويضيفون أن مسؤولية التلفزيون تتأكد من خلال وجود (عَرض) المقلد للارهاب هذه الأيام وذلك من خلال التغطية المجانية التي يقدمها التلفزيون للعمليات الارهابية .

- ومن الواضح أن التنظيمات المسلحة وهي تقوم بالتخطيط لتنفيذ هجماتها تأخذ بالحسبان دور الاعلام باعتباره المنفذ الذي تطل من خلال مؤسساته، وعلى رأسها التلفزيون، للتعريف بما تقوم به .

- وهناك قلق بالغ من قبل هؤلاء المختصين والمهتمين من أن تحفز التغطية الاعلامية الارهابيين على القيام بالمزيد من أعمال العنف بهدف توجيه الأنظار اليهم طلباً للشهرة وللتعريف بهم ولتكوين وسيلة للضغط والتخويف لغرض الاستجابة لطلباتهم، ويرى هؤلاء أن التغطية الاعلامية المكثفة والمستمرة للارهاب تخلف ارهاباً وارهابيين أكثر، حيث أن تأثير التغطية التلفزيونية للارهاب هو :حافز يولد استجابة .

أن مشكلة البحث تتبلور في الاجابة على تساؤل (السبب والنتيجة) بين التغطية التلفزيونية والارهاب من خلال تحليل استمارتي الشكل والمضمون لعينة البحث الفيلمية والبرامجية ، وهل أن التلفزيون روّج للارهاب عبر برامجه الاخبارية والتحليلية ؟ وهل صحيح أنه أدخل الارهاب الى كل بيت ؟ ومن اجل تحقيق الاجابة عن هذة الاسئلة تم اختيار عينة مكونة من مائة وخمسين فيلماً و برنامجاً ، تم جمعها من مناشىء عديدة وبجهد شخصي وهو كل ما استطاع الباحث جمعه . وقد واجهت الباحث عدة صعوبات في عملية الجمع لاسباب مختلفة وتم اعداد استمارة خاصة بتحليل الشكل لهذه الافلام واخرى لتحليل المضمون وتم اجراء عمليات الصدق عليها وعرضها على مجموعة من الخبراء وبعد **تطبيقها توصل البحث الى عدة نتائج منها :**

1- من حيث جهة الانتاج، أنتجت التنظيمات المسلحة (140) فيلماً وبرنامجاً من مجموع عينة البحث وبلغت نسبتها المئوية (33 . 93 ٪)، فيما أنتجت الفضائيات العربية سبعة أفلام وبرامج فقط وبلغت نسبتها (66 . 4 ٪) وظهر أن ثلاثة أفلام ضمن العينة كانت مجهولة جهة الانتاج .

2- من حيث جهة البث بثت الفضائيات العربية (138) فيلماً وبرنامجاً من مجموع عينة البحث وبلغت نسبتها (92 ٪) .

3- بث الانترنت(5) أفلام من مجموع عينة البحث وبلغت نسبتها (33 . 3 ٪) .

4- بثت أقراص (السي دي) (7) أفلام فقط من مجموع عينة البحث وبلغت نسبتها(66 . 4 ٪).

5- من حيث ماهيّة الخطاب الاعلامي ،بلغت نسبة الخطاب الموجه من قبل شخص ضمن عينة البحث (33 . 33 ٪)، فيما بلغت نسبة الخطاب الموجه من قبل أكثر من شخص (66 . 66 ٪) .

6- من حيث الفئات المستهدفة اقتصر الخطاب الاعلامي الموجه من قبل التنظيمات المسلحة على الخطاب ذا التوجه العام دون تحديد فئة مستهدفة وذلك يعود لسببين :

آ – محاولة هذه التنظيمات التوجه في خطابها الى العدد الأكبر من المتلقين .

ب – عدم قدرة هذه التنظيمات على تلوين خطابها حسب الفئات المستهدفة من المتلقين وذلك بسبب الحاجة الى توفير قدرات مالية وفنية وكوادر متخصصة وهو الأمر الذي تفتقر اليه جميع التنظيمات المسلحة .

7- من حيث أنواع اللقطات المستخدمة كان العدد الأكبر من اللقطات المستخدمة في عينة البحث هي اللقطات البعيدة حيث بلغ عددها (90) لقطة ونسبتها (60 ٪)، وسبب ذلك يعود الى حاجة

القائمين بتنفيذ العمليات المسلحة ومنهم القائمين بعمليات التصوير الى سرعة التنفيذ والانسحاب من مكان الحدث .

8- اقتصر استخدام اللقطة القريبة على الأفلام التي يجري تصويرها داخل الأماكن الثابتة مثل مقرات التنظيمات المسلحة أو المقرات البديلة حيث الأمان النسبي وحرية التصوير، وبلغ عددها (30) لقطة ونسبتها(20 ٪) واستخدمت في تصوير عمليات تصنيع الأسلحة والمتفجرات أو في توديع منفذي العمليات الانتحارية، وكان الهدف من استخدام هذه اللقطات :

آ – ترغيب الآخرين في الانضمام الى هذه التنظيمات والقيام بمثل هذه العمليات .

ب – ارهاب الطرف الآخر المستهدف من خلال اظهار القوة والامكانيات القتالية والتخطيطية والتنفيذية .

9- من حيث زوايا الكاميرا والتقنيات والمعينات المستخدمة أكثر زوايا الكاميرا استخداماً في الأفلام (عينة البحث) كانت زاوية (مستوى النظر) حيث استخدمت (148) مرة وبلغت نسبتها (66 . 98 ٪) وكان استخدامها للأسباب التالية :

آ – الافتقار الى كوادر فنية مدربة تستطيع استخدام الزوايا الأخرى .

ب.– الظروف التي يجري فيها التصوير عادة هي ظروف معركة لها مواصفاتها واستحقاقاتها التي لا تشابه أية ظروف أخرى .

ح – أن التصوير بزوايا آخرى يتطلب توفر معدات مساعدة، وحتى وإن توفرت فلا يمكن استخدامها في عمليات (الكرّ والفرّ) .

وقد خرج البحث بمجموعة من التوصيات والمقترحات منها:

1 – هناك حاجة ماسة الى تبني ستراتيجية اعلامية موحدة تتوجه الى (المتلقي) العربي بعيداً عن هيمنة اعلام القطب الدولي الواحد وتكون هذه الستراتيجية واضحة الأهداف وغايتها تحقيق التوازن في التدفق الاعلامي والمعلوماتي وبما يصحح موقف العرب في أن يكونوا لاعبين أساسيين وليسوا مجرد مستهلكين.

2 – ضرورة أن يقوم الاعلام بدور أساسي في بناء الهوية الثقافية الوطنية بعيداً عن خصوصيات سياسية أو دينية.

3 – العمل على تجفيف منابع التطرف الديني الموجودة حالياً في عدد من وسائل الاعلام الرسمي والخاص.

4 – يجب أن تضطلع وسائل الاعلام بمسؤلياتها تجاه (المتلقين) من خلال دعم وتطوير المعايير المهنية والالتزام بميثاق الشرف المهني.

سجّل التاريخ على مرّ العصور والأزمان أغرب أساليب العنف والعدوان والتعسف، فردياً وجماعياً، ضد الأفراد والشعوب والمجتمعات، وقد مورس هذا العنف من قبل أفراد وجماعات منظمة وحكومات. وقد اختزن التاريخ الأنساني للشعوب والمجتمعات أدلة كثيرة على ما مورس ضدها في هذا الجانب.

يقول كيت سميث في دراسته الموسومة (جرائم العنف) : (أن التاريخ ليس أكثر من سجل لجرائم بني البشر وحماقاتهم ومصائبهم، وان التاريخ ليس أكثر من صورة للجرائم والمحن الانسانية) وعليه فان العنف والارهاب هما أخطر سلاح أسسته السياسة ومارسته الدول ضد شعوبها عبر التاريخ البشري للشعوب والمجتمعات.

وعند مناقشة الأسباب الرئيسة للعنف والارهاب نجد انها محصلة للاختلاف الثقافي والمعرفي بين الجماعات والمجتمعات المختلفة بشكل أدى الى أن (يلازم الارهاب الحياة البشرية منذ بداياتها لأنه بنظر أهله هو الأسلوب الأقرب للوصول الى الأهـــداف والمصالح .

وفي ظل البيئة العالمية الحالية تتولد أشكال عديدة للعنف أهمها الآن هـي ظاهرة (الارهـاب) هـذه الظاهرة التي طغت بشكل واضح وملحوظ في عصرنا الراهن .

ويعد الارهاب في شكله ومضمونه نوع من أنواع العنف (المرضي) ويقترب في الكثير من صوره ودوافعه وأهدافه من السلوك الاجرامي حيث أن (أيّ عنف منظم ومدبر يعد سلوكاً اجرامياً)

ويمكن تعريف (العنف) انطلاقاً من أبسط معانيه الاجتماعية بأنه الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي أو البدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو اجتماعية أو دينية أو سياسية . وسيتناول الباحث في هذه الدراسة ظاهرة الارهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001) وما رافقها وما تبعها من (تزيين) وترويج اعلاميين لهذه الأحداث من خلال بغض الفضائيات العربية وما جرى من تصوير لها على أنها فتح اسلامي جديد الأمر الذي أدى الى حدوث ردّة الفعل العنيفة ضد العرب والمسلمين من خلال محاولة الربط بين ما حدث وبين الاسلام (فكراً وثقافة) ومحاولة تصويره على انه دين العنف والارهاب .

وبما اننا نعيش زمن العولمة والقرية الكونية الواحدة وعصر الفضاءات المفتوحة فقد أصبح للكلمة (المرئية) تأثيرها المباشر على المجتمع من خلال ما يعرض وما يشاهد ، حيث أصبح (التلفزيون) والصحافة الالكترونية يكتسحان كل وسائل الاعلام الأخرى (إن

كان ذلك في نسب القراءة والاستماع المتداولة عالمياً واقليمياً ومحلياً أو في توسع شبكات الاعلام في الانتشار الحقيقي أو في الايرادات الاعلانية) وبهذا الاتجاه أحدثت الفضائيات العربية وما تزال انقلاباً حقيقياً في المفاهيم بات معها المستقبل مفتوحاً على تحديات كثيرة وكبيرة، ومع تطور تكنولوجيا العلوم وعلوم الاعلام والاتصال، أصبحت (الصورة) التلفزيونية هي سيدة التعبير و (مالكة النظر والسمع والانتباه والفكر الواعي واللاواعي.

وتتمتع الصورة التلفزيونية بقدرة كبيرة في الاستحواذ على اهتمام المتلقي وحواسه وكأنها فعل ساحر . عن ذلك تقول ماري وين : (أن التدفق الهائل والمتغير باستمرار للصور والأصوات الخارجية من الصندوق العجيب والتنوع غير المنتظم للمشاهد التي تصدم العين وهدير الأصوات البشرية وغير البشرية التي تنقض على الاذن يدخل المشاهد في وهم عيش تجربة كثيرة التنوع) .

أي أن التلفزيون له القدرة على خلق واقع جديد يعيشه المتلقي نظراً لخصوصيته في كونه وسيلة اعلامية لها تأثير مزدوج على المشاهد من خلال الصورة والكلمة وقد ركز الباحثون والدارسون على أهمية المحتوى الذي يعرضه التلفزيون وركزوا في هذا الجانب على سلوكيات (المتلقي) حاضراً ومستقبلاً حيث (بات المعروض يشكل خطراً على جمهور المتلقين بعد أن حاول الاعلام الفضائي أن يروّج للارهاب من خلال شرائط العرض التي قدمت الارهابيين على انهم أبطال وانهم موجودون ويحققون أهدافهم التي يريدونها رغم أنف السلطة والمجتمع).

موضوع للبحث :

- يركز البحث على موضوعة الارهاب في الفضائيات العربية ويتناول دراسة في الشكل والمضمون للافلام المتيسرة التي تعرضها بعض هذه الفضائيات للأفراد والجماعات المروّجة للارهاب، حيث أن عدداً من هذه الفضائيات توقع المشاهد في شرك نفسي وعقلي لا يقدر معه على الفصل أو التمييز بين الواقع والوهم أو بين الحقيقة والخيال والخير والشر، بين الممكن وغير الممكن حيث : (أن الناس في المجتمعات المعاصرة أصبحوا أكثر اعتماداً على مصادر غير شخصية للخبرة وأن صناعة الثقافة الجماهيرية أصبحت منتجاً تقدمه وسائل الاعلام ويقف في مقدمتها التلفزيون الذي ينفرد بالاستخدام غير الانتقائي من قبل الجمهور، و الناس يمتصون المعاني التي يقدمها التلفزيون بشكل غير واع مما يخلق وجهات نظر وغرس معتقدات جديدة لديهم .

أصبحت هذه الفضائيات تحتل مساحة هامة في حياة المواطن العربي (معدل مشاهدة الطفل العربي للتلفزيون يصل الى أعلى مستوياته في المراحل الأولى من المراهقة ليفوق ثلاث ساعات يومياً ويصل أحياناً الى ٤ ساعات في اليوم)، كما أن فترة المراهقة تعتبر في الاساس فترة بناء ثقافي واجتماعي حيث أن ما تلعبه المرأة، وما يقوم به الرجل مجتمعياً في المستقبل انما هو نتاج لما (يغرس) في عقول المراهقات والمراهقين وما يتاح أمامهم من فرص وامكانيات، وبالرجوع الى (الطفل) سواء كان بنتاً أو ولداً فأن الامتياز الذي يحققه التلفزيون يجعل هذا (الطفل) يعتقد أن ما يراه من شخصيات ومواقف في المضمون التلفزيوني انما هي شخصيات ومواقف (حقيقية) لا (افتراضية) وهي تمثل الواقـــع الحقيقي .

هل ان النتاجات الفلمية للتنظيمات المسلحة روّجت من خلال ما عرضته من أفلام للقائمين بالارهاب (أفراداً وجماعات) لموضوعة (الارهاب) ؟ وهل امتلكت هذة النتاجات شكلا معبرا اعتمد على التاثير من خلال التقنية المستخدمة أم لا ؟ وهل امتلكت هذة النتاجات مضمونا معبرا اعتمد على التاثير من خلال المفردات المستخدمة أم لا؟ واذا كانت الاجابة بـ نعم . هل ترك التلفزيون من خلال تقديميه لهذه النتاجات تأثيرا في نشر ثقافة الارهاب بين الشريحة المجتمعية الأكثر تأثراً بهذه الوسيلة الاتصالية؟ .

أهداف البحث:

يعد تحديد أهداف البحث من الخطوات الأساسية في سبيل الوصول الى نتائج متكاملة وصحيحة، لذا فأن هذا البحث يسعى لتحقيق الأهداف التالية :

1 – التعرف على الأشكال والمضامين للأفلام والبرامج(موضوعة البحث) التي يشاهدها جمهور المتلقين في الاعلام الفضائي العربي .

2 – التعرف على انواع التأثيرات المطروحة في الخطاب الاعلامي الفضائي العربي بالنسبة لموضوع الارهاب .

3 – معرفة المساحة الرمنية للصورة التلفزيونية في هذا الخطاب .

4 – تحديد مدى التوافق بين النص (المضمون) والصورة (الشكل) في الخطاب المذكور .

5 – تحديد نوعية الأصوات المستخدمة في الخطاب الاعلامي هذا .

6 – ماهية اللغة المستخدمة في هذا الخطاب الاعلامي .

7 – تحديد درجة الاستعانة ب (المعينات) الفلمية في الخطاب الاعلامي المذكور

تحديد المصطلحات:

1–الارهاب :

آ – تعريف مورجان (10)

الارهاب هو نوع من العنف المتعمد تدفعه دوافع سياسية، موجه نحو أهداف معينة تمارسه جماعات معينة أو عملاء سريون لاحدى الدول

ب – تعريف كوفال . م (11)

الارهاب هو القتل العمد المنظم الذي يهدد الأبرياء ويلحق الأذى بهم بهدف خلق حالة من الذعر من شأنها أن تعمل على تحقيق غايات معينة .

الارهاب استخدام متعمد للعنف أو التهديد باستخدام العنف من قبل بعض الدول أو من قبل جماعات تشجعها وتساندها دول معينة لتحقيق أهداف سياسية وستراتيجية وذلك من خلال ممارسة أفعال خارجة على القانون تستهدف خلق حالة من الذعر الشامل في المجتمع .

الارهاب استخدام متعمد للعنف أو التهديد باستخدام العنف من قبل بعض الدول أو من قبل بعض جماعات تشجعها وتساندها دول معينة لتحقيق أهداف ستراتيجية وسياسية وذلك من خلال ممارسة أفعال خارجة على القانون تستهدف خلق حالة من الذعر الشامل في المجتمع .

هـ- تعريف مكتب المباحث الفيدرالي اف بي آي

أن الارهاب استخدام غير مشروع للقوة ضد الأشخاص أو الممتلكات كي يسيء الى الحكومة أو المدنيين أو قطاع من المجتمع وذلك لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية

و- تعريف ت

الارهاب هو استخدام طرق عنيفة كوسيلة، الهدف منها نشر الرعب للاجبار على اتخاذ مواقف معينة أو الامتناع عن موقف معين، وهو وسيلة وليس غاية، ووسائله عديدة ومتنوعة وتتميز بطابع العنف وتخلق حالة من الفزع والخوف .

ز- تعريف محمد بسيوني :

الارهاب هو ستراتيجية عنف محرم دولياً تحفزها بواعث عقائدية (آيديولوجية) وتتوخى إحداث رعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول الى السلطة بغض النظر عما اذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم ونيابة عنها أم نيابة عن دولة من الدول .

تعريف الإرهاب :

بأنه عنف تمارسه جماعات تساندها دول معينة و يستهدف افراداً و جماعات لغرض ترويعهم سياسياً و اجتماعياً و اقتصادياً بهدف تحقيق غايات هذه الجماعات بغض النظر عن توافقها او عدم توافقها مع غايات واهداف المجتمع التي تدور فيه احداث العنف.

2 – الاعلام الفضائي العربي

آ – تعريف عادل عبد الغفار خليل : هو نتاج التطوير والتحديث المستمرين للبيئة الاتصالية العربية ولوسائل الاعلام في عصر اتسم بانه عصر المعرفة وعصر ديمقراطية الاتصال .

ب – تعريف فرنك ايرفيه وآخرون : هو وليد عصر الاتصال عن بعد عبر الفضائيات وتكنولوجيا الحاسوب

ج – تعريف حمدي حسن : هو عصر تكنولوجيا الاتصال في البث والاستقبال .

د – تعريف محمد عبد الحميد : هو عصر المشاهدة بالاختيار، تنوعاً وتخصصاً .

هـ – تعريف حمدي قنديل : هو عصر ثقافة الصورة المعبر عن التنوع بعيداً عن الاختلاف.

ويعرف الباحث الاعلام الفضائي العربي بانه: ألقنوات الفضائية التي تبث من الوطن العربي وخارجه والتي اصبحت تمارس تأثيرها على نواحي الحياة السياسية والأجتماعية والأقتصادية كافة ومعها غادر السكان عصر (حتمية) المشاهدة ب (الاجبار) الى عصر (حرية) المشاهدة ب (الاختيار) من خلال الوصول الى المشاهدين في منازلهم من دون حواجز رقابية . .

3 – **الشكل :**

آ – تعريف بارعة حمزة شقير : هو التكوين الفني الذي يكون عليه العمل سواء كان فنياً أو اعلامياً .

ب – تعريف دينا عرابي : الشكل هو أحد المكونات الأساسية للرسالة الاعلامية .

ج – تعريف لورينزو فيبليس : الشكل هو المظهر الخارجي للرسالة الاعلامية وهو الذي يقرّب المتلقين من فهم المضمون .

ويميل الباحث الى تعريف (فيبليس) ويعرّف الشكل بانه : الوجه الأول للمادة الاعلامية

ووجهها الثاني هو المضمون ، وأنه المظهر الخارجي للرسالة الآعلاميه ويمثل (آلجسد) لها.

4 – المضمون :

آ – تعريف لور ينزو فيبليس (24) ص 89 هو شكل للتعبير عن مضامين اجتماعية وسياسية واقتصادية .

ب – تعريف بول . ب . ديكسون (25): هو دفاع عن فكرة ما أو رفض لها . .

ج – تعريف محمود مزيد : (26) : هو رسالة معينة تستهدف متلقين معينين .

د – تعريف مصطفى حمدي (27) : هو المحتوى الظاهر لمادة الاتصال .

هـ – تعريف سوزان القليني (28) : هو المعنى الذي تضمه المادة الاعلامية سواء كانت تتناول مواضيع سياسية أو بانه نص اعلامي يقدم للمتلقي موضوعة ما بشكل رأي أحادي أو بآراء مجتمعة أو مختلفة .

حدود البحث :

- يتحدد البحث في الفترة الممتدة بين الحادي عشر من سبتمبر العام 2001 الى الحادي عشر من سبتمبر 2008 وسيتم فيها رصد وتحليل الأفلام والبرامج التي انتجتها جهات تصنف على انها تمارس الارهاب والتي بثتها واعتمدتها العديد من الفضائيات العربية واخضاعها للتحليل شكلاً ومضموناً .

- تمتلك وسائل الاعلام، خاصة التلفزيون امكانات مهمة تستطيع من خلالها التأثير على الجمهور المتلقي، فهي تستطيع تكوين قناعات جديدة وتفنيد أخرى قائمة واضفاء الشرعية على أمر ما من خلال الاقناع وحشد الطاقات باتجاهه، كما أن هذه الوسائل تستطيع أن تخلق نوعاً معيناً من الجمهور يؤمن بما تطرحه حتى وإن كان يخالف قناعاته حيث أن الاتساق بين ما يطرح وتكراره يرسخان الفكرة المطروحة ويجعلانها مقبولة للتصديق والايمان بها من قبل الجمهور المستهدف . وتساهم وسائل الاتصال في التأثير المتدرج على الفرد المتلقي من حيث تكوين فكره السياسي والثقافي من خلال امداده بالمعلومات والمعارف وصولاً الى تشكيل آراءه ومعتقداته واتجاهاته ومن ثم سلوكه داخل المجتمع . ويمتلك التلفزيون قدرة كبيرة على تشكيل آراء الجمهور وتكوين قناعات جديدة من خلال وسائل الاعلام المنافسة وهي الصحف والاذاعة، لثنائية الصوت والصورة، وامكاناته الكبيرة أيضاً في اضفاء هالة اثارة تجلب انتباه المتلقين . وقد أصبح التلفزيون في أحيان كثيرة عاملاً مساعداً في صنع الاحداث وفي أحيان كثيرة مشاركاً فيها ، والجمهور المتلقي قد لا يصغي الى أية وسيلة اعلامية أخرى اذا كان ما تقوله مخالفاً لما تقوله الصورة ، اذ أن الصورة يمكن أن تقول ما تعجز عنه الكلمات . والتلفزيون قد لا ينقل الحقيقة كاملة أو انه يقدم شيئاً مخالفاً للواقع وهو في كل ما يعرضه يوفر عنصر التشويق ويقرب من الإقناع من خلال الواقع الجديد الذي ينقله عن الحدث ويسوقه للجمهور، اضافة الى أن الافراط في التغطية الاعلامية يجعل الحدث مهماً وحقيقة قائمة، وما دام ما يقدم ويعرض هو الحقيقة في نظر الجمهور المتلقي أو انه الأقرب اليها، فانه ليس على المتلقين، خاصة اذا كانوا أميين

أو أنصاف متعلمين إلاّ أن يصدقوا ما ينقله التلفزيون من صور بسيناريو محكم ومضمون معقول تستطيع أن تجمع آراء هؤلاء المتلقين حول المشكلة أو القضية، وهنا يلقى المضمون التلفزيوني الأكثر جدية ووضوحاً وبعداً التجاوب الأكبر من قبل الجمهور خاصة وأن هذا الجمهور لا يتلقى معلومات منافسة قد تنقص من مصداقية ما يشاهده، كما انه لا توجد لهذا الجمهور مصلحة شخصية في مقاومة أو رفض ما يعرض عليه اذا كان لا يستهدف تغيير المواقف والقناعات والآراء . وخلاصة القول أن التلفزيون استطاع أن يتجاوز الاشكال الذي كان يواجهه الاميين وانصاف المثقفين في الكلمة المقروءة وأختها المذاعة، حيث استطاعت الصورة التلفزيونية أن تفسر ما تعجز عنه الكلمات، فتجاوز التلفزيون بذلك عائق الأمية لدى الأفراد واصبح قاسماً مشتركاً لجميع فئات المجتمع على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وانتماءاتهم، ولكن النهج المسؤول في وسائل الاعلام عامة وفي التلفزيون خاصة قد يضع (عصابة) على عيني الجمهور المتلقي ويوهمه بوجهة نظر هي غير موجودة أصلاً، حيث أن المضمون التلفزيوني قادر من خلال استخدامه لثنائية الصوت والصورة وبطريقة فعّالة عبر الخطاب المباشر على أن يخلق احساساً لدى المشاهدين بانهم وجهاً لوجه مع من يتحدث اليهم ويملكون أيضاً اتصالاً بصرياً وهمياً معه، وهنا تتجلى أيضاً قدرة التلفزيون على ايجاد الاثارة وتوليدها وذلك انطلاقاً من أهم وظائفه الاتصالية المهمة، وقد سار التلفزيون على هذا المنوال منذ بدايته وحتى الآن وبطبيعة انتقائية حيث يتم انتقاء ما سيتم تقديمه على الشاشة واتخاذ قرارات بخصوص كيفية تصويره وتنظيمه وترتيبه و (جرعات) الاثارة التي(تصب) فيه، وهذا يوضح جزءاً من من مقدرة التلفزيون على أن

(يصدم) المتلقين الذين قد يعرفون مسبقاً أشياء عن الظروف والاحداث التي تم تصويرها، ولكن لم يطلعوا عليها بصرياً وتفصيلياً، ويتناول الأطار المنهجي ؛

آ- النشأة

- نشأت نظرية (مدخل) الاستخدامات والاشباعات على يد (الياهو كاتز) العام 1959، حيث تحول الانتباه من الرسالة الاعلامية الى الجمهور الذي يستقبل هذه الرسالة، وبذلك انتفى مفهوم قوة وسائل الاعلام الطاغية، حيث كان الاعتقاد بأن متابعة الجمهور لوسائل الاعلام تتم (وفقاً للتعود على الوسيلة الاعلامية وليس لأسباب منطقية)(29)، لكن نظرية (مدخل) الاستخدامات والاشباعات له رؤية مختلفة تكمن في ادراك تأثير الفروق الفردية والتباين الاجتماعي على السلوك المرتبط بوسائل الاعلام . وتحكم عملية استخدام جمهور المتلقين للوسيلة الاعلامية عدة عوامل معقدة ومتشابكة من بينها : الخلفيات الثقافية، الذوق الشخصي للفرد، أسلوب الحياة، السن، الجنس، مقدار الدخل، مستوى التعليم، المستوى الاقتصادي .

اذ (أن لكل هذه المتغيرات أو لبعضها تأثير على اختيارات الفرد للمضامين الاعلامية التي يريد متابعتها) (30)، وبذلك تم تحويل اهتمام الباحثين الاعلاميين من الاهتمام بما تفعله الرسالة بالجمهور الى ما يفعله الجمهور بالرسالة، ومن هنا يختلف هذا (المدخل) عما سبقه حيث انه يركز على خصائص الجمهور ودوافعه انطلاقاً من مفهوم الجمهور (الايجابي) الذي (يستخدم) رسالة اعلامية معينة لـ (اشباع حاجة أو حاجات معينة) أو لتحقيق منفعة ما بعيداً عن مقولة (التعود)، وبهذا أصبح على القائمين بمهمة الاعلام جهداً مضاعفاً وهو التعرف على

اتجاهات وأذواق المتلقين بالاضافة الى (صنع الرسالة الاعلامية التي تتناسب مع توجهات ورغبات واحتياجات جمهور المتلقين ورغبات وامكانات الاعلامي). واستناداً الى فروض مدخل (الاستخدامات والاشباعات) فأن الجمهور المتلقي يقوم باختيار المادة الاعلامية التي يرى انها تشبع احتياجه ومن ثم يتم اختيار الوسائل أو الرسائل الاعلامية التي تشبع تلك الاحتياجات، ويمكن الاستدلال على المستوى والمعايير الثقافية السائدة في مجتمع ما (من خلال التعرف على استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال وليس من خلال مضمون الرسالة الاعلامية التي تؤديها هذه الوسائل). وقد تجاوز مدخل الاستخدامات والاشباعات المفهوم الذي كان سائداً بأن الجمهور هو مجرد متلقي سلبي، فبظهور هذا المدخل ظهر أيضاً مفهوم (الجمهور النشط) الذي يبحث عن المضمون الاعلامي الذي يلبي (اشباعاته) ويناسبه من حيث الثقافة والدخل والجنس والتوجه (ويات هذا الجمهور يتحكم باختيار الوسيلة الاعلامية التي تقدم المضمون الذي ينشده)، الأمر الذي تجدر الاشارة اليه هنا هو أن المضمون الاعلامي الواحد يحقق اشباعات متفاوتة لدى فئات من الجمهور، فمثلاً برنامج يحوي مشاهد عنف (قد يكون مادة ترفيهية بالنسبة للبعض ومادة تعليمية بالنسبة للبعض الآخر) والعكس صحيح أيضاً وذلك استناداً الى الدوافع التي حدت بالمتلقي الى التعرض لهذا البرنامج أو ذاك وهذا يتوقف بالطبع على (الاشباعات) التي يحققها هذا (التعرض) بالنسبة للمتلقي . وعليه فأن نظرية (مدخل) الاستخدامات والاشباعات اختلف عن سابقاته من النظريات والمداخل من كونه تناول بتركيز مكثف (خصائص الجمهور الذي يتعرض للوسيلة الاعلامية من حيث الخصائص والدوافع بعيداً عن مقولة التعود والقبول بما يقدم له)

ب - مراحل التطور:

يمكــن رصــد ثــلاث مراحــل لتطورمــدخل (الاســتخدامات والاشباعات) وهي :

- مرحلة الطفولة : ويتم فيها اختيار المتلقين أشكالاً مختلفة مما يقدم من محتوى في الوسيلة الاعلامية وقد امتدت هـذه المرحلة من خلال عقدي الاربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي .
- مرحلــة المراهقــة : ويــتم فيهــا التركيــز علــى المتغيرات النفـسية والاجتماعيــة الــتي تــؤدي الى اختيــار انمــاط مختلفــة مــن الوســائل الاتـصالية اعتمـاداً علـى مـا تتيحـه مـن اسـتخدامات ومـا تحققـه مـن اشـباعات . (أي أن جمهـور المتلقين يتجـه الى اختيـار وسـيلة اتـصالية معيتـة ومحـدودة لاشـباع حاجـات معينـة ومحـددة لديـه أيضاً) (36)، وقد امتدت هذه المرحلة خلال عقد الستينيات من القرن الماضي .
- مرحلــة تكــون الشخـصية (البلــوغ) : ويــتم التركيــز فيهــا علــى الاشـباعات المتحققـة مـن مـشاهدة وسـائل الاتـصال وقـد امتـدت هـذه المرحلة منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر .

ج- الأهداف والفروض

حقق مدخل (الاستخدامات والاشباعات) عدة أهداف منها :

- ايجـاد تفـسير لكيفيـة اسـتخدام المـتلقين للوسـائل الاعلاميـة علـى اختلافها بهدف اشباع حاجات معينة لديهم .
- فهـم دوافـع المـتلقين في التعـرض للوسـائل الاتـصالية وأنمـاط التعـرض المختلفة .

- الوقوف على ما يترتب من نتائج على مشاهدة وسائل الاتصال .
- الفروض التي يحققها مدخل (الاستخدامات والاشباعات) فهي :
- يستخدم الجمهور المتلقي المعروض الاعلامي بما يحقق اشباعاً لاحتياجاته .
- تمكين (الجمهور النشيط) من تحديد دوافعه واحتياجاته (وبالتالي تمكينه أيضاً من اختيار الوسيلة الاعلامية التي تحقق له ذلك)
- يمكن أن تعطي استخدامات المتلقين للوسيلة الاتصالية دلالة واضحة على المستوى الثقافي للمجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء المتلقين .
- يعبر استخدام الجمهور (النشيط) لوسيلة اعلامية معينة عن ادراكه لامكانية هذه الوسيلة في تلبية احتياجاته .
- تتنوع الحاجات بتنوع واختلاف الأفراد من حيث الحس والادراك والمستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي (وبالتالي تتنوع وسائل الاتصال التي يستخدمها الجمهور لاشباع الحاجات) (38) ص189.
- يتجه الجمهور (النشيط) الى تكملة بنية احتياجاته من خلال وسائل وقنوات اتصالية أخرى مثل الأندية والسينما والملتقيات الثقافية عند احساسه بقصور وسائل الاتصال المتاحة عن تلبية احتياجاته، وهذا ما يوجد حالة تنافسية بين الجانبين (وسائل الاتصال والقنوات الأخرى) .

د/ أهم نماذج المدخل:

نموذج كاتز وزملائه(20) ص (240)

يرى كاتز أن المواقف الاجتماعية للجمهور هي التي تحدد العلاقة بين المتلقين والوسيلة الاتصالية القادرة على تلبية احتياجاتهم، والصراع الاجتماعي يشكل ضغطاً على المتلقي يدفعه الى البحث عن وسيلة الاعلام التي تلبي احتياجاته .

نموذج ويندال (39)

يتناول ويندال في نموذجه العلاقة بين كل من (الاستخدامات) و(الاشباعات) والعلاقة الرابطة بينهما، ويرى في نموذجه هذا أن (المتلقي يرسم مسبقاً توقعات لما يمكن أن يحققه (مضمون) الوسيلة الاعلامية المستهدفة بعد اجراء مفاضلة بين هذه الوسيلة المختارة والوسائل الأخرى .

نموذج روز نجرين . (38) ص 209

- يتناول النموذج مجموعة العوامل التي يتشكل منها مدخل (الاستخدامات والاشباعات) وهي الحاجات الاجتماعية والبايلوجية والنفسية الموجودة لدى الانسان حيث تتفاعل هذه الحاجات مع الاطار المجتمعي وخصائص الفرد، وهنا يلجأ الفرد الى الوسيلة الاعلامية التي يرى في مضمونها حلاً لمشكلاته واشباعاً لحاجاته .

1- مفهوم الجمهور غير الخامل (النشيط) .

-قديماً اعتبرت بعض النظريات الاعلامية مثل نظرية (الرصاصة) التي جاء بها (ولبرشرام) أو نظرية (الحقنة تحت الجلد) . الجمهور المتلقي (متلقياً) سلبياً يقبل مائة بالمائة الرسائل التي تبثها الوسائل

الاعلامية، لكن مع ظهور مدخل (الاستخدامات والاشباعات) ظهر مفهوم الجمهور غير الخامل (النشيط) الذي يبحث عن المضمون الاعلامي المناسب له الملبي لحاجاته، حيث بات هذا الجمهور يتحكم في اختيار الوسيلة التي تقدم هذا المضمون أو المحتوى ويعرف ذلك ب (الانتقاء النسبي) أو ب (توقع المكافأة) وهو(الموازنة بين قدر الاشباع الذي سيحصل عليه الفرد في مقابل المجهود المبذول للحصول على هذا الاشباع)

ويتحدد مفهوم الجمهور النشيط بما يلي :

- الانتقائية في الاختيار : حيث يقوم الجمهور باختيار وسيلة اتصالية معينة ويختار التعرض لمضمون معين فيها . (ويمتد مفهوم الانتقائية ليشمل مرحلتين : الادراك والتذكر) - الانتفاع : حيث أن جمهور وسائل الاتصال يختار المضمون الذي يشبع حاجات ودوافع معينة .
- الاختيار المتعمد : يتعمد أفراد الجمهور اختيار وسيلة اعلامية معينة لاشباع حاجة ما، ومصدرها هو خصائص فردية واجتماعية وثقافية لجمهور الوسيلة الاعلامية .
- الاستغراق : ويحدث على المستوى الادراكي والتأثيري والسلوكي، حيث أن استغراق الجمهور مع المضامين الاعلامية وخاصة التلفزيون (يعتمد على مدى توحد الجمهور مع الشخصيات التلفزيونية).
- محدودية التأثير : هناك محدودية في تأثير وسائل الاتصال على تفكير الجمهور وسلوكه (فالجمهور لا يريد أن يتحكم فيه أي شيء أو أحد)

- وطورت (لين – 1990) (44) مفهوم نشاط الجمهور الى ثلاث مراحل هي :

- المرحلة الأولى : تتم قبل التعرض، وتتمثل في التخطيط المسبق قبل التعرض للوسيلة الاتصالية .
- المرحلة الثانية : تتم أثناء التعرض وتتمثل في الاستغراق في المضمون الذي يتم التعرض اليه .
- المرحلة الثالثة : تتم بعد التعرض وتتمثل في الاستفادة من المضمون الذي تم التعرض اليه من خلال استخدامه في الاتصال الشخصي .

2ـ الاصول النفسية والاجتماعية لاستخدامات وسائل الاتصال :

يعود الفضل في اكتشاف العلاقة بين الاصول الاجتماعية والنفسية ودوافع التعرض لوسائل الاتصال الى الباحثة (ماتيلدا رايلي) **حيث تناولت رايلي هذه الأصول من حيث :**

آ- الاصول الاجتماعية لاستخدامات وسائل الاتصال .

- لا يتعامل أفراد الجمهور مع وسائل الاتصال باعتبارهم أفراداً معزولين عن واقعهم الاجتماعي وانما (باعتبارهم أعضاء في جماعات منظمة) .

وعليه فأن العوامل الديموغرافية والاجتماعية مثل . النوع . السن . المهنة . المستوى العلمي . المستوى الاجتماعي والاقتصادي، لها تأثيرها في استخدام الجمهور لوسائل الاتصال وبذلك (تبين فشل مفهوم الجمهور السلبي بعد ظهور مدخل الاستخدامات والاشباعات) (27) ص 29 .

ب- الاصول النفسية لاستخدامات وسائل الاتصال .

- تؤدي العوامل النفسية في بعض الأحيان الى وجود حوافز أو دوافع معينة بحاجة الى اشباع وبالتالي تحدد العديد من الاستخدامات لوسائل الاعلام، حيث يقوم مدخل الاستخدامات والاشباعات على افتراض أن الأفراد المختلفين يختارون لأنفسهم مضامين اعلامية مختلفة وفقاً للظروف النفسية بينهم، حيث تعد الظروف النفسية لأفراد الجمهور مشكلات تواجههم (وتحقق مشاهدة التلفزيون مثلاً العلاج لمثل هذه المشكلات).

3ـ أنواع الحاجات المشبعة :

- تعرف الحاجة بأنها افتقار الفرد أو شعوره بنقص في شيء ما يحقق تواجده حالة من الرضا والاشباع و (تقسم الحاجات الى قسمين):
- أساسية : مثل الحاجات الفيزيولوجية والنفسية.
- ثانوية : مثل الحاجات المعرفية .

4ـ توقعات الجمهور من وسائل الاتصال :

تخلق حالة الفرد الداخلية وميوله النفسية توقعات لاشباع حاجاته من خلال التعرض الى وسائل الاتصال و (تعد التوقعات خطوة هامة في عملية التعرض لوسائل الاتصال) وهو مفهوم جوهري يتلاءم مع مفهوم (الجمهور النشيط) حيث انه اذا كان على الجمهور الاختيار بين بدائل اتصالية وغير اتصالية أخرى طبقاً لاحتياجاتهم فلابد أن يكونوا على درجة كافية من الوعي ببدائل تكون أكثر اشباعاً لاحتياجاتهم، حيث أن السلوك الاتصالي للأفراد ينشأ من التوقعات والمعتقدات بشأن

احتمال(أن يكون لهذا السلوك اسهامه في اشباع احتياجاتهم المختلفة) ص 193

وبهذا تحسب عمليتي التوقع والتقييم في استخدام الوسائل الاتصالية كمدخل هام للكشف عن طبيعة المضمون الاتصالي الذي يبحث عنه الفرد لاشباع حاجاته . علماً أن استخدام الجمهور لوسائل الاتصال تتغير وتتطور باستمرار مع تطور تكنولوجيا الاتصال وتعدد الوسائل الاتصالية ، وكلما (تعددت هذه الوسائل كلما تحسنت ظروف وحرية الاختيار بما يلبي اشباع حاجات الجمهور)، حيث أن الجمهور المحدد بوسيلة اتصالية واحدة يكون أمامه مجال واسع للاختيار ولا تعبر مشاهدتهم للمضامين المقدمة من هذه الوسيلة عن ضرورة اشباعها لبعض الحاجات لديهم .

5ـ اشباعات وسائل الاتصال :

يتم وفق مدخل (الاستخدامات والاشباعات) أن يختار الجمهور من بين الوسائل الاعلامية المتاحة أمامه ومن مضامينها ما يمكن أن يشبع حاجاته ويلبي رغباته بغية (الحصول على نتائج خاصة يطلق عليها الاشباعات) وهناك امكانية ربط محتوى الرسالة بالاشباعات المتحققة، فبرامج الدراما والترفيه والمنوعات يمكن أن تحقق اشباعات مختلفة مثل التنفيس والتخلص من الملل والقلق والهروب من المشكلات اليومية . أما برامج الأخبار والمعلومات فتحقق اشباعاً معلوماتياً (يتمثل في الحصول على المعلومات والخبرات والمهارات).وتتأتى الاشباعات (المطلوبة والمتحققة) من الوسائل الاتصالية من خلال مصادر رئيسية ثلاثة تتمثل في محتوى أو مضمون الوسيلة الاعلامية من (خلال التعرض الى مضامين برامجية محددة) أو تتمثل في التعرض لوسيلة اعلامية معينة . ومن شأن

ذلك أن يشبع احتياجات معينة للفرد المشاهد مثل الترفيه والتنفيس والاسترخاء والهروب من مشكلة ما. أو تتمثل أيضاً في الاطار المجتمعي عند المشاهدة كأن يكون التعرض للوسيلة من خلال المشاركة مع آخرين كأفراد الأسرة أو الأصدقاء أو بشكل منفرد وهنا (تحل الوسيلة الاعلامية مكان هؤلاء الأفراد أو تكمل أدوارهم على أقل تقدير) .

السلبيات الموجهة والايجابيات المحققة للمدخل:

السلبيات الموجهة لمدخل (الاستخدامات والاشباعات) تتمثل في الانتقادات الموجهة اليه وأولها ادعاء (المدخل) أن الجمهور يختار الوسيلة بما يحققه له (المضمون) بحرية تامة وبناء على الاحتياج فقط هو (أمر ربما يكون مبالغ فيه) حيث أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية قد تبطل ذلك وتحول دون تحقيقه، فهذه العوامل تحد من استفادة الفرد من التكنولوجيا الاعلامية المتقدمة، كما أن عدم توفر بدائل عديدة من الوسائل الاعلامية يلغي مفهوم الجمهور الايجابي أو النشيط الذي يسعى لتحقيق أهداف محددة واشباع حاجات بعينها كما أنه يلغي مبدأ حرية الاختيار (فليس كل سلوك اتصالي يوجهه حافز، فالكثير من السلوك الاتصالي للجمهور هو سلوك عادي) يحدده وجود وسيلة اتصالية واحدة ولا يوجد أمامها أي مجال للرفض أو الاختيار للمضمون الاتصالي المعروض، كما أن هناك جدلاً وتساؤلاً حول قياس استخدام المتلقي للوسيلة الاتصالية والكيفية التي يتم فيها القياس وزمن الاستخدام من حيث القياس خلال وقت التعرض أم بعده وكثافة ومحدودية المشاركة . كما أن المدخل لم يفرق بين الاشباعات التي يبحث عنها الجمهور والاشباعات التي تحققت عند المشاهدة، علماً أن (هذا الفرق يوضح مبدأ انتقائية الجمهور للمضامين الاعلامية التي يتعرض لها) ولم يشرح

(المدخل) درجة الايجابية في السلوك الاتصالي لأفراد الجمهور أو مفهوم (الجمهور النشط) بوضوح، حيث انه يمكن أن يقصد به الانتقائية قبل المشاهدة أو أثناءها أو بعدها وهذا لم يحدد في المدخل ولم يتم التطرق اليه بدقة.

أما الايجابيات المتحققة للمدخل فهي تتمثل في :

- أن المدخل يمثل مرحلة بحثية متطورة (لفهم العلاقة بين المرسل والجمهور في اطار اجتماعي) وهو يهم أيضاً في تحديد العوامل التي تؤثر في اختلاف السلوك الاتصالي للجمهور، حيث أن دوافع مشاهدة الجمهور للمادة الاعلامية تختلف وفقاً لخصوصية كل مجتمع وظروفه المختلفة .

- أن استخدام مدخل الاستخدامات والاشباعات له أهمية واضحة في دراسة الجمهور الذي يتعامل مع البث المباشر والقنوات الفضائية، حيث يتيح هذا التعامل فرص مشاهدة أوسع وبالتالي تحفز هذه المشاهدة على (ايجابية الانتقاء للمضامين الاعلامية المختلفة) كما أن التناقض بين الاشباعات التي يبحث عنها الجمهور والاشباعات التي تتحقق بالفعل عند التعرض للوسيلة الاتصالية يمكن أن يؤدي الى تغيير في اختيارات الجمهور للوسيلة القادرة على توفير مضمون اتصالي يوفر اشباعاً لاحتياجاته .

- أن اختلاف نتائج الدراسات في هذا المجال يجب أن تحسب نقطة ايجابية للمدخل وليس نقطة سلبية عليه، حيث أن المجتمعات تختلف نظراً لخصوصية كل مجتمع واختلاف ظروف أفراده النفسية والاجتماعية والمادية والثقافية، ولهذا فأنه يمكن (تقييم نتائج الدراسات التي طبقت على المجتمع نفسه وليس على مجتمعات مختلفة)

أن مدخل الاستخدامات والاشباعات يهتم بتفسير الاستهلاك الاعلامي انطلاقاً من احتياجات الحياة اليومية التي يسعى الاستخدام الفردي لوسائل الاعلام الى اشباعها ، كما يضع هذا المدخل(المتلقي أمام مسؤوليته بالنسبة للمضامين الاعلامية التي يختارها). حيث يفترض (المدخل) أن الاختلافات الموجودة بين جمهور المتلقين من حيث السن والجنس والمستوى العلمي والاجتماعي والاقتصادي تجعلهم يختارون مضامين اتصالية مختلفة لتحقق لهم اشباعات مختلفة، وهذا ينبع من فكرة (الجمهور النشيط) الذي يستهدف الوسائل الاتصالية التي تشبع حاجاته (في الحصول على معلومات جديدة أو الشعور بالتفاعل الاجتماعي) .

2ـ نظرية الغرس :

- تأتي نظرية الغرس على أساس الاعتراف بقوة وسائل الاعلام وأثرها الاجتماعي على المتلقين انطلاقاً من فرضية (التراكم) لقياس الآثار طويلة المدى التي تتركها وسائل الاعلام خاصة التلفزيون على المتلقين عند تعرضهم لمضمون معين ولمدد تعرض طويلة .

-وتلتقي هذه النظرية مع مدخل (الاستخدامات والاشباعات) من حيث التأثير على المتلقي من خلال المضمون المرئي (الذي يلبي حاجة ما عند المتلقي أولاً ومن ثم التأثر بهذا المضمون ثانياً). اذ أن كلاً من مدخل (الاستخدامات والاشباعات) ونظرية (الغرس) يقومان على أساس التأثير على (المتلقي) واحداث قناعات جديدة لديه من خلال (غرس) تصورات وقيم جديدة وفق ما يوحي به (المضمون) الملبي لحاجات الفرد المتلقي السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، ويمكن تعريف (الغرس)على انه (زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية من خلال التعرض لوسائل

الاعلام) وقد أصبح مصطلح (الغرس) يرتبط منذ الستينيات بالنظرية التي تحاول تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الاعلام وبخاصة التلفزيون الذي يقدم عالماً متماثلاً من الرسائل الموحدة والصور المتكررة الى الحد الذي يعتبر معه المشاهدون أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يصوّر بها من خلال التلفزيون . كما أن (هناك ارتباطاً قوياً بين حجم المشاهدة ومعتقدات المشاهدين حول الواقع الاجتماعي بحيث تتشابه ادراكات كثيفة للمشاهدة)، وفي هذه الحالة يظهر المشاهدون ادراكات ترتبط بعالم التلفزيون أكثر من ارتباطاها بالواقع الاجتماعي . وتؤكد نظرية (الغرس) ميل العينة (كثيفة) المشاهدة الى تبني المعتقدات التي تعرض من خلال التلفزيون عن العالم الواقعي أكثر من العينة (منخفضة) المشاهدة .

آ - الاتجاه السائد   ب- التضخم (الرنين)

آ – الاتجاه السائد :

ويتمثل في حرص التلفزيون على تقديم (مضمون) متجانس لجذب عدد كبير من المشاهدين بعد أن يتم توفير عدد كبير من الموضوعات التي تحظى باهتمام المشاهدين، وهذا يبدو جلياً (في البرامج التلفزيونية التي وضعت بشكل يناسب الجميع لاغية في الوقت نفسه العديد من الحدود العمرية والطبقية والدينية والثقافية). ويسعى القائمون على التلفزيون أو راعي سياسته الى أن يحقق المضمون التلفزيوني المعروض صوراً ثلاثة هي :

- تلاشي وذوبان الاختلافات التقليدية بين الأفراد المعرضين للمشاهدة وهي : الحدود العمرية والطبقية والدينية والثقافية .

- اندماج المفاهيم التي يحملها المعرضون للمشاهدة في الاتجاه السائد للثقافة التلفزيونية .

- تشكيل اتجاه سائد جديد يتماشى ويتناغم مع (الاتجاه السائد لثقافة التلفزيون أو المضمون الذي تقدمه هذه الوسيلة) (63) ص16.

ب- التضخم (الرنين):

أن تطابق مايراه الأفراد في عالم التلفزيون مع الواقع المحيط يزيد من تأثيرات الغرس بحيث يصبح الأفراد كأنهم تعرضوا لجريمة مزدوجة ، وهو ما يطلق عليه التضخم أو الرنين وقد أشار العديد من الدراسات التي أجريت حول العنف التلفزيوني الى تضخم تأثير المواد التي يعرضها التلفزيون والتي تحتوي على عنف يتعرض له الأفراد الذين يعيشون في ظروف عنف غير عادية وهو (ما يؤدي الى ترسيخ مفهومهم عن الحياة لممارسة العنـــــف) (63)ص19.

3ـ الاعلام المرئي والعنف

ـ للتلفزيون ميزة خاصة كونه الوسيلة التي تعتمد الطبيعة التلازمية لثنائية الصوت والصورة في نقل المضمون الاعلامي وله بذلك تأثير مزدوج على المتلقي . الأول هو تأثير الصورة على نفسيته بشكل مباشر ولا تؤثر على عقله، وأصبحت هي التي تشكل (الاتجاهات وتصوغ القيم وتوجه السلوك لملايين المشاهدين) .

والثاني هو تأثير الكلمة التي يمكن أن تفعل فعلها المؤثر على المتلقي إن هي استخدمت بالطريقة الصحيحة والمؤثرة، وعليه فأن للصورة التلفزيونية أثراً كبيراً على المتلقي من حيث الفهم والاستيعاب،

فهو لا يحتاج الى عناء وجهد وتحليل ليفهم ما يريد أن تقوله الصورة، فالتلفزيون هو وسيلة (انصاف المتعلمين لفهم ما يدور حولهم وبناء معارفهم الموجودة أساسياتها لديهم)، فالصورة التلفزيونية تساعد المتلقي في الاحتفاظ بالمعلومات الواردة في المضمون التلفزيوني بصورة مباشرة أو غير مباشرة حسب فهم المتلقي ودرجة استيعابه، وهذا الاحتفاظ يكون أبقى أثراً وأقل احتمالاً للنسيان خاصة على المدى الطويل، وقد أثبت التلفزيون نجاحه كوسيلة اعلامية يفهمها المتلقي وتؤثر فيه ويتأثر فيها (فمن المعروف انه كلما زاد التأثير على حواس المتلقين كلما زاد نجاح الوسيلة في تحقيق أهدافها) . أن دور التلفزيون يزداد أهمية في حياة الناس كل يوم، فهو يهدم الفواصل بين الحقيقة والوهم وهو يتمتع بتقنيات اغراء ووصول الى المتلقي لا يقاوم، ولطالما أشير الى أن وسائل الاعلام وفي مقدمتها التلفزيون تساعد على ترسيخ نظام من الأوليات في مجتمع ما حول مشاكله وأهدافه . وهي في سعيها الى تحقيق ذلك، تعمل على أن تسجل الماضي وتعكس رؤية الحاضر فحسب (وانما هي قد تؤثر على المستقبل أيضاً) ويعتبر التلفزيون الوسيلة الجماهيرية الأهم والأقوى والأكثر تأثيراً في جمهور المشاهدين، فهو ينقل أفكاراً ومواقف ونماذج للتصرف، كما أن له تأثيراً جذرياً على طرق(تفكيرنا واحساسنا وتصرفاتنا)، وتاكيداً على ذلك ما توصل اليه برنامج (حوار العرب) الذي عرضته الفضائيه العربيه حيث خصص البرنامج حلقته ليوم 2008/5/8 لمناقشه موضوع الاعلام والارهاب بمشاركه متخصصين يعملون في مراكز الدراسات والبحوث في كل من القاهره و عمان و واشنطن وشارك فيه ايضاً مجموعه من اساتذه وطلبه عدد من جامعات القاهره. و بعد مناقشات دارت على مدا ساعه كامله وتركزت حول المؤسسات الاعلاميه و مسؤليه العاملين فيها والقائمين عليها في ما يتعلق

بالترويج للارهاب او الحد منها اجرى البرنامج استفتاءا للطلبه المشاركين فيه و على الهواء مباشرة و نشرت تفاصيله على (العربيه.نت) تناول الاجابه على اسئله ثلاثه، وقد أكدت اجابات معظم المبحوثين (48٪) على أن التلفزيون هو ألوسيلة ألأعلامية ألأكثر نشرآ للدعاية ألأرهابية.

- و عليّه فان علماء الاتصال (. هارولد إنس و مارشال ماك لوهان و جور . ج . جرنر) يبشرون بقدوم مجتمع يخضع لسيطرة وسائل الاتصال بشكل كامل من حيث تأثيرها العميق والطويل الأمد على طرق التلقي والقيم وسلوكيات الأفراد .

أن تأثير وسائل الاتصال ومنها التلفزيون، مشروط بالدرجة الأولى بردة فعل المتلقي التي هي (مرتبطة بثقافة وسطه الاجتماعي أو طائفته)، وبسبب كون التلفزيون وسيلة اتصالية لها تأثير مباشر وغير مباشر على جمهور المتلقين فأن هناك علاقة بين كثرة المشاهدة وقابلية ممارسة العنف خاصة لدى فئتي الأطفال والمراهقين الذين يحملون استعدادات نفسية ومجتمعية، وقد لخص (هانت) الرئيس السابق للجنة الاتصالية الفيدرالية الامريكية هذه النظرة الى التلفزيون حيث ذكر في دراسة حديثة له (انه ليس هناك جدل حول عنف وسائل الاعلام وهذا ما أكدته أكثر من ثلاثمائة دراسة أجريت قبل العام 1971 حيث قالت انه توجد علاقة قوية بين مشاهدة التلفزيون والسلوك العدواني)

أن المضمون التلفزيوني قادر على أن يستخدم الصوت والصورة بطريقة فعّالة وفريدة عبر الخطاب المباشر الذي يجد فيه المشاهدون أنفسهم وجهاً لوجه مع من يتحدث اليهم مباشرة من على الشاشة ويملكون أيضاً اتصالاً بصرياً وهمياً بالمتحدث .

وانطلاقاً من موضوعة التأثير الذي يحدثه التلفزيون على المشاهدين فأن العنف الذي نشهده في التلفزيون انما يرتبط بالعنف في المجتمع ولا يمكن أن نضع ظاهرة استشراء العنف في أكثر من بقعة في العالم على (شماعة) التلفزيون فقط اذ أن التلفزيون لا يمكن أن يكون المؤثر لوحده في انتشار ظاهرة العنف، وانما هناك أمور تساعد في ذلك منها: الأمية. البطالة. التطرف الديني . الصراع السياسي، وعليه (فأن العنف على الشاشة الصغيرة ليس مدخلاً أكيداً الى تكوين العنف والانحراف عند الأطفال والشباب، انه يصبح كذلك اذا اجتمعت اليه عناصر أخرى من اشكال العنف في المجتمع وفي التكوين النفسي والجسدي مثل العوز وانخفاض معدلات الذكاء عند الفرد . الميل الداخلي الموروث الى العنف والأجواء العائلية والاجتماعية). أن ايجاد الاثارة وتوليدها يعتبران من أهم الوظائف الاتصالية المهمة التي يضطلع بها التلفزيون، وقد سار التلفزيون على هذا المنوال منذ بدايته وحتى الآن، وبطبيعة انتقائية حيث يتم انتقاء ما سيتم تقديمه على الشاشة واتخاذ قرارات توجيهية بخصوص كيفية تصويره ومن ثم اتخاذ قرارات تحريرية لاحقة متعلقة بكيفية تنظيمه وترتيبه و (جرعات) الاثارة التي (تُصَبُّ)

وهذا يوضح جزءاً من مقدرة التلفزيون على أن (يصدم) المتلقين الذين قد يعرفون مسبقاً أشياء عن الظروف والاحداث التي تم تصويرها، (ولكن لم يطلعوا عليها بصرياً وتفصيلياً)، وبهذا أصبح التلفزيون في مناطق كثيرة من العالم الوسيلة الاتصالية المهيمنة التي يستخدمها المشاهدون بشكل روتيني كمصدر رئيس وموثوق للحصول على المعلومات . وانطلاقاً من افتراضية أن التلفزيون يمارس تأثيراً هاماً

على تشكيل وتحديد موقف الجمهور وسلوكه فأن من هذه المواقف والسلوكيات ما يتعلق بالتحريض على أعمال العنف، أو على تقليد ما تمت مشاهدته على شاشة التلفزيون . هذا التقليد الذي يعني في علم النفس التربوي (اكتساب السلوك والتصرف من خلال تقليد نموذج مثالي، انساني أو غير انساني يعجب به المتلقي وخاصة الطفل فيسير على منواله) وقد ورد في موضوع العنف في الاعلام المرئي من أكثر الموضوعات التي حركت بحوث وسائل الاتصال الجماهيري، واتسمت بالاتساع والتعقيد والجدل، وذهب البعض من هذه البحوث الى أن تراكم هذا العدد الكبيرمن المعطيات والدراسات المتخصصة في هذا الموضوع (يبرهن على صحة فرضية وجود علاقة سببية بين العنف في الاعلام المرئي والسلوك العدواني) .

mplications , of media – covered terrorism , the rand paper series. 1998 P.62.

حيث أن تأثير الاعلام المرئي على المتلقين يكتسب من خلال سلوكيات الأفراد الذين يقضون وقتاً أطول أمام هذه الوسيلة الاعلامية على حساب ما يخص الأنشطة الأخرى، والانبهار بالمواضيع المطروحة خاصة اذا كانت تقدم باسلوب درامي مؤثر أن من المستحيل تأكيد أن عادة مشاهدة التلفزيون تلبي احتياجات محددة . غير أن التعرض الطويل لهذه الوسيلة الاعلامية يمكن أن يمهد لافتقاد الروح المعنوية لدى المتلقي والاحساس بعدم الأمن وصعوبة التكيف وافتقاد الأصدقاء بسبب غياب الصلات الاجتماعية خاصة (بالنسبة لشريحة مجتمعية مهمة هي شريحة الأطفال والشباب الذين هم الأكثر عرضة للتأثر بهذه الوسيلة الاعلامية اجتماعياً واخلاقياً وسلوكياً) وقد اختلفت درجة العلاقة بين التلفزيون

وزيادة معدلات العنف بين دولة وأخرى، لكن الواضح أن للاعلام المتلفز تأثير على جمهور المتلقين بدرجات متفاوتة (بسبب الخلفيات الثقافية والعوامل الاقتصادية والتعليمية والحياة الشخصية) وتبقى عملية التأثير ودور وسائل الاعلام خاصة التلفزيون وعلاقتها باستشراء ظاهرة العنف بين الشباب تختلف من دولة الى اخرى ومن مجتمع الى آخر .

4. الاعلام المرئي وتأثيره على المتلقين.

يحدث البث الفضائي العربي انقلاباً في المفاهيم والقيم السائدة في المجتمع، والمستقبل مفتوح على تحديات كبيرة، فللاعلام المرئي تأثيره الكبير على حياتنا اليومية، فهو داخل كل بيت، ووافد الى عقول كل الناس وقلوبهم، والتلفزيون يعتبر الوسيلة الجماهيرية الأهم والأقوى تأثيراً على جمهور المتلقين، وباستطاعته أن يغيّر بعض الانماط السلوكية السائدة في المجتمع واكتساب عادات وقناعات جديدة، والعبرة هنا (ليست بالوسيلة وانما بالرسالة التي تقدم من خلال هذه الوسيلة) .

أن تأثير الرسالة و (المضمون) الاتصالي المرئي يبرز بالطريقة التي تقدم بها وبكيفية استقبال (المتلقي) لها وبدرجة استيعابها، وهذا يتوقف على قدرة (المتلقي) الثقافية ومستواه الاجتماعي والمالي وارتباطه الديني، أي أن تأثير وسائل الاتصال مشروط بالدرجة الأولى (بردة فعل المتلقي التي هي مرتبطة بثقافة وسطه الاجتماعي أو الطائفة التي ينتمي اليها) وبتعبير آخر أن تأثير الوسيلة الاتصالية يقاس بنسبة الحاجات التي تلبيها، وهنا يمكن للانتقائية أن تتحكم في تأثير وسائل الاتصال، وهذه (الانتقائية) تتعلق بالآراء المسبقة وبشبكة علاقات (المتلقي) الخاصة .

دينا يحيا مرزوق /استخدامات جمهور ألقاهرة ألكبرى لبرامج ألفترة ألصباحية وألأشباعات ألتي تحققها - رسالة دكتوراه /ألقاهرة /1999 ص65.

أن التلفزيون يتمتع بتقنيات اغراء ووصول الى المتلقي لا تقاوم، وهو يختلف عن أيّة وسيلة اتصالية أخرى بأنه(ينفرد بالاستخدام غير الانتقائي من قبل الجمهور، وأن المتلقين يتأثرون بالمضمون التلفزيوني بشكل غير واع) (84)ص19، ويؤدي التعرض المتكرر لهذا المضمون الى تقديم عالم متكامل من الرسائل والصور المتكررة يتقد المشاهدون معه أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يقدمها عالم التلفزيون أن اتجاهات آراء الجمهور تعتمد في المقام الأول على حجم ما تكمله له هذه الوسائل من عناصر ثلاثية هي : المكون العاطفي والمعرفي والسلوكي . ومن الواضح أن المتلقي قد يلجأ الى وسائل الاتصال لازالة حالة الغموض التي تصادفه أو نتيجة لنقص المعلومات، حيث يتفوق التلفزيون في ظل ثورة الاتصال على الوسائل الاتصالية الأخرى وذلك نتيجة لتكنيكات الصورة المستخدمة وما يصاحبها من تحليل للحدث مما يساعد في زيادة ادراك الجمهور المتلقي وتحقيق اشباعاته من خلال الاعتقاد بواقعية مضمون المعلومات المقدمة . وتحدد نظرية الاعتماد (اعتماد الجمهور عل ى وسائل الاعلام) طبيعة الفرد بهذه الوسائل، فكلما اعتمد المتلقي على هذه الوسائل لاشباع حاجاته المعرفية، قامت هذه الوسائل بدور مؤثر في حياة الفرد النفسية والاجتماعية، وتختلف عملية (الاعتماد) عن (التعرض) للوسيلة الاتصالية، فالتعرض قد يتم على سبيل الصدفة أو بطريقة عضوية دون قصد، بينما (الاعتماد) يتم وفق منظور (الجمهور النشيط)الذي يختار الوسيلة التي تحقق له

اشباعاته ومعتمداً عليها في الحصول على المعلومات التي تحقق له أهدافاً معينة ويعتبرها مرجعاً لاتخاذ القرارات . ومهما بلغت قوة تأثير الوسيلة الاتصالية فإن المضمون الاعلامي أو الرسالة يجب أن تصاغ وتقدم وفق خصوصية وطبيعة كل مجتمع وإلاّ قوبلت بالرفض، اذاً الوسيلة الاعلامية والجمهور الذي توجه له الرسالة يؤثران على ما تقوله تلك الرسائل، ودرجة تفضيل ورضا المشاهدين عن أي مضمون تلفزيوني تتناسب طردياً مع (أميّتهم) وتدني مستوياتهم الثقافية، ففي بحث أجراه التلفزيون المصري عام (1988) وفي سؤال عن مدى الرضا عما يقدمه التلفزيون من برامج وفقرات، أجاب (حوالي ثلاثة أرباع العينة 32 و 73٪ انهم يشعرون بالرضا تماماً، وقال 68 و 24 ٪ انهم راضون الى حد ما ، وكانت البقية الباقية ٢ ٪ جوابها الرفض وعدم القبول بما يقدمه التلفزيون من برامج وفقرات) (84)ص32. **ويتناول النقاش الذي يدور حول احتمالية تأثير المضمون التلفزيوني على المشاهدين من حيث:-**

- القياس المحتمل لحصول هذه النتائج .
- الجوانب المتحكمة في حصول هذا التأثير من حيث مضمون الرسالة ودرجة استفادة المتلقي من هذا المضمون استناداً الى درجة استيعابه المعتمد على مستواه الثقافي والاجتماعي وسنه وجنسه وانتماءه الطائفي والديني . ولقياس حصول مثل هذا التأثير نضرب مثلاً بالنشرة الجوية التي تقدمها معظم القنوات

اتحاد الاذاعة والتلفزيون المصري / تقييم برامج التلفزيون – دراسة بحثية / القاهرة 1988 ص19 و ص32.

السؤال هنا : هل يمكن حسبانها ضمن عمليات التأثير التي يقوم بها التلفزيون ؟ ومن المؤكد أن النشرة الجوية تمارس تأثيراً على الناس باتجاه تكييف وموائمة سلوكهم وتتسبب في أحداث والغاء أحداث معينة ، وهذه النشرة تقوم أيضاً بدور المرشد والدليل في التخطيط لليوم التالي ونوعية اللباس المناسب، ولكن هل من الممكن حسبان كل هذا المضمون ضمن مجال التأثير ؟ الجواب لا ، وذلك لأنها مجرد عملية نقل المعلومات وليست فيها وجهة نظر، حيث أن من المعروف أن التأثير يتعلق بتوليد مواقف وآراء .

وقد أصبح التلفزيون في مناطق كثيرة من العالم الوسيلة الاتصالية المهيمنة التي يستخدمها المشاهدون بشكل روتيني كمصدر رئيسي وموثوق للمعلومات العامة ، وقد تكون هناك اختلافات بين الروايات التي يقدمها التلفزيون للأحداث وبين توقعات الجمهور، لكن أي اختلاف يكون دائماً لصالح الرواية التلفزيونية، حيث أن الطبيعة الجماهيرية للتلفزيون تجعل للمشاهدة رجع صدى عند المشاهد من خلال اعتناق الفكرة وفهم ما يعرف والايمان به والتعاطف معه . والطبيعة الانتقائية للتلفزيون تجعل له مقدرة على أن يدع الناس يرون أنفسهم من (خلال ادراكات حسية بأن مايشاهدونه هو جزء من الواقع) .

كما أن للتلفزيون قدرة على أن يصدم المشاهدين بما يرونه على الرغم من معرفتهم المسبقة بالظروف والأحداث التي تم تصويرها وعرضها للمشاهدة، كما انه يملك سياقات اجتماعية ومكانية تتم المشاهدة من خلالها وهو في ذلك يتميز عن الوسائل الاتصالية الأخرى، وهذا التميز يتيح له أن يكون ذا تأثير أكبر على المتلقين الذينيجمع بينهم المكان والنطاق الأسري الواحد بما يحقق فهماً أكبر لما يريد أن

يقوله مضمون الرسالة التلفزيونية الذي يحقق غالباً اشباعاً لدى المتلقين . وقد تناولت عدة دراسات وبحوث التأثير الذي يحدثه التلفزيون في جمهور المتلقين واتخذت من موضوعي التأثير والاعتماد كاطار نظري لها ، حيث استخدمت هذا الاطار (عزة عبد العظيم) في دراستها (حول اعتماد البالغين على التلفزيون كمصدر للمعلومات حول المخدرات) وخلصت (أمل جابر) الى أن (التلفزيون المصري يعد المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه الجمهور في الحصول على المعلومات حول الأحداث الخارجية) .

كما انتهى محمد الفقيه الى (أن التلفزيون يعد المصدر الأول وتوابـــعها). وهناك اتجاه ينزع الى تبسيط مشكلة العنف في وسائل الاعلام، واتجاه آخر يدافع عن وسائل الاعلام، ومبرراته انه توجد مصادر أخرى للعنف في المجتمع (أن العلاقة بين العنف ووسائل الاعلام علاقة سببية بسيطة وأن كثير من العلماء يجعلون وسائل الاعلام كبش فداء وسبب لكل الانحرافات والآفات التي تظهر في المجتمع) ولما كانت علاقة وسائل الاعلام بالعنف جديرة بالدراسة ، فأن أول ما ينبغي عمله هو ابعاد الاعلام عن قلب الموضوع والتسليم منذ البداية بأن الاعلام لا يمكن أن يلعب لوحده دوراً رئيسياً في موضوع العنف والارهاب، انما هناك بؤراً ضاغطة تتمثل في العنف أو السلوك العنيف في المجتمع، وأن ما يهمنا من وسائل الاعلام على الأقل فيما يختص بهذه المشكلة هو (العلاقة إن وجدت بين وسائل الاعلام من جهة وبين السلوك العنيف من جهة أخرى) وعلى الرغم من هذه الآراء والاتجاهات التي حاول بعضها ايجاد علاقة مباشرة بين الاعلام المرئي واستشراء ظاهرة العنف، ونفي البعض الآخر وجود مثل هذه العلاقة ، فلطالما أشير الى أن وسائط الاعلام ومنها التلفزيون على وجه الخصوص، تساعد على ترسيخ نظام

من الاولويات في مجتمع ما حول مشاكله وأهدافه، حيث أن الاتساق والتكرار الذي تقوم به وسائط الاعلام عند تناولها لحدث ما . يعملان على ترسيخ فكرة عنه في عقل المتلقي، واذا ما قدم المضمون بشكل متماسك ومؤثر من حيث معرفة واقع الفئات المستهدفة فإن ذلك من شأنه أن يرسّخ في الأذهان واقعاً يتناغم وما هدف اليه (المضمون) وكلما (ازدادت الصورة المقدمة اتساقاً وكلما حازت هذه الصورة دون غيرها على اهتمام واسع، كلما أصبح حدوث التأثير المتنبأ به أكثر احتمالاً) وذلك أن الأمور التي تقع خارج نطاق التجربة الفردية المباشرة للمتلقي والتي لا تكون لها آراء بديلة قوية، ستكون عرضة لتقبل مستوى أعظم من التأثير خاصة اذا كانت هناك ثقة في المصدر الناقل للحدث أو العرض له ونسبه الى مصدر ما يحوز على ثقة المتلقي، وفي هذه الحالة سيعمل ذلك كله على احداث توسع أكبر للآراء والقيم التي تكون وسائل الاعلام مصدرها وتتاح فرصة أكبر لتقبل المتلقين لها حيث أن(هناك تفاعلاً مستمراً وانتقائياً بين ذات المتلقي ووسائط الاعلام التي تلعب دوراً في تشكيل سلوك الفرد ومفهومه الذاتي لما يدور حوله).

أن أيّ حديث حول قياس التأثير الذي يمكن أن تحدثه وسائط الاعلام وخاصة التلفزيون في أوساط المتلقين . يجب أن يأخذ في الحسبان أموراً ثلاثة هي : الجمهور، الرسالة، التوزيع . ومن البديهيات المتعلقة بالجمهور فهناك شرط أساسي وواضح وهو الوصول الى جمهور كبير اذا ما أريد الوصول الى الجمهور المستهدف بالرسالة بغية احداث التأثير المطلوب، وأن تكون الرسالة متوافقة مع ميول الجمهور ويرتبط ذلك بضرورة الاتساق مع الأعراف السائدة في المجتمع وثقافة الفرد المستهدف لكي لا تكون هناك معارضة ولكي تكون مفهومة . واذا ما سلمنا أن

المضمون الاعلامي المرئي اذا ما قُدم بشكل مدروس وموجه الى الفئات المستهدفة بما يتلائم بكيفية فهمها وطريقة استيعابها فأن (هناك احتمالاً كبيراً في أن تقدح المعلومات التي يتلقاها الجمهور زناد استجابات ذعر جماعية واسعة) خاصة اذا كانت هذه المعلومات متعلقة بجرائم اجتماعية . وهناك الآن مدارس فكرية تؤمن أن ما ترسمه وسائط الاعلام من صور العنف والجريمة يمكن أن تحول الأطفال الى أن يكونوا أكثر عدوانية (بيركو فيتز 1970)، وتميل مدرسة أخرى الى الرأي القائل بأن من المرجح أن يكون تأثير الدليل الخيالي مسهلاً للعدوان أو يشكل مدخلاً للتنفيس عنه (فشباخ وسنجر 1971) . أن وسائل الاعلام قد تكون في الكثير من الحالات مسؤولة عن نشر الاضطرابات والعنف، فقد (أشير في مرات عديدة الى أعمال العنف والشغب التي كانت تشهدها المدن الامريكية في أواخر الستينيات الى أن التغطية التلفزيونية لواحدة من الحوادث قد تؤدي الى اشتعال أحداث في أماكن أخرى) .

وعليه فأن عرض التقليد للجرائم التي تنقلها وسائط الاعلام ومنها التلفزيون، يمكن أن تزيد بين الأطفال والشباب اذا ما اقترنت مع عوامل مجتمعية وثقافية واقتصادية ودينية . خاصة وأن التلفزيونات الفضائية تتعامل بالصورة التي تؤثر مباشرة في نفسية المتلقي ولا تتفاعل مع عقله شأن الكلمة المذاعة أو المقروءة . وهناك علاقة ارتباط بين مضامين التلفزيون والسلوك الاجتماعي، والأطفال الذين يكثرون من مشاهدة التلفزيون يحيون صراعاتهم ومنازعاتهم واختلافاتهم بصورة عدوانية،

وتؤكد جميع البحوث السايكولوجية أن ظاهرة تقليد النماذج العنيفة في التلفزيون تتولد عند الأطفال الذين يكثرون من مشاهدة هذه النماذج، حيث يرون في المضمون التلفزيوني على انه الحقيقة والواقع ويأتي ذلك(نتيجة الاستمرارية في متابعة ما يبثه التلفزيون بشكل مكثف وعدم الاحتكاك مع العالم الخارجي بنفس الكثافة الاستمرارية) (ص 195، كما أن ذلك يأتي أيضاً بسبب قدرة التلفزيون على اعادة عرض الاحداث مع اجراء تغييرات جوهرية عليها حسب سياسة القناة التلفزيونية وبما يتلائم مع طبيعة الجمهور المستهدف . وفي الواقع(أن الأطفال في سن الثالثة يخصصون للتلفزيون خمساً و اربعين دقيقة للمشاهدة يومياً ويزداد هذا الوقت مع تقدم السن حيث يقضي الأطفال في سن الخامسة ساعتين يومياً، وفي سن الستة عشر يقضون أمام التلفزيون وقتاً أطول مما يقضونه في المدرسة) (42) ص 39 .

ويعود قدر كبير من تعلق المشاهدين بما يبثه التلفزيون الى التركيب الشكلي للصوت والصورة وتقنيات سردهما، وتأسيساً على ذلك فمن غير المجدي التساؤل أو البحث فيما اذا كان ممكناً الفصل بين تأثير الشكل والمضمون اللذين يقدمهما التلفزيون على المشاهد، فأحدهما يكمل الآخر ويجب العناية بهما اذا ما أريد كسب المشاهد والتأثير عليه، ولكي يتحقق مبدأ الاشباع فلابد أن يكون بالضرورة لدى المشاهد (فكرة) عما سوف يشاهده، وعند الوقوف عند هذه ال (الفكرة) ندرك لماذا (استخدم) أو (اختار) الفرد المستهدف هذه القناة، وهذا البرنامج دون غيرهما، وهنا يتحقق أيضاً مبدأ (الجمهور النشيط) الذي يبحث عن المضمون الذي يلبي رغباته وليس البحث عن الوسيلة

الاتصالية فقط، ولهذا فلابد من وجود توافق أو تلاقي بين توقعات المشاهد والمضامين المقدمة

5ـ نشأة وتطور الفضائيات العربية.

- يشهد العالم حالياً مرحلة جديدة من التطور التقني، امتزجت فيه نتائج وخلاصات ثلاث ثورات هي : ثورة المعلومات وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تقنية وسائل الاتصال الحديثة، وأخيراً ثورة الحاسبات الالكترونية التي امتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها، وقد أدت الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال المعلومات والاتصال الى تعدد وسائل الاعلام وتزايد قدرتها على جمع المعلومات وتوزيعها، ولم يعد دورها يقتصر على نقل المعلومات فقط، بل (أصبحت تلعب دوراً مهماً في رسم الصور للشعوب والدول والمنظمات على حد سواء) .

وفي عصرنا الحديث ومع التطور المتسارع والمستمر للأقمار الصناعية في مجال الارسال والاستقبال . أصبحت القنوات الفضائية حقيقة لا يمكن تجاهلها على الرغم من احتدام النقاش حول آثارها، واختلاف الآراء وانقسامها بين معارض للغزو الثقافي من خلال هذه القنوات، خوفاً على الهوية الوطنية ومؤيد للانفتاح الثقافي على العالم .

وسعياً وراء مواكبة عصر البث الفضائي والتأقلم مع اقتصاد السوق . اضطرت الأقطار العربية الى تجاوز نظام الامتياز واحتكار البث الاذاعي والتلفزيوني تاركة للقطاع الخاص العمل في هذا المجال، فظهرت الى الوجود فضائيات تابعة للحكومات من حيث التأسيس لكنها تتمتع باستقلالية كاملة على أصعدة رسم السياسات والخطط والتنفيذ البرامجي والمالي، وأخرى تعود الى قطاع خاص يقوده رجال مال واعمال . وفي كلا الحالتين كان الهم الأول ليس ما يقدم الى للمشاهد

وانما حساب مقدار الربحية التي تجنيها هذه الفضائيات التي ركز معظمها على الجوانب المرتبطة بالتسلية والترفيه معتمدة في ذلك على المستورد الفني الأجنبي هرباً من تكلفة الانتاج، ولم تشدد هذه الفضائيات على مضمون هذا المستورد وفيما اذا كان يتضمن (التحريض على ارتكاب الأفعال غير المشروعة قانوناً أو يشكل تجاوزاً على أعراف وتقاليد المجتمع أو انه يروّج لمفاهيم تمثل اعتداء على كرامة الفرد) .

وقد عمد العديد من هذه الفضائيات الى (استغفال) المشاهد في برامج المنوعات المباشرة وتحميله تكلفة مالية كبيرة من خلال الاتصالات التي تجريها من مقر الفضائية نظير (لا شيء) معرفي أو أية معلومة مفيدة أو نافعة، هذا اضافة الى جرعات الاحباط التي يصاب بها المشاهد بسبب سعي هذه الفضائيات الى محاولات تغيير قناعاته التي يؤمن بها فيما يتعلق بالسياسة والدين والمجتمع .

البرامج والمسلسلات الأجنبية التي لا تلتقي مع المتلقي في معتقداته في السياسة والدين وأعرافه الاجتماعية . وبالنظر الى مكانة وحجم الانتاج الأجنبي الذي يتم تضمينه لمختلف البرامج، نجد أن (اللجوء الى الانتاج الأجنبي يبدو طاغياً وتتراوح نسبته بين 75. 100 ٪ فيما يتعلق بالأفلام والمسلسلات) [1]. وعلى أية حال فأن القنوات الفضائية أخذت تزاحم وسائل الاتصال الأخرى وتأخذ منها جمهورها، وقفر ذلك عن (تأثير سلبي على معدلات القراءة والاستماع والمشاهدة لوسائل الاتصال الوطنية، نتيجة لأساليب الجذب والتشويق والجرأة والاثارة في شكل

(1) سامي ربيع الشريف / القنوات العربية الفضائية والحفاظ على الهوية . القاهرة 1988 ص14

ومضمون ما يقدم عبر هذه القنوات العربية والأجنبية، سواء كانت قنوات عامة أو متخصصة . مفتوحة أو مشفرة) [1]. ولذلك فأن مدخل (الاستخدامات والاشباعات) يهتم بأسباب اختيار جمهور المتلقين لقنوات ووسائل الاتصال . وفي عالمنا العربي تعتبر الفضائيات العربية التي بدأت انتشارها أواخر القرن العشرين ثورة في عالم التكنولوجيا في عصر المعلومات، حيث غيّرت كل المفاهيم تغييراً جذرياً، فما كان يراه بالأمس بضعة آلاف، أصبح اليوم عدد من سكان الكرة الأرضية يقدر بالمليارات، وأصبح التنافس بين الفضائيات العربية يمثل ظاهرة صحية بالنسبة للمشاهد العربي . وتجتهد كل قناة تلفزيونية فضائية في جذب عدد أكبر من المشاهدين اليها، لأن ذلك يعود عليها بالفائدة الاقتصادية . ويرجع تاريخ الفضائيات العربية الى (أواخر عام 1990 والذي شهد انطلاق أول قناة فضائية عربية وهي القناة الفضائية المصرية الأولى) [2]. التي بدأت بثها في 22 ديسمبر عام 1990 والتي كانت البداية لانطلاق قنوات فضائية عربية عديدة ومتنوعة، سمواء كانت قنوات حكومية أم قنوات خاصة . بل أن الملفت للنظر هو تزايد عدد القنوات العربية بوضوح في السنوات الأخيرة، فبعد أن كان يقدر عددها بعشرين قناة في منتصف التسعينيات . تجاوز عددها الآن المائة بكثير . الأمر الذي أدى الى زيادة حدّة المنافسة بين الفضائيات العربية أو بين الفضائيات العربية والأجنبية . ووفقاً لاحصاء اتحاد الاذاعات العربية . يبلغ عدد القنوات

---

(1) د . حنان يوسف / الفضائيات العربية وقضايا الأمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت 2003 أوراق حلقة نقاشية .

(2) ابراهيم العقباوي / اخلاقيات الاعلام والفضائيات العربية . القاهرة 2005 ص17.

الفضائية العربية أكثر من 140 قناة، وقنوات أخرى في طريقها الى الانطلاق بمعدل 4 أو 5 قنوات جديدة منها 75 قناة عامة و65 متخصصة : أطفال . رياضة . أخبار . سينما . دراما . موسيقى . منوعات . ثقافة . تعليمية . خدمات . اعلامية . أفلام وثائقية .

وقد زادت حدة المنافسة بين الفضائيات العربية لجذب أكبر عدد من المشاهدين وسلكت من أجل ذلك شتى الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، فكان أن حقق بعض هذه الفضائيات نجاحاً مشهوداً على المستوى العربي، ونالت المصداقية واستطاعت بالفعل أن تجذب الجماهير اليها . في حين أن بعض الفضائيات ظلت أسيرة نطاقها الضيق ولن تعد عن كونها اعادة بث للقناة الأرضية يعمل مواطنوها على تجاوزها الى فضائيات أخرى لمعرفة أخبارهم المحلية الصحيحة، وقد توقع كثيرون أن تسهم هذه الفضائيات في رفع سقف الحرية ونشر الثقافة وتقديم الأخبار.

الأكثر صدقاً واحتراماً لعقل المشاهد، والانطلاق من أسر المحليات الى الفضاء العربي والدولي، فلا (يبقى المشاهد أسير أخباره القطرية المصاغة باحكام وتوجيه من القائمين عليها) [1]، بل يصبح للمشاهد مطلق الحرية في انتقاء القناة التي يرى انها تزوده بالخبر الصحيح أو الأكثر اقناعاً في الأقل .

ولعل احدى المهام الأساسية لمنظري الاعلام ودارسيه وممارسيه، هي العمل على تجميع النتائج العلمية حول آثار ظاهرة الفضائيات على

---

(1) عادل عبد الغفار / تقييم الاداء المهني للقنوات الفضائية الاخبارية العربية . القاهرة 2005 ص350.

الفرد والمجتمع، حيث تتفاوت النتائج بين مؤيد ومعارض، فمن جانب يرى المنتقدون للفضائيات العربية (أن ممارساتها أدت الى تدهور مستوى الذوق الثقافي العام) [1] كما عملت هذه الفضائيات على ترسيخ الشعور باللامبالاة وساهمت في الانهيار الاخلاقي العام وشجعت الجماهير على تسطيح القضايا الحيوية، وكرست الخلافات والانشقاق العربي، هذا اضافة الى ما تبثه بعض الفضائيات العربية من انتاج اوروبي وامريكي(يتعارض شكلاً وموضوعاً مع القيم والعادات والتقاليد الشرقية والقيم الاخلاقية المستمدة من التعاليم الدينية) [2]الأمر الذي يساهم في توجيه النشىء الى التقليد والمحاكاة في المظهر والتصرفات، كما أن هناك سلبيات اقتصادية تتمثل في الافراط في الاعلانات خلال فترة البث مما يؤدي الى ارهاق ميزانية المواطن ومن أولى مظاهر ذلك، الاتصالات التلفزيونية التي يجريها أفراد من الاسرة مع البرامج الحيّة مما يساهم في زيادة الانفاق من الدخل الاسري والتأثر سلباً على الاولويات التي يجب أن يوجه اليها دخل الاسرة .

من جانب آخر يركز المدافعون عن الفضائيات العربية على العديد من الجوانب الايجابية فيها ومنها (انها تلبي حاجة المواطن الى المعرفة وتتيح تعددية الآراء وتدعم حرية التعبير وتساهم في الكشف عن

---

(1) وليد عمشة / أثر التكنولوجيا المستخدمة في جمع وتقديم الاخبار على شكل ومضمون الخدمة الاخبارية . دراسة عن القنوات الفضائية غير الحكومية / رسالة ماجستير . كلية الاعلام جامعة القاهرة 2001 ص41 .

(2) عبد الرحمن الشامي / استخدامات القنوات التلفزيونية المحلية والدولية، الدوافع والاشباعات . رسالة دكتوراه . كلية اللغة العربية – قسم الصحافة والاعلام . جامعة الأزهر 2002 ص126

الأخطاء وتعرية مواطن الفساد وتساهم في توعية وتثقيف ملايين المشاهدين[1] كما أن هذه الفضائيات تقدم يومية لا ضرر منها للجماهير التي تحتاج الى الهروب من أجواء التوتر والقلق وتدفعهم الى الاسترخاء وتجديد النشاط، كما انها تساهم في تحقيق نوع من الترابط الفكري والحضاري بين أبناء الشعب العربي، وهي تقوم أيضاً بتصحيح المفاهيم المغلوطة المتعلقة بالشعب العربي والشعوب الاسلامية التي ترددها الفضائيات الأجنبية، هذا اضافة الى تسليط الضوء على جميع القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية في الوطن العربي .وبعيداً عن مواقف المؤيدين والرافضين، نجد أن الفضائيات العربية بحاجة الى مراجعةمدى التزامها بالمبادىء والأصول المهنية والتمتع بالاستقلال في اتخاذ القرارات لتحقق لها المصداقية التي تُقّربها من المتلقي العربي، كما (أن على هذه الفضائيات الالتزام بمنهج ادارة الجودة الشاملة بحيث تكون لادارة المحطة الفضائية رؤية خاصة بها تنطلق من قناعاتها بدورها القومي والاجتماعي والتنويري) [2] فضلاً عن اعتمادها لاسلوب التحسين المستمر وتهيئة بيئة عمل داخلية بما يتفق مع المتغيرات المحلية والعربية والعالمية التي تحدث كل يوم .وعلى الرغم من أن العديد من الفضائيات العربية أعطت الأولوية للانتشار الجغرافي على حساب المضمون . مركزة في ذلك على المواد الجاذبة للمتلقي العربي مثل برامج المنوعات والأغاني والدراما التي تغرق المشاهد في حالة من السعادة

---

(1) سلوى امام / تأثير مشاهدة الجمهور المصري للقنوات الفضائية على وسائل الاتصال . دراسة مسحية . القاهرة .

(2) سوسن الدويك / قضايا المرأة في الخطاب الاعلامي للفضائيات العربية . قناة الجزيرة) كحالة (القاهرة/ 2005 ص15 .

الوهمية وتُدخله في حالة من تغييب الوعي، إلاّ أن هناك جوانب ايجابية عديدة في اداء الفضائيات العربية وفي مقدمتها انها أتاحت توفير عدد متنوع من الاختيارات أمام المتلقي العربي في ضوء انتشار الفضائيات المتخصصة التي تخدم جهود التنمية في الوطن العربي، كما (أن عدداً من هذه الفضائيات مدّت الجسور مع المشاهد الغربي في الخارج وأوصلت صوت العالم العربي الى الجمهور الخارجي) [1] والمطلوب من هذه الفضائيات العربية أن تأخذ دورها الكامل والايجابي وأن يكون لها موقعاً في الفضاء الاعلامي العالمي لتتمكن من مواجهة مخاطر ما تبثه الفضائيات الأجنبية من مضامين وأفكار مغايرة للقيم والاخلاقيات العربية وأن تبتعد هذه الفضائيات عن محاكاة المضامين الأجنبية بمضامين عربية قد تحقق في شكلها العام اشباعاً لاحتياجات الجمهور العربي من المواد والبرامج المنوعة إلاّ أن هذا الاشباع قد يتسرب من خلاله العديد من المواد والبرامج الهابطة والمضامين الفاسدة . أن الفضائيات العربية في وضعها الحالي (باتت تكتسب جمهوراً من جانب، لكنها تخسر جمهوراً أكبر من جانب آخر) [2]. وبالنسبة لما تبثه القنوات الفضائية العربية من مضامين اعلامية فأن (الدعوة تبدو ملحة لوجود

---

(1) نائلة ابراهيم عمارة / دوافع استخدام المصريين المغتربين لوسائل الاعلام الوطنية والأجنبية والاشباعات المتحققة . دراسة مسحية على المصريين المغتربين في المانيا . مجلة كلية الآداب ؟ جامعة الزقازيق العدد 22 / 1998 ص59 .

(2) رحيم مزيد / قناة الجزيرة وصراع الفضائيات / الدار الدولية للاستثمارات الثقافية . القاهرة 1992 ص12 .

معايير وضوابط تلتزم بها هذه الفضائيات) [1] وهي لا تعني بالتأكيد المساس بالحرية الاعلامية لهذه القنوات، انما هي معايير وضوابط ترتبط باخلاقيات المهنة بوجه عام .

- ويستنتج ألباحث مما تقدم أن مدخل (نظرية) الاستخدامات والاشباعات يقوم على مبدأ الجمهور (النشيط) الذي يبحث عن الوسيلة الاعلامية التي تحقق له اشباعات معينة ، والمدخل(النظرية) يمثل مرحلة بحثية متطورة لفهم العلاقة بين المرسل والجمهور وهو يهتم بتحديد العوامل التي تؤثر في اختلاف السلوك الاتصالي للجمهور، حيث أن دوافع مشاهدة الجمهور للمادة الاعلامية تختلف وفقاً لخصوصية كل مجتمع وظروفه المختلفة . **وترجع عملية (استخدام) الجمهور للوسيلة الاعلامية الى أسباب عديدة منها :**

الخلفية الثقافية، الذوق الشخصي، أسلوب الحياة، الجنس، السن، مستوى التعلم، ونوع الاشباع الذي توخى الفرد الحصول عليه من التعرض للوسيلة الاعلامية، وهذه كلها أو بعضها تءثر على اختيار أو (استخدام) الفرد للوسيلة الاعلامية . ويموجب هذه النظرية (المدخل) لم يعد الجمهور مجرد متلقٍ سلبي يقبل بما تقدمه الوسيلة الاعلامية له، وانما اصبح جمهوراً نشيطاً ايجابياً يبحث عن المضمون الاعلامي المناسب له ويتحكم في اختيار الوسيلة الاعلامية التي تقدم له هذا المضمون .

---

(1) منير عبد الله الحربي / الآثار الاجتماعية والدراسية لاستخدام) الدش (المنزلي كما يراها طلاب المرحلة الثانوية . مجلة كلية التربية / جامعة المنصورة/ العدد السادس والعشرين/ 1996 ص163 .

- أما نظرية (الغرس) فتقوم على أساس الاعتراف بقوة وسائل الاعلام وأثرها الاجتماعي على المتلقين انطلاقاً من فرضية (التراكم) لقياس الآثار طويلة المدى التي تتركها وسائل الاعلام، خاصة التلفزيون على المتلقين عند تعرضهم لمضمون معين ولمدد تعرض طويلة . وتلتقي هذه النظرية مع مدخل (الاستخدامات والاشباعات) في التأثير على المتلقي من خلال (المضمون المرئي) الذي يلبي حاجة ما عند المتلقي أولاً ومن ثم التأثر بهذا المضمون ثانياً، اذ أن كلاً من مدخل (الاستخدامات والاشباعات) ونظرية (الغرس) يقومان على أساس التأثير على (المتلقي) واحداث قناعات جديدة لديه من خلال (غرس) تصورات وقيم جديدة وفق ما يوحي به (المضمون) الملبي لحاجات الفرد السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية .

- أن التلفزيون ومن خلال ما يقدمه من رسائل موحدة وصوراً يجعل المشاهدين يعتقدون أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يصوّر بها من خلال عدسة التلفزيون، وهنا يُظهر المشاهدون ادراكات ترتبط بعالم التلفزيون أكثر من ارتباطها بالواقع، حيث أن تطابق ما يراه الأفراد في عالم التلفزيون مع الواقع المحيط بهم يزيد من تأثيرات (الغرس) لديهم .

- أن وسائل الاعلام، وعلى رأسها التلفزيون، تستطيع أن تخلق نوعاً معيناً من الجمهور يؤمن بما تطرحه حتى وإن كان يخالف قناعاته حيث أن الاتساق بين ما يطرح وتكراره يرسخان اتلفكرة المطروحة ويجعلانها مقبولة للتصديق وللايمان بها من قبل الجمهور المستهدف . وتساهم وسائل الاتصال في التأثير المتدرج على الفرد المتلقي من حيث تكوين فكره السياسي والثقافي من خلال امداده بالمعلومات والمعارف

وصولاً الى تشكيل آراءه ومعتقداته واتجاهاته ومن ثم سلوكه داخل المجتمع . وقد أصبح التلفزيون في أحيان كثيرة عاملاً مساعداً في صنع الأحداث وفي أحيان كثيرة مشاركاً فيها ، والجمهور المتلقي قد لا يصغي الى أية وسيلة اعلامية أخرى اذا كان ما تقوله مخالفاً لما تقوله الصورة ، اذ أن الصورة يمكن أن تقول ما تعجز عنه الكلمات . والتلفزيون قد لا ينقل الحقيقة كاملة أو انه يقدم شيئاً مخالفاً للواقع وهو في كل ما يعرضه يوفر عنصر التشويق ويقرب من الاقناع من خلال الواقع الجديد الذي ينقله عن الحدث ويسوّقه للجمهور ، اضافة الى أن الافراط في التغطية الاعلامية يجعل الحدث مهماً وحقيقة قائمة ، ومادام ما يقدم ويعرض هو الحقيقة في نظر الجمهور المتلقي أو انه الأقرب اليها فانه ليس على المتلقين ، خاصة اذا كانوا أميين أ ، أنصاف متعلمين ، إلاّ أن يصدقوا ما ينقله التلفزيون من صور بسيناريو محكم ومضمون معقول تستطيع أن تجمع آراء هؤلاء المتلقين حول المشكلة أو القضية ، وهنا يلقى المضمون التلفزيوني الأكثر جدية ووضوحاً وبعداً التجاوب الأكبر من قبل الجمهور خاصة وأن هذا الجمهور لا يتلقى معلومات منافسة قد تنقص من مصداقية ما يشاهده .

- واستناداً الى التأثير الذي يملكه التلفزيون على الجمهور المتلقي فقد تمت محاولات كثيرة للربط بينه وبين الترويج للعمليات الارهابية . ويرى البعض من الدارسين للشؤون الاعلامية أن الارهاب يصنع الفعل وهو الذراع التسويقي للارهاب ويضيفون أن العلاقة بين الاعلام والارهاب أصبحت الآن تشبه شراكة بين مؤوسستين احداهما تقوم بصنع الحدث والأخرى تسوّقه ، ومن هؤلاء (جون الترمان) من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى الذي يرى في كتابه (اعلام جديد ..

سياسات جديدة من التلفزيون الفضائي الى الانترنت في العالم العربي) أن الاعلام والدعاية للاعمال الارهابية له في كثير من الأحيان أهمية تزيد على العمل الارهابي نفسه ويضيف أن الارهاب يصنع الفعل والاعلام هو الذي يسوّقه .

6 . الدراسات السابقة:

- للدراسات السابقة أهمية كبيرة عند القيام بأي بحث علمي، فمن خلال الاطلاع على هذه الدراسات يتمكن الباحث من معرفة ما توصل اليه من نتائج تتعلق بموضوع دراسته ليستفيد منها ويستطيع صياغة فروض دراسته أو وضع تساؤلاتها . كما يستطيع الباحث أن يتعرف على أوجه القصور التي وردت في هذه الدراسات ليغطيها في بحثه ويتعرض لما لم تتعرض له الدراسات السابقة عند تناولها للظاهرة نفسها وبذلك تتحقق للعلم صفة التكامل، حيث أن كل بحث أو دراسة تتناول جزءاً من أجزاء الظاهرة، وكل دراسة تكمل الأخرى، وهذه بعض الدراسات التي تناولت موضوعة العنف في التلفزيون .

1- دراسة (روبرت جي بيكارد – الاعلام والعنف) (110) 1986

- أجريّت هذه ألدراسة في واشنطن و هدفت الى اثبات صحة الفرض التالي (أن وسائل الاعلام مسؤولة عن انتشار الارهاب والعنف) وقد وجد الباحث أن هناك أدلة موثوق فيها تؤيد صحة هذا الغرض، ولكنه وجد أيضاً بعض الدراسات الأخرى قد فشلت في اثبات وجود علاقة سببية بين الارهاب ووسائل الاعلام، لذلك وجّه الباحث دراسته لاثبات ايجابية هذه العلاقة، فقد اهتم بآثار العنف التلفزيوني والجريمة على المشاهدين والمتلقين وحاول الربط بين العنف التلفزيوني وتزايد العنف والارهاب في المجتمع . واستخدم الباحث استمارة تحليل المضمون

لتحليل التغطية التلفزيونية والصحفية لاحداث العنف في المجتمع وكانت أهم نتـــائج البحث :

آ. أن وسائل الاعلام ليست مسؤولة وحدها عن سرعة انتشار العنف والارهاب.

ب. وجود عوامل أخرى جديدة تتداخل مع وسائل الاعلام مثل وسائل الاتصالات السريعة وأساليب التدريب العالية التي تمت في معسكرات الارهابيين .

ج . ظهرت عوامل أخرى مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي ساهمت في تنمية العنف لدى الأفراد .

د . أشارت النتائج الى أن وسائل الاعلام تبالغ في تغطية أحداث الارهابيين بشكل غير حيادي أو موضوعي .

تلخصت أهداف هذه الدراسة ألتي جرت في نيويورك بتحليل تصريحات الحكومة ووسائل الاعلام عن الارهابيين بهدف نقد هذه التصريحات، وقد اشتملت العينة على مجموعة من التصريحات الحكومية التي نشرت في صحيفة نيويورك تايمز عن الارهابيين، والأحداث الأرهابية كما غطتها نفس الصحيفة . وقد استخدم الباحث استمارة تحليل المضمون في هذه الدراسة التي وصفها بأنها الطريقة الدرامية لتحليل هذه المقالات والتصريحات . وأظهرت النتائج أن الارهاب السياسي يحدث بسبب قيمته الرمزية حتى من دون تغطية اعلامية وأن له أهداف استراتيجية وتكتيكية أظهرها التحليل، كما أوضحت النتائج أن الأحزاب خارج دائرة الارهابيين تساعد على تنفيذ المخططات الارهابية ، كما كشف التحليل القدرة على التنبؤ بأشكال الارهاب

التي يمكن أن تظهر وانه من الصعب السيطرة عليها . وأوضحت النتائج أن وسائل الاعلام لا تصور شخصية الارهابي تصويراً موضوعياً مبني على الحقائق وانما تصويراً انفعالياً .

3ـ دراسة (توني جرين ونورم. ف – التلفزيون والارهاب) 1988

– هدف هذه الدراسة ألتي جرت في واشنطن هو توضيح الدور الذي تقوم فيه شبكات الأخبار في التلفزيون الأمريكي لتغطية حوادث الارهاب ودور هذه التغطية على الرأي العام . وهذه الشبكات الثلاث هي : آي بي سي . سي بي أس . أن بي سي . وعينة الدراسة هي مجموعة من أشرطة الفيديو مسجل عليها عملية ارهابية تمت تغطيتها عن طريق هذه الشبكات، وهي اختطاف طائرة (أي . دبليو . تي) في يونيو 1985 وقد عرضت هذه الأحداث في الفترة الزمنية من 14 – 30 يونيو من العام المذكور .

واستخدم الباحثان في هذه الدراسة تحليل المضمون كإداة لتحليل التقارير المسجلة على شرائط الفيديو، وقد تم التحليل على أساس المصدر مع تحليل أحاديث عامة للجمهور مع ردود أفعالهم وقد أشارت نتائج الدراسة الى أن المادة المصورة التي عرضت على الجمهور من المصادر التلفزيونية أثناء عملية الاختطاف كانت كلها للرهائن مع التركيز على انفعالاتهم النفسية، ولذلك شكك الباحثان في موضوعية هذه المصادر في نقل الحدث . كما أوضحت النتائج أن كل المقابلات والأحاديث

كانت مع أقارب الرهائن والضحايا وأسرهم، فكانوا الأشخاص المحوريين في كل المقابلات مما صبغ الحقائق بصبغة انفعالية شديدة بعيدة عن الحيادية في نقل الحدث، كما لم تذكر أية محطة

من المحطات الثلاث أي شيء عن الأسباب الحقيقية والرئيسية لوقوع الحدث الارهابي ولا عن مطالب القائمين به مما يوضح أن محطات التلفزيون الثلاثة كانت غير موضوعية في نقل الحدث .

4 – دراسة سميث ستاسي (خوف الأطفال من مشاهد العنف والقتل في نشرات الأخبار التلفزيونية) 1987

وجدت هذه الدراسة ازدياد مشاهدة الأطفال لنشرات الأخبار التلفزيونية نتيجة تغيير عادات المشاهدة وطغيان نمط المشاهدة الجماعية من ناحية ، وازدياد أخبار الحروب والكوارث ومشاهد العنف في نشرات الأخبار من ناحية أخرى . وسعت هذه الدراسة ألتي جرت في جامعة بوسطن الى التعرف على نقاط خوف الأطفال من مشاهد العنف في نشرات الأخبار من خلال مقابلة عينة من الأطفال الكبار وعينة من الأطفال .

- قدرة الأطفال الكبار والصغار على استرجاع وتذكر مشاهد من نشرة الأخبار التلفزيونية.

وتذكر مشاهد من نشرة الأخبار التلفزيونية .

- أن الأطفال الكبار يستطيعون فهم ما يشاهدونه من عنف بشكل واقعي مما يؤدي الى ازدياد مخاوفهم مما يحيط بهم وتوقع تعرضهم لهجوم أو اعتداء عليهم، لكن الأطفال الأصغر سناً يعتقدون انه غير واقعي .

- أن الأطفال الأصغر سناً يخافون من مشاهد الكوارث الطبيعية ، بينما يخاف الأطفال الأكبرسناً من مشاهد العنف والاجرام .

5 – دراسة محمود حسن اسماعيل(العنف في أفلام الرسوم المتحركة بالتلفزيون واحتمالية السلوك العدواني لدى عينة من أطفال ما قبل الدراسة) 1990

تم سحب عينة الدراسة التحليلية من أفلام الرسوم المتحركة المعروضة على القناة المصرية الأولى التي تعرض في دورة تلفزيونية تبدأ من أول يناير وتنتهي في آخر مارس 1995، وتم اختيار (15) طفلاً كعينة للدراسة جرى تقسيمهم الى ثلاث مجموعات . وقد بلغت المساحة الزمنية لأفلام الرسوم المتحركة (2، 3 ٪ من اجمالي ارسال القناة الأولى، وظهر أن (40) من مشاهد الرسوم المتحركة تحتوي على نوع من العنف، وهي نسبة عالية خاصة أن تلك المشاهد تستحوذ على انتباه الطفل أكثر من المشاهد الخالية من العنف وبالتالي لن تؤثر بشكل أكبر، كما أن (2، 80 ٪) من المشاهد العنيفة تنطوي على عنف وأعمال خيالية، بينما (8، 19 ٪) فقط ينطوي على مشاهد واقعية، وهذا يؤدي الى تشويش صورة الواقع في ذهن الطفل الذي لا يستطيع التمييز بين صورة الواقع والواقع الذي تقدمه وسائل الاعلام

جرت هذه الدراسة على عينة قوامها (300) طفل من القاهرة وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج . منها :

- تبين أن الأطفال عينة الدراسة يفضلون أفلام العنف بشكل كبير .
- أكد (7 و 54 ٪) من أفراد العينة انهم لا يخافون من مشاهد العنف الكارتوني لادراكهم انها مشاهد غير حقيقية، بينما ذكرت النسبة الباقية أن ما يخيفهم في أفلام الكارتون ما يلي :

الشكل المخيف (4، 57 ٪) . الحجم المبالغ فيه(4، 18 ٪) . الأحداث العنيفة (7، 14) . - تبين أن (59 ٪) من العينة يحاكون

أشكال العنف المختلفة المقدمة في أفلام الكارتون و (41 ٪) لا يقلدون مشاهد العنف .

- تبين أن التقليد عند الأطفال يزداد بزيادة السن، فقد بلغت نسبة التقليد عند الأطفال من (6 – 8) سنة (8، 28 ٪) وعند الأطفال من (8 – 10) سنوات (8، 32 ٪) وعند الأطفال من (10 – 12) سنة (4، 38 ٪) .

- أن (7، 49 ٪) يرغبون في مشاهدة مزيد من العنف في الأفلام، مقابل (3، 50 ٪) من الأطفال لا يرغبون في مشاهدة مشاهد العنف .

7. دراسة شرام 1996 :

- استهدفت هذه الدراسة معرفة ما اذا كانت هناك علاقة بين مشاهدة المسلسلات الاجتماعية والتقديرات الخاصة لكل من معدلات الجريمة والبطالة والزواج، وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من واحد وخمسين طالباً من جامعة كنتاكي و توصلت الى أن هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين مشاهدة هذه النوعية من المسلسلات والتقديرات الخاصة بالجريمة والزواج والبطالة.

8 – دراسة وينستون . ف (تأثير مشاهد العنف والجريمة في برامج الأطفال على اتجاهاتهم نحو السلوكيات السلبية) 1997

- جرت هذه الدراسة على عينة قوامها (216) حلقة من برامج الأطفال تم اختيارها من عدة قنوات امريكيه . وقد توصلت الدراسة الى عدة نتائج :-

- أن (47 ٪) من برامج الأطفال عينة الدراسة تضمنت مشهداً على الأقل يتضمن أعمالاً اجرامية بدون تعرض مرتكبيها لعقوبات مما قد يشجع الطفل على تقليد هذه السلوكيات مستقبلاً .
- أن (56 ٪) من براج الأطفال في القنوات الفضائية تضمنت مشاهد فيها سلوكيات عنيفة مقابل(24 ٪) من برامج الأطفال في القنوات الأرضية .
- حصلت المسلسلات الكارتونية على المرتبة الأولى من حيث المشاهد العنيفة التي لا تلقى عقاباً (67 . 60 ٪) .

9 – دراسة سهير صالح ابراهيم (تأثير الأفلام المقدمة في التلفزيون على اتجاه الشباب المصري نحو العنف) [1] 1997

– هدفت هذه الدراسة الى محاولة تحديد تأثير العنف المقدم على شاشة التلفزيون على الشباب، وكيف يمكن أن يكون العنف التلفزيوني اداة (غرس) اتجاهات عدوانية لدى الشباب، ويعلمهم طرقاً وأساليب عنيفة للتعامل في حياتهم الواقعية . واعتمدت الباحثة على عينة قوامها أربعمائة من الشباب، وتم تقسيم العينة طبقاً لمتغيرات النوع والسن والمستوى العلمي . وأثبتت نتائج تحليل مضمون الاستمارة التي أعدتها الباحثة وجود علاقة ارتباط بين معدل التعرض للعنف في الأفلام وتفضيل الشباب النزعة العدوانية في حل مشاكلهم . كما وجدت الباحثة علاقة ارتباط بين معدل التعرض للعنف في الأفلام وادراك الواقع الاجتماعي

---

(1) سهير صالح ابراهيم / تأثير الأفلام المقدمة في التلفزيون على اتجاه الشباب المصري نحو العنف . رسالة ماجستير . كلية الاعلام جامعة القاهرة . القاهرة . 1997 .

المقدم في التلفزيون اضافة الى وجود علاقة بين كثافة التعرض للعنف في الأفلام التي يعرضها التلفزيون والاتجاهات العدوانية لدى الشباب .

10 – دراسة بارعة حمزة شوقي (تأثير التعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون على ادراك الشباب اللبناني للواقع الاجتماعي) [1] 1999

- تناولت هذه الدراسة تعرض الشباب اللبناني للدراما الأجنبية وادراكه للواقع الاجتماعي من خلال قضيتي العنف والادمان، وقامت الباحثة بتحليل عينة من الأفلام والمسلسلات الأمريكية والمكسيكية والبريطانية المعروضة من تلفزيون الحكومي، وتلفزيون المؤوسسة اللبنانية للارسال وتلفزيون المستقبل، واستخدمت الباحثة دراسة مسحية على عينة تتكون من أربعمائة من الشباب اللبنانيين، وتوصلت الى وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين التعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون وادراك الواقع الاجتماعي لكل العنف والادمان، كما ثبت وجود علاقة بين التعرض للدراما الأجنبية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وادراك الواقع الاجتماعي فيما يتعلق بقضية العنف .

11 – دراسة هويدا أحمد الدر (الكارتون التلفزيوني وعلاقته باتجاه الطفل نحو العنف) 1999

- جرت هذه الدراسة على عينة عشوائية قوامها(400) من طلبة المدارس الابتدائية في محافظة القاهرة الكبرى وروعي فيها أن تمثل

---

(1) بارعة حمزة شوقي / تأثير التعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون على ادراك الشباب اللبناني للواقع الاجتماعي . رسالة دكتوراه . كلية الاعلام جامعة القاهرة1999 .

جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والمدارس الحكومية والخاصة.

وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها :

12 - دراسة كانتور ناثانسنك (خوف الأطفال من مشاهد العنف في نشرات الأخبار التلفزيونية) 1999

- جرت هذه الدراسة على عينة من الأطفال بلغت (300) طفل من مدارس متفرقة في العاصمة لندن . وتبين أن (37 ٪) منهم يشعرون بالخوف من نشرات الأخبار التلفزيونية ، وتحديداً من مشاهد القتلى والجرحى والحروب والكوارث الطبيعية.

13. دراسة (سيد أحمد منصور / سلوك الانسان بين الجريمة والعدوان والارهاب) 2003

. تناولت هذه الدراسة الأسباب الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية للارهاب . وقد أجمع معظم أفراد عينة البحث وعددهم مائتين وأربعين طالباً من جامعة القاهرة يمثلون فئاتاً عمرية مختلفة على دور العامل الفكري في تكوين السلوك الارهابي ورأوا أن الارهاب ما هو إلاّ رد فعل مقابل للمتغيرات الاقتصادية الكبيرة . وأكدت الدراسة أن وسائل الاعلام تلعب دوراً لا في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والارهاب والتطرف، فهي بما تقدمه من برامج وأفلام واخبار ومضمون عن الاحداث تعتبر وسيطاً مشاركاً ، خاصة التلفزيون . ويرى الباحث أن كيفية تناول الموضوعات المطروحة في المضمون التلفزيوني له تأثير كبير على المتلقي العربي، فاذا كان التعامل ايجابياً مع الحقائق المطروحة ويتم الاستناد اليها في التفسير والتحليل والتعليق كما تتم المعايشة الجيدة للاحداث التي يجري تناولها والتأكد والتثبت منها اضافة الى الأخذ بظروف الزمان والمكان، فأن التأثير يكون ايجابياً على المتلقي

بحيث يعري الدوافع والنوايا للقائمين بالعمل الارهابي ولا يقدمهم كابطال تستوجب مساندتهم في مايطالبون به، واذا جرى العكس من ذلك فأن التأثير يكون سلبياً على المتلقي .

7. تعقيب على الدراسات السابقة..

- يتضح من عرض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الارهاب والاعلام المتلفز، انها ركزت في تناولها لظاهرة الارهاب على انه خروج عن المفهوم القيمي للمجتمع والمفاهيم الأساسية التي تعمل على ترصينه، وابراز مفهومي الولاء والانتماء له ولقيمه الانسانية ليحل محلها التطرف والاغتراب وتغليب الذات على حساب الآخرين وابراز المصالح المادية وحب النفوذ للوصول الى السلطة وقهر الفقر والبطالة، والطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي التعصب والتطرف الديني والمذهبي، ولم تهتم هذه الدراسات في التركيز على ماهية التغطية الاعلامية التي تمت لهذه العمليات الارهابية . وأدناه نقاط الالتقاء والاختلاف بين هذه الدراسات والدراسة التي قام بها الباحث من حيث :

— الهدف :

هدفت هذه الدراسة الى اثبات وجود علاقة، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة، بين وسائل الاعلام واستشراء ظاهرة العنف، وقد التقت هذه الدراسات مع هذه الدراسة من حيث الهدف .

— العينة

- **استخدمت هذه الدراسات عينات مختلفة منها :**

- تغطية تلفزيونية (أشرطة سينمائية وفيديو زائد خبر وتعليق) في دراسات روبرت جي بيكارد . توني جرين . نورم . ف . وينستون . محمود حسن .

- تغطية خبرية صحفية في دراسة (دونج رالف) .
- عينة بشرية في دراسات (بارعة حمزة . شوقي . سحر صالح ابراهيم . شرام . هويدا . محمد . سميث . باثاتتسنك . القليني . السمري .منصور)

- أما هذه الدراسة فقد استخدمت عينة فلمية فقط وتم اخضاعها لتحليل الشكل والمضمون .

ج – الاداة

- استخدم معظم الدراسات السابقة اداة تحليل المضمون لقياس تحقق الهدف من عدمه، أما هذه الدراسة فقد استخدمت اداة تحليل الشكل والمضمون لعينة البحث الفلمية بموجب استمارتين تم اعدادهما لهذا الغرض وعرضتا على عدد من الاستاذة لغرض التقييم والتصويب .

تحقيقاً لاهداف البحث تم تحديد عينة البحث بمائة وخمسين فلماً وبرنامجاً و تم اعداد الاداة التحليليه المناسبه لها و المتمثله باستمارتين لتحليل الشكل و المضمون و قد تم تطبيق الاجراءات و السبل الكفيله للتحقق من صدق و مطابقة هاتين الاستمارتين و ثباتهما و من ثم تم تطبيقهما على عينة البحث.و قد تم تحليل الاستمارتين بموجب جداول بلغ عددها احد عشر جدولاً و بموجبها تم استخلاص نتائج البحث وتوصياته و مقترحاته، و في ما يلي عرضاً لهذه الاجراءات:

1- عينة الدراسة ... والصعوبات التي واجهت الباحث :-

- تمثلت العينة في اختيار مائة وخمسين فيلماً و برنامجاً ،(انظر الملحق رقم4)، تم جمعها من مناشىء عديدة وبجهد شخصي و بصوره

عمديه، حيث قام ألباحث بزيارات وأتصالات لغرض تأمين ألحصول على (عينة ألبحث) وكانت كالتالي :

- قام ألباحث بزيارتين ألى جمهورية مصر ألعربية أستغرقت كل واحدة منها ثلآثة أشهر ، وكانت الأولى في الرابع من شهر تموز ألعام (2006) ، وألثانية في ألأول من شهر ديسمبر من ألعام نفسه، وقد أتصل ألباحث بالفضائيات :ألمصرية ألأولى ،قناة ألنيل للأخبار، وألبغدادية. وحصل ألباحث على وعود من ألسادة ألمسؤولين في هذه ألفضائيات ألفضائيات على تأمين ما يقدرون عليه من عينة ألبحث ألآ أن هذا ألوعد لم يتحقق، وقد رصد ألباحث خلال وجوده في ألقاهرة فضائية (ألزوراء) ألعراقية ألتي تبث على ألقمر ألصناعي (نايل سات) وأجرى لها متابعة يوميه وسجل أشرطة (فيديو) لما تبثه من أفلام للتنظيمات ألمسلحة.

- قام ألباحث بزيارتين ألى ألحمهورية ألعربية ألسوربة ، ألأولى في ألسادس عشر من شهر نيسان ألعام(2007)، وألثانية في الاول من شهر تموز من العام نفسه، حيث قصد من خلال زملاء المهنة الفضائية العربية السورية في دمشق وفضائية (الدنيا) التي كانت قد بات بثها التجريبي ، حيث تم تقديم طلبين للحصول على عينة البحث الفلمية والبرامجية او على جزء منها ، الا ان هذا المسعى باء بالفشل.

- قام الباحث بمحاولات عديدة عن طريق زملاء المهنة في فضائية (الجزيرة) للحصول على الافلام والبرامج عينة البحث باعتبار ان فضائية (الجزيرة) تضم رصيدا كبيرا منها، الا ان جهود الباحث باءت بالفشل ايضاً.

- قام الباحث خلال وجوده في كل من القاهرة ودمشق بشراء مجموعات من اقراص (الـ سي دي)ضمت افلاماً وبرامج انتجتها

التنظيمات المسلحة ، وهذه الاقراص كانت تباع بصورة سرية ولم يتم الحصول عليها الا بوساطات من زملاء المهنة في كلا العاصمتين العربيتين.

ـ قام الباحث بالاتصال بعدد من زملاء المهنة العاملين في الفضائيات والمكاتب الاعلامية العربية في لندن حيث تم الحصول على عدد من الافلام التي انتجوها عن عمليات التفجير التي تمت في مترو لندن والتحضيرات التي جرت قبلها.

وقد واجهت الباحث عدة صعوبات في عملية جمع الأفلام تمثلت بـ :

آ – كون عينة البحث تعتمد على أفلام تعتبر في (ملكية) الآخرين، وهؤلاء لهم أساليب ومنطلقات مهنية وقانونية تجعل من هذه الملكية خاضعة لقانون واجراءات حماية الملكية الفكرية وعليه لا يمكن للغير الاستفادة منها حتى وإن كان للأغراض البحثية .

ب – معظم هذه الأفلام (عينة البحث) كانت تعرض على مواقع الكترونية تسمح بالعرض والمشاهدة لكنها لا تسمح بالنسخ .

ج – الكثير من هذه الأفلام كانت ترفع من المواقع الالكترونية بعد يوم واحد من العرض خوفاً من التعرض للغلق .

د – تشتت (عينة) البحث، حيث أن هناك عدة فضائيات تعرض هذه الأفلام اضافة الى العديد من المواقع الالكترونية ، ويصعب التعامل مع أفلام الفضائيات بسبب (آنية) العرض، كما يصعب الوصول الى أفلام (المواقع) بسبب التعتيم والسرية التي تعمل بها .

هـ- كان الفشل مصير جميع المحاولات التي قام بها الباحث من خلال زملاء المهنة في عدد من الفضائيات العربية للحصول على الأفلام (عينة) البحث للسبب الوارد في الفقرة (آ) .

2- أداة ألدراسة :.

. تحقيقاً لاهداف البحث. قام الباحث ببناء استمارتين لتحليل عينة البحث (الأفلام والبرامج) . الأولى تناولت تحليلاً للشكل والثانية تحليلاً للمضمون .وقد تضمنت استمارة تحليل (الشكل) أحدى وعشرين فقرة تم حذف واحدة منها بتوصية من السادة الخبراء هي فقرة (أخرى)، وتضمنت استمارة تحليل (المضمون) سبع عشرة فقرة .

3- مؤشرات الصدق :ـ

. تحقيقاً لاهداف البحث، قام الباحث ببناء استمارتين لتحليل عينة البحث (الأفلام والبرامج) . الأولى تناولت تحليلاً للشكل والثانية تحليلاً للمضمون . وفيما يلي الاجراءات التي قام بها الباحث في بناء الاداتين؛

أ ـ تم عرض هاتين الاستمارتين على عدد من الخبراء من ذوي الاختصاص لغرض اثبات مدى صلاحيتهما. (أنظر ألملحق رقم5).

ب . حصل اتفاق بنسبة 80٪ بين ألخبراء على جميع مفردات الأداة بكونها صالحة لقياس ماوضعت من أجله، وبذلك تحقق ألصدق ألظاهري للقياس.

ج- تم تطبيق الاداة على عينة من الافلام من غير عينة البحث اختيرت بشكل عشوائي من موقع (اليو توب) بلغت(10) أفلام لفحص مدى

صلاحيتها للتطبيق. وقد استعان ألباحث بزميل له لغرض فحص ألعينة واجراء ألتطبيق عليها للوصول الى صلاحية ألتطبيق.

د ـ تمت ألأستفادة من هذا ألأجراء في عملية تفريغ ألنتائج وتعديل بعض فقرات ألتحليل.

والاضافه بمشوره الساده الخبراء كما تمت عمليه المطابقه بين مفردات الاستمارتين

جداول التفريغ لمحتويي الشكل و المضمون لعينة البحث.

4ـ الوسائل الحسابيه

. تم استخدام ألنسبة ألمئوية في عملية تحليل نتائج ألعينة بحساب نسبة ألتكرارات لقياس قوة ألظاهرة ألناتجة بالتحليل قياساً إلى نتائجها.

تحليل عينة البحث والتعليق عليها :

ـ قام ألباحث بتحليل عينة ألبحث ألفلميه وألبرامجيه بموجب أستمارتي تحليل ألشكل وألمضمون ، وأستخدم أحد عشر جدولاً لتفريغ محتوى الأستمارتين، وقد تم ألتعليق عليها كما يلي

جدول رقم (1)

ت	جهة الانتـــــــاج			
	خاص	٪	عام	٪
	140	93.33	7	4.66
المجموع	150		150	

التعليق على جدول رقم (1)

- من بين (150) فيلماً وبرنامجاً هي عينة البحث ظهر أن الأفلام التي أنتجتها التنظيمات المسلحة كانت بعدد (140) فيلماً، فيما أنتجت الفضائيات (عام) سبعة أفلام وبرامج فقط وظهرت ثلاثة أفلام مجهولة جهة الانتاج، وكانت النسبة المئوية للأفلام المنتجة من قبل التنظيمات المسلحة هي (93.33 ٪) فيما بلغت النسبة المئوية للأفلام والبرامج التي أنتجتها الفضائيات (عام) (4.66 ٪) فقط من مجمل العدد الكلي للأفلام والبرامج. ولم تقدم التنظيمات المسلحة على انتاج برامج حول العمليات التي قامت بها وذلك بسبب احتياج مثل هذه البرامج الى مستلزمات فنية وتقنية وكوادر متخصصة تفتقر اليها هذه التنظيمات، حيث أن مثل هذه البرامج تحتاج الى معدين وكتّاب سيناريو ومخرجين ومصورين ذوي كفاءة فنية عالية كما انها تحتاج الى تمويل مالي والى توفر أماكن تصوير يجري فيها العمل في العلن وليس في الخفاء كما هو حال العمل الذي الذي تقوم به التنظيمات المسلحة . ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى تنظيم القاعدة الذي أنتج أفلاماً وفر لها امكانيات فنية ومالية كبيرة مثل الذي حصل في انتاج الأفلام الخاصة ب (أبي مصعب الزرقاوي) في العراق والفلم المكون من جزأين حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذي أسسته القاعدة (غزوة مانهاتن)، حيث كان الانتاج الفيلمي لتنظيم القاعدة سواء في افغانستان أو في العراق يمتاز باقترابه من التكامل من حيث نوعية التصوير والاخراج واختيار اللقطات والعناوين الرئيسية والفرعية واستخدام المعينات الفيلمية مثل الخلفيات المتحركة والثابتة والترجمة والصور والتقطيع الصوري، أي أن بعض هذه الأفلام كانت لها بداية ووسط ونهاية . أما التنظيمات المسلحة الأخرى

فكان انتاجها محدوداً وفقيراً ويصوَر بكاميرا واحدة ويفتقر الى التقنية الفنية المطلوبة، ويرى الباحث أنه لولا احتياج الفضائيات العربية لبث النشاطات التي تقوم بها التنظيمات المسلحة بسبب افتقارها الى التواجد في مكان الحدث لما كان أيَاً من هذه الأفلام يأخذ طريقه الى البث الفضائي العربي، ومن الملاحظ أن عدداً من الفضائيات قام بانتاج برامج تناولت موضوع الارهاب وكانت هذه البرامج متكاملة فنياً من حيث الاعداد والتناول والاخراج، بعضها تم فيه تناول وجهتي النظر المؤيدة للارهاب والأخرى الرافضة له، و استعانت هذه الفضائيات بمسؤولين رئيسيين في هذه التنظيمات، خاصة تنظيم القاعدة الذين قدموا وجهة نظر تنظيماتهم، والرأي الآخر كان يمثل مسؤولين في هذه التنظيمات خرجوا منها بسبب الاختلاف في المنهج وفي الرؤيا الآنية والمستقبلية لعمل هذه التنظيمات أو مثّل رأياً لمتخصصين في موضوع الارهاب، أي أن بعضاً من هذه البرانج والأفلام التي أنتجتها الفضائيات تبنى وجهة النظر التي قدمتها التنظيمات المسلحة، والبعض الآخر تبنى وجهتي نظر مختلفتين وترك للمتلقين أمر الانحياز أو الرفض

جدول رقم (1)

ت	طبيعة جهة البث			النسبة
	انترنيت	فضائيات	اقراص	
	5	138	7	
المجموع	150	150'	150	

التعليق على جدول رقم (2)

- تبين من تحليل عينة البحث البالغة(150) فيلماً وبرنامجاً التي تناولت الجهات التي تقوم ببث الأفلام والبرامج الخاصة بالتنظيمات المسلحة أن (138)منها تم بثها عن طريق الفضائيات وخمسة منها عن طريق الانترنت و(7) عن طريق أقراص ال (سي دي)، وبلغت النسبة المئوية لكل منها كالآتي .

1- البث عن طريق الفضائيات (92 ٪)

2- البث عن طريق الانترنت (3.33 ٪)

3- البث عن طريق أقراص السي دي (4.66 . ٪)

- وبالرجوع الى جدول رقم(2) الخاص بطبيعة جهة البث نجد أن الفضائيات العربية كانت لها حصة الأسد من حيث مساحة البث حيث بلغ عدد هذه الفضائيات (138) وبلغت نسبتها المئوية بالنسبة لعدد الأفلام وبرامج عينة البحث(92 ٪) وهذه النتيجة تؤكد أن هذه الفضائيات لم تكن لتتبنى بث هذه الأفلام لو لم تكن متعاطفة مع الجهة المنتجة لها وتتلاقى معها من حيث الرؤية للحدث ونتائجه، وهي بذلك تكون قد تجاوزت أيضاً نوعية الأفلام الصالحة للبث شكلاً ومضموناً .

- ولاحظ الباحث من خلال تحليل العينة أن الأفلام التي أنتجتها التنظيمات المسلحة قاطبة وعلى رأسها (تنظيم القاعدة) أخذت طريقها للبث من خلال الفضائيات التي كانت تتماثل معها من حيث التوجه والمذهب، فيما اعتمدت بعض التنظيمات المسلحة على بث انتاجها الفيلمي عن طريق أقراص ال(سي دي) وبلغ عددها بالنسبة لعينة

البحث (7) أقراص، ونسبتها المئوية (4.66 ٪)، وقد يكون السبب في ذلك رفض بث هذه الأفلام عن طريق الفضائيات التي تختلف مع هذه التنظيمات المسلحة فكراً ومذهباً، وقد يكون امتلاكها القدرة على التمويل المالي وقد أنشأت هذه التنظيمات المسلحة عدة استوديوهات للنسخ والتوزيع الفني، لكن كمية الانتشار والتوزيع كانت شبه محدودة بسبب الطبيعة السرية لهذه التنظيمات ولحظر التعامل بمثل هذه الأقراص .

-وبلغ عدد مواقع الانترنت التي تبث أفلاماً وبرامج من عينة البحث خمسة فقط وبلغت نسبتها من عينة البحث (3.33 ٪)، وحدودية عدد هذه المواقع يعود الى عمليات الملاحقة والاغلاق التي تتم ضدها من قبل سلطات مكافحة الارهاب، حتى أن المواقع الخاصة بالفضائيات العربية المعروفة مثل الجزيرة والعربية تقوم بحجب الأفلام عن هذه المواقع عندما تقدم برامجها وأفلامها التي تتناول موضوع الارهاب، أي أن المتعامل مع مواقع الانترنت الخاصة بهذه الفضائيات لا يمكنه مشاهدة الأفلام التي شاهدها على البث الفضائي، وانما سيقرأ كلاماً فقط، كما أن عدداً من مواقع الانترنت التي تفلت من الرقابة تضع حظراً على نقل أو استنساخ أي فيلم يتناول موضوع الارهاب وتعمد الى رفعه بعد أيام من وضعه على الموقع جدول رقم (3)

	واحد	اكثر من واحد	
المجموع			

التعليق على جدول رقم (3)

- تناول هذا الجدول بيان ماهية الخطاب الاعلامي الذي تضمنته عينة البحث البالغة (150) فيلماً وبرنامجاً، حيث ظهر أن نسبة الخطاب الموجه في هذه العينة من قبل شخص واحد بلغت (33.33 ٪)، فيما بلغت النسبة المئوية للخطاب الموجه من قبل أكثر من شخص (66.66 ٪).

- وقد اختار عدد من الفضائيات العربية، خاصة المعروفة منها، أن تضع بنفسها التعليق على الأفلام التي تعرض نشاطات التنظيمات المسلحة، ولعل ذلك يأتي حرصاً من هذه الفضائيات على اعطاء وجهة نظر معينة في الأحداث، قد تكون معها أو ضدها أو لعجز هذه التنظيمات المسلحة على وضع تعليق مناسب على هذه الأفلام بسبب افتقار هذه التنظيمات الى التقنيات والكوادر الفنية المطلوبة، حيث لا تتوفر فيها أبسط الاستديوهات أو المنظومات الاذاعية التي تستطيع أن تسجل فيها التعليق وتطبعه على الفيلم المنتج.

- وبعض هذه التنظيمات المسلحة وعددها قليل، أستعانت بأصوات الأسلحة التي تستخدمها والتكبيرات التي كان يطلقها منفذوا هذه العمليات واستخدامها كخلفية مصاحبة لأفلامها، وكان معظم هذه التنظيمات، تنظيمات صغيرة وغير معروفة أو انها تكون حديثة التكوين ليست لديها القدرة المالية والتقنية على أن تضع خطابها الاعلامي على الأفلام المنتجة من قبلها.

- وقد اختفى عدد غير قليل من هذه التنظيمات، بسبب الالغاء أو الاندماج مع تنظيمات أكبر، عن الساحة التي كان يعمل فيها، ولم يعد لها أي اصدار فيلمي حالياً. وعمدت الفضائيات التي تبث مثل هذه

الأفلام عادة، مثل الجزيرة والعربية، الى الغاء معظم الأصوات المصاحبة للأفلام بسبب رداءة تسجيلها واستعانت بدلاً عنها بتعليقات من داخل الاستديو . وقد شذت عن هذا الأمر تنظيمات القاعدة بشكل أو آخر حيث كان لها خطابها المميز، سواء بالتعليق المباشر على الأفلام أو بالدمج بين التعليق والانشودة لتقديم وجهة نظرها من خلال المعلومة المقدمة حيث يكون الخيار للفضائية التي تعرض هذا النشاط كما هو أو تقتطع جزءاً منه ووتظيفه الى وجهة النظر التي تقدمها استناداً الى المعلومة المقدمة من قبل تنظيمات القاعدة على اختلاف مناطق نشاطها .

جدول رقم (4)

ت	خطاب مباشر	خطاب غير مباشر	رسالة مقروءة	حواري	تعليق	انشودة	توجيهي	تحريضي	النسبة المئوية
المجموع									

التعليق على جدول رقم (4)

ـ بعد تحليل عينة البحث الفلمية والبرامجة البالغ عددها (150) أظهر الجدول رقم (4) الخاص ببيان نوع الخطاب الاعلامي الموجه من خلال هذه البرامج والأفلام التالي :

1 . أن (70) فيلماً وبرنامجاً كان الخطاب فيها مباشراً .

2 . أن (95) فيلماً وبرنامجاً كان الخطاب فيها غير مباشر

3. أن (11) فيلماً وبرنامجاً كان الخطاب فيها عبارة عن رسالة مقروءة .

4 . أن عدد الأفلام التي كان الخطاب الاعلامي فيها حوارياً يبلغ عشرة أفلام .

5 . أن التعليق على الأفلام بلغ(68) تعليقاً ، بواقع تعليق لكل فيلم.

6 . أن الأناشيد بلغت في العينة (88) انشودة .

7 . أن الخطاب التوجيهي في هذه الأفلام والبرامج بلغ (3) فقط .

8 . أن الخطاب التحريضي الموجه في العينة الفلمية واليرامجية للبحث بلغ (131) خطاباً .

- أما النسب المئوية فقد بلغت كالآتي :

1 . الخطاب المباشر (66. 46 ٪)

2 . الخطاب غير المباشر (33 . 63 ٪)

3 . الرسالة المقروءة (33 . 7)

4 . الخطاب الحواري (66. 6 ٪)

5. التعليق (33 . 45 ٪)

6 . الانشودة (66. 58 ٪)

7 . التوجيهي (2 ٪)

8 . التحريضي (33 . 78 ٪)

- وقد تمثل الخطاب المباشر بالتعليق الذي تضعه الفضائيات العربية للأفلام الخاصة بنشاطات التنظيمات المسلحة (انظر التعليق على جدول رقم 3) أما الخطاب غير المباشر فهو عبارة عن الانشودة التي اختارها معظم التنظيمات المسلحة كخلفية للأفلام التي تنتجها ، وسبب

هذا الاختيار كون هذه التنظيمات (ما عدا القاعدة) تفتقر، كما في التعليق على الجدول رقم (3) الخاص بماهية الخطاب الاعلامي الموجه، الى توفر القدرة الفنية لدى هذه التنظيمات للقيام بانتاج فني كهذا ، فكانت الاستعانة بالانشودة غير المصحوبة بموسيقى والتي كانت تستخدم مع جميع الأفلام مهما كانت مادتها أو موضوعها . وقد استخدمت هذه التنظيمات الانشودة بانواع مختلفة مثل(التكبير، الحداء، انشودة مع موسيقى، انشودة بدون موسيقى) ودللت الانشودة من خلال مرافقتها للأفلام على نوعية المنظمة من حيث التكوين والنشأة والقدرة القتالية والامكانية الفنية والمالية، حيث أن التكبير رافق دائماً الأفلام التي أنتجتها تنظيمات مسلحة غير معروفة أو تلك حديثة التكوين ذات الامكانيات البسيطة، أما الأناشيد المصاحبة بموسيقى أو تلك التي بدونها فقد كانت الأولى من حصة التنظيمات الفاعلة مثل القاعدة التي لم تكتفِ بانشودة واحدة بل كانت لها عدة أناشيد تختص بكل موضوع، والثانية كانت من حصة التنظيمات الأقل شهرة والأحدث تكويناً من تنظيم القاعدة . وكان الخطاب الاعلامي بالنسبة لتنظيم القاعدة متنوعاً في أفلامها المنتجة، فنجد أكثر من نوع خطابي في هذه الأفلام مثل (غزوة مانهاتن) والتحضير لأحداث الحادي عشر من سبتمبر . أما الرسائل المقروءة فكانت اسلوباً خطابياً انتهجته القاعدة وعدد من التنظيمات الأخرى التابعة لها، وكانت تبدأ بها الكثير من أفلامها وتحاول أن تختصر فيها وجهة نظرها في الحدث الذي تنوي تنفيذه، أما الحوارات فكانت من اسلوب تنظيمات القاعدة أيضاً ويجريه عدد من المسؤولين الرئيسين فيها مثل (أسامة بن لادن) و(الظواهري) و (أبو مصعب الزرقاوي)، حيث تجري هذه الحوارات ضمن لقاءات معينة يراد منها تمرير معلومة أو شرحاً لحدث وقع . وكان

معظم الخطاب الاعلامي للقاعدة وتنظيماتها الفرعية والجهات المؤيدة لها خطاباً تحريضياً حيث بلغ (131) خطاباً من مجموع عينة البحث البالغة (150) فيلماً وبرنامجاً وبلغت نسبته المئوية (33 . 87 ٪) .

جدول رقم (5)

ت	عدد الكلمات		النسبة المؤية
	التوجيه	التحريض	
المجموع			

التعليق على جدول رقم (5)

- بعد تحليل عينة البحث الفلمية والبرامجية المائة والخمسين تبين أن الجدول أعلاه الخاص بكلمات التوجيه والتحريض في الخطاب الاعلامي أظهر التالي :

1 . أن كلمات التوجيه بلغت (44) كلمة فقط .

2 . أن كلمات التحريض بلغت (2601) كلمة .

أما النسبة المئوية في العينة التي أخضعت للتحليل فقد كانت كالآتي :

1 . بلغت النسبة المئوية لكلمات التوجيه (33 . 29 ٪).

2 . وبلغت النسبة المئوية لكلمات التحريض (4. 173 ٪).

والملاحظ من تحليل عدد الكلمات في الخطاب الاعلامي لعينة البحث، الانخفاض الكبير في عدد كلمات التوجيه وطغيان كلمات التحريض في هذا الخطاب، والسبب تخطيط هذه المنظمات لغزو عقول

البسطاء من المتلقين من خلال التحريض بمختلف الوسائل مستعملة الجانب الديني لتبرير نشاطاتها المسلحة . أما الجانب التوجيهي في هذا الخطاب فقد جاء من جهات محدودة حاولت تقديم وجهتي النظر المختلفة بالنسبة لموضوع الأنشطة المسلحة التي تقوم بها هذه المنظمات والتي توجهت فيها الكثير منها لتنال من مجاميع بريئة بتهم لم تتحقق منها ، وانما توجهت لايقاع العقاب بها أولاً . وقد ضاعت محاولات التوجيه هذه في هذا الخضم الكبير من الخطاب التحريضي، فجاءت الأفلام وما خرت بها عدة فضائيات عربية بمثابة دعوة صريحة لترويج الاررافقها من تعليقات وأناشيد وأنواع الخطاب الأخرى التي زهاب .

جدول رقم (6)

ت	الفئات المستهدفة		النسبة المؤية
	خاص	عام	
المجموع			

التعليق على الجدول رقم (6)

- يبين هذا الجدول الفئات المستهدفة في الخطاب الاعلامي الذي تضمنته عينة البحث الفلمية والبرامجية المائة والخمسين . وقد تم تقسيم هذه الفئات الى عام وخاص وكانت الغلبة عند اجراء تحليل العينة حسب هذا الجدول للخطاب العام الذي بلغت نسبته (100 ٪) . **ولعل سبب اقتصار الخطاب الموجه من قبل التنظيمات المسلحة على الخطاب العام فقط يعود الى سببين .**

الأول : محاولة هذه التنظيمات التوجه في خطابها الى العدد الأكبر من المتلقين

الثاني : عدم قدرة هذه التنظيمات على تلوين خطابها وتعدده حسب السنوات العمرية والفئوية للمتلقين، اذ أن ذلك سيعني توفير قدرات مالية وفنية وكوادر متخصصة للقيام بهذا العمل، الأمر الذي تفتقر اليه جميع التنظيمات المسلحة، أما سبب اختفاء الخطاب الخاص، ونعني به الموجه لفئة مجتمعية أو عمرية معينة فهو يعود الى أن الفضائيات العربية التي تبنت موضوع عرض نتاج التنظيمات المسلحة من الأفلام وجدت أمامها نمطاً واحداً من الأفلام يتوجه الى المتلقين بصورة عامة دون تفريق بينهم حسب السن والمستوى العلمي أو الاجتماعي أو التوجه الديني .

جدول رقم (7)

ت	اللقطة القريبة		القريبة		المتوسطة		البعيدة		البعيدة جدا		٪
	اللقطة	٪	اللقطة	٪	اللقطة	٪	اللقطة	٪	اللقطة	٪	
المجموع											

التعليق على جدول رقم (7)

- تناول هذا الجدول أنواع اللقطات التي تم استخدامها في الأفلام والبرامج التي تم تصويرها من قبل المنظمات المسلحة والجهات الأخرى التي ركزت حول هذا الموضوع والتي من بينها فضائيتي الجزيرة والعربية، **وقد اظهر الجدول الآتي :**

- بلغ عدد اللقطات القريبة (30) لقطة وكانت نسبتها المئوية (20 ٪) .

- بلغ عدد اللقطات القريبة جداً(اثنتان) فقط ونسبتها المئوية(33 . 1 ٪).

أما اللقطات المتوسطة فقد بلغ عددها (65) لقطة ونسبتها المئوية بلغت (33 . 43 ٪).

- وكان العدد الأكبر من اللقطات المستخدمة في عينة البحث البالغة(150)فيلماً وبرنامجاً هي اللقطات البعيدة حيث يبلغ عددها (90) لقطة ونسبتها المئوية(60 ٪). ويبلغ عدد اللقطات البعيدة جداً (41) لقطة وبلغت نسبتها المئوية(33. 27 ٪) . وبالرجوع الى النتائج التحليلية التي أظهرها الجدول رقم (7) أن هناك تفاوتاً في عدد اللقطات المستخدمة، حيث اقتصر الكثير من الأفلام التي انتجتها التنظيمات المسلحة خاصة تلك الصغيرة والحديثة التكوين على لقطة واحدة وبلغ زمنها التصويري ثوان معدودة ولهذا عدة أسباب، منها : التصوير بكاميرا واحدة وفي ظرف غير آمن اضافة الى قلة كفاءة وخبرة القائمين بتصوير هذه الأفلام، وقد اقتصر استخدام اللقطة القريبة على الأفلام التي يجري تصويرها داخل مقرات هذه التنظيمات أو المقرات البديلة التي تستخدم في التحضير والشروع في تنفيذ العمليات المسلحة، ومنها أيضاً اللقطات الخاصة بعمليات توديع منفذي العمليات الانتحارية أو تلك الخاصة بصنع الأسلحة والمتفجرات، والهدف من هذه اللقطات هو ترغيب الآخرين بالقيام بمثل هذه العمليات، وارهاب الطرف الآخر لأن الهدف منها اظهار القوة والامكانية القتالية والتخطيطية والتنفيذية لهذه التنظيمات .

- اللقطات القريبة جداً لم تستخدم في هذه الأفلام إلاّ ما ندر ولم يجر إلاّ تصوير لقطتين لرأس القاعدة (أسامة بن لادن) في لقائين . وجاء استخدام اللقطات المتوسطة بسبب طبيعة تصوير مثل هذه الأفلام التي لا يتم التركيز فيها كثيراً على الأشخاص وانما محاولة اظهار

أكبر عدد من اعضاء التنظيم لاظهار القوة وكثرة العدد ولترغيب الآخرين في الانضمام، كما أن مثل هذه اللقطات لا تحتاج الى الكثير من المقدرة والكفاءة الفنية . أما الاستخدام الأكثر للقطات البعيدة فجاء بسبب طبيعة الأفلام التي يجري تصويرها وحاجة المنفذين ومن بينهم القائمين بعمليات التصوير الى سرعة التنفيذ والانسحاب من مكان الحدث، لكن استخدام اللقطات البعيدة جاء على حساب الجودة المطلوبة في الأفلام التي من المفروض أن يشاهدها الجمهور ويعجب بمنفذيها وبالتنظيمات التي ينتمون اليها ، لكن في أحيان كثيرة تأتي نتائج التصوير بشكل عكسي { عدم ثبات الصورة بسبب عدم ثبات القائمين بالتصوير } والافتقار الى أبسط شروط الجودة في مثل هذه الأفلام التي يراد منها احداث التأثير والانحياز المطلوبين لدى جمهور المتلقين.

جدول رقم (8)

ت	اللقطة	الزمن	اللقطة	الزمن	اللقطة	الزمن	اللقطة	الزمن	اللقطة	الزمن	%
	اللقطـــة		القريبة جدا		المتوسطة		البعيدة		البعيدة جدا		%
المجموع											

التعليق على جدول رقم (8)

- يبين هذا الجدول الذي تم فيه تحليل لزمن اللقطات ضمن عينة البحث البالغة (150)فيلماً وبرنامجاً الآتي :

- أن زمن اللقطة القريبة بلغ (100) دقيقة وبلغت نسبتها المئوية (66. 66 ٪) أما اللقطة القريبة جداً فقد بلغ زمنها ضمن العينة (19) دقيقة ونسبتها المئوية (66 .12 ٪) وأعلى نسبة زمن حققته اللقطات المتوسطة في هذه العينة الفيلمية والبرامجية حيث بلغ زمنها (142) دقيقة وبلغت نسبتها المئوية(66 . 94 ٪) في حين بلغ زمن اللقطات البعيدة (98) دقيقة وبلغت نسبتها المئوية (33 . 65 ٪) أما اللقطات البعيدة جداً فقد بلغت دقائقها (36) دقيقة وبلغت نسبتها المئوية (24 ٪) . أن ارتفاع عدد دقائق التصوير بالنسبة لكل لقطة ضمن هذا الجدول أو انخفاضها يعني طبيعة الاعتماد على هذه اللقطات من عدمه، وارتفاع عدد دقائق التصوير في اللقطة المتوسطة لا يعني تحبيذاً لها من قبل الجماعات المسلحة فنياً، لكن الاكثار من هذه اللقطات يأتي بسبب عدم احتياجها لكثير من الدراية والتدريب الفني وذلك بسبب طبيعة القائمين بالتصوير ضمن هذه التنظيمات المسلحة، واذا كان الأمر يتعلق بالأمور الفنية والتصوير بما يحقق فائدة أكبر، وعلى أقل تقدير من حيث تبيان نوعية وحجم العمليات التي تنفذها هذه التنظيمات كان الأجدر بهذه التنظيمات الاكثار من اللقطات البعيدة جداً التي تحقق أمرين لهذه التنظيمات. الأول : تصوير العمليات بكاملها عن بعد وبشكل آمن . الثاني : امتلاك مساحة أكبر من المناورة والانسحاب لمنفذي هذه العمليات، لكن هذه التنظيمات ابتعدت عن استخدام اللقطات البعيدة جداً بسبب افتقارها لتوفر آلات تصوير عالية الجودة وعدم توفر كوادر فنية عالية التدريب للتصوير .

جدول رقم (9)

ت	زوايا الكاميرا			النسبة المؤية
	مستوى النظر	فوق مستوى النظر	تحت مستوى النظر	
المجموع				

التعليق على جدول رقم (9)

- تضمن هذا الجدول تحليلاً لزوايا الكاميرا التي استخدمتها التنظيمات المسلحة في الأفلام التي أنتجتها هذه المنظمات أو الأفلام والبرامج التي انتجتها الجهات الأخرى التي اهتمت بموضوع نشاطات هذه المنظمات . وقد تبين من النتائج التي ظهرت في هذا الجدول التالي :

1- أن أكثر زوايا الكاميرا التي تم استخدامها في أفلام التنظيمات المسلحة كانت زاوية (مستوى النظر) حيث كان عددها (148) مرة وبلغت نسبتها المئوية (66 . 98 ٪)، ولهذا الاستخدام عدة أسباب لعل أبرزها هو الافتقار الى كوادر فنية مدربة، أضافة الى أن الظروف التي يجري فيها التصوير عادة هي ظروف معركة لها مواصفاتها واستحقاقاتها التي لا تشابه أية ظروف أخرى، كما أن التصوير بزوايا أخرى يتطلب توفير معدات مساعدة، وحتى إن توفرت فلا يمكن استخدامها في عمليات (الكر والفر).

2- المرة الوحيدة التي تم فيها استخدام زاوية فوق مستوى النظر من قبل التنظيمات المسلحة كانت في أحدى العمليات وتم فيها التصوير من فوق شجرة قريبة من مكان الحدث .

3- الجهات الأخرى التي اهتمت بمتابعة الأنشطة التي تقوم بها المنظمات المسلحة ومن بينها فضائيتي (الجزيرة) و (العربية) لم تستخدما أياً من زاويتي (فوق مستوى النظر) و (تحت مستوى النظر) سوى مرة واحدة أيضاً . ولعل سبب ذلك يعود الى طبيعة الأفلام والبرامج التي تم انتاجها والتي لاتتطلب(حسب وجهة نظر الجهة المنتجه)الى مثل هاتين الزاويتين .

جدول رقم (10)

ت	ملونة		غير ملونة		صوت		بدون صوت		%
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
المجموع									

التعليق على جدول رقم (10)

- يبين هذا الجدول أنواع التقنيات التي استخدمتها التنظيمات المسلحة والجهات المهتمة بأنشطتها في انتاج الأفلام والبرامج التي استخدمت كعينة للبحث والتي بلغ عددها (150) فيلماً وبرنامجاً، وقد **أظهر هذا الجدول ما يلي :**

1- أن أكثرية البرامج والأفلام التي تم تصويرها كان ملوناً، حيث بلغ عددها (144) فيلماً وبرنامجاً، وبلغت نسبتها المئوية (96 ٪).

a. الأفلام غير الملونة بلغ عددها(ستة) فقط وبلغت نسبتها المئوية (4٪).. ومن أسباب استخدام الفيلم الملون من قبل التنظيمات المسلحة ليس فهماً لأفضلية الفيلم الملون وتأثيره على المتلقين، وانما لأنه التقنية الوحيدة الموجودة ولأن جهات البث الفضائي لا يمكن أن تعرض غير الأفلام الملونة ولو كان العكس موجودا أي (الأبيض والأسود)

لاستخدمتها هذه التنظيمات بديلاً، أما الأفلام غير الملونة التي ظهرت في عينة التحليل فجاءت بسبب خطأ فني في التصوير . أما فيما يتعلق بالتقنية الصوتية المستخدمة في الأفلام والبرامج عينة البحث فقد أظهر الجدول ما يلي :

1- الأفلام والبرامج التي استخدم فيها الصوت بلغ عددها (147) فيلماً وبرنامجاً، وبلغت نسبتها المئوية (98٪). وقد تراوحت الأصوات المستخدمة في الأفلام التي انتجتها التنظيمات المسلحة بين أصوات الأسلحة النارية والتكبيرات والتراتيل الانشادية كخلفية لهذه الأفلام، كما تضمنت رسائل مقروءة في حالات معدودة، ولم يستخدم التعليق في هذه الأفلام بسبب عدم توفر امكانية التسجيل من قبل كوادر متخصصة والتقطيع واستخدام فواصل بين أنواع الخطاب الاعلامي الموجه .

2- أما الأفلام التي ظهرت بدون صوت فقد بلغ عددها(ثلاثة) وبلغت نسبتها المئوية (2٪). ويبدو أن عدم وجود الصوت في هذه الأفلام الثلاثة جاء بسبب خطأ فني عند اجراء عملية التصوير .

جدول رقم (11)

ت	خارطة		صورة		لافتة		اخرى		٪
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
المجموع									

التعليق على جدول رقم (11)

- بيّن هذا الجدول أنواع المعينات المستخدمة في عينة البحث البالغ عددها (150) فيلماً وبرنامجاً التي انتجتها التنظيمات المسلحة والجهات الأخرى المهتمة بمتابعة الأنشطة التي تقوم بها هذه التنظيمات وما يترشح عنها، وقد أظهر هذا الجدول ما يلي :

1- أن الخرائط استخدمت في هذه الأفلام والبرامج لستة مرات فقط وبلغت نسبتها المئوية (4٪).

2- استخدام الصوره في العينه الفلميه والبرامجية بلغ(ثلاث) مرات فقط وبنسبة بلغت (2٪) . 3 . تم استخدام اللافتات(اربع) مرات فقط وبلغت نسبتها(66 .2 ٪).

3- أما استخدام المعينات الأخرى في هذه الأفلام والبرامج فقد بلغ (11) مرة وبنسبة بلغت (33 . 7 ٪) وقد تمثلت المعينات الأخرى بالترجمة واستخدام المكتبات كخلفية ثابتة، ويعود سبب انخفاض استخدام المعينات المستخدمة في عينة البحث الفيلمية والبرامجية لسببين :

الأول : عدم حاجة الأفلام التي أنتجتها التنظيمات المسلحة الى مثل هذه المعينات حيث أن التصوير يجري لثوان معدودة وفي ظروف صعبة .

الثاني : عدم توفر الامكانيات المطلوبة لاستخدام مثل هذه المعينات مثل الكوادر الفنية المتخصصة والاستوديو بما فيه من أجهزة متطورة . والملاحظ أن تنظيم (القاعدة) استخدم بعضاً من هذه المعينات في اثنين من افلامه الطويلة التي انتجها وهما أحداث (11) سبتمبر (غزوة

مانهاتن) والفيلم الذي تناول التحضير لهذه الأحداث، واستخدم هذا التنظيم وبشكل واسع الترجمة في هذين الفيلمين وفي الأفلام التي جرى تصويرها لرموز القاعدة الرئيسيين مثل (أسامة بن لادن) و(أيمن الظواهري).

1- أكثر زوايا الكاميرا استخداماً في الأفلام (عينة البحث) كانت زاوية (مستوى النظر) حيث استخدمت (148) مرة وبلغت نسبتها(98.66 ٪) **وكان استخدامها للأسباب التالية :**

آ – الافتقار الى كوادر فنية مدربة تستطيع استخدام الزوايا الأخرى .

ب – الظروف التي يجري فيها التصوير عادة هي ظروف معركة لها مواصفاتها واستحقاقاتها التي لا تشابه أية ظروف أخرى .

ح – أن التصوير بزوايا أخرى يتطلب توفر معدات مساعدة، وحتى وإن توفرت فلا يمكن استخدامها في عمليات (الكرّ والفرّ) .

د – أن طبيعة الأفلام والبرامج التي تُنتجها التنظيمات المسلحة وحتى تلك التي أنتجتها الجهات المهتمة بمتابعة أنشطة هذه التنظيمات . لا تحتاج الى استخدام زاويتي (فوق مستوى النظر) و (تحت مستوى النظر) .

2- أن استخدام (التقنيات) في الأفلام والبرامج (عينة البحث) كان محدوداً جداً واقتصر على استخدام الأفلام الملونة التي بلغ عددها (144) فيلماً وبرنامجاً وبلغت نسبتها (96 ٪) وجاء ذلك بسبب :

آ – عدم وجود غير الفيلم الملون في الأسواق، ولو وجد الفيلم الأسود والأبيض لاستخدمته التنظيمات المسلحة لانخفاض

التكلفة وعدم الحاجة الى التقيد بالتقنية المطلوبة في الفيلم الملون .

ب – رفض جهات البث الفضائي بث الأفلام غير الملونة .

3- أن الأفلام والبرامج التي استخدمت الصوت بلغ عددها (147) فيلماً وبرنامجاً وبلغت نسبتها (98 ٪) .

4- تم التركيز في الأفلام (عينة البحث) على استخدام أصوات الأسلحة النارية والتكبيرات والتراتيل والأناشيد كخلفية لهذه الأفلام .

5- تم استخدام الرسائل المقروءة في حالات معدودة .

6- لم يستخدم التعليق في هذه الأفلام بسبب عدم توفر امكانية التسجيل داخل استوديوهات وعدم توفر كوادر فنية متخصصة .

7- لم تستخدم في هذه الأفلام تقنيات التقطيع الصوتي أو الفواصل لعدم توفر هذه الامكانيات لدى التنظيمات المسلحة المنتجة لهذه الأفلام .

8- ظهرت ثلاثة أفلام من (عينة البحث) بدون صوت وبلغت نسبتها (2٪) ويبدو أن عدم وجود الصوت في هذه الأفلام جاء بسبب خطأ فني عند اجراء عملية التصوير .

9- جاء استخدام المعينات الفيلمية في (عينة البحث) بصورة محدودة وذلك بسبب :

آ – عدم حاجة هذه الأفلام، وبالصورة التي أنتجتها التنظيمات المسلحة، الى مثل هذه (المعينات) حيث أن التصوير يجري لثوان معدودة وفي ظروف تصوير صعبة .

ب – عدم توفر الامكانيات المطلوبة لاستخدام مثل هذه (المعينات) كالكوادر الفنية المتخصصة والاستوديو بما فيه من أجهزة مطلوبة .

10- استخدم تنظيم القاعدة بعضاً من هذه(المعينات) في اثنين من أفلامه الطويلة التي انتجها عن التحضيرات التي سبقت(أحداث الحادي عشر من سبتمبر) و(غزوة مانهاتن)، وتراوحت (المعينات) المستخدمة بين الترجمة بشكل واسع والصور والخرائط والخلفيات الصورية والمكتبية .

ب – نتائج تتعلق بالاطار العام للبحث:

– على الرغم من الأبحاث الكثيرة التي أجريت للربط بين وسائل الاعلام والترويج للارهاب إلاّ انه لم يجر اثبات ذلك بصورة جليّة ووفق أسس علمية وكل ما نشر في هذا المجال بقي مجرد وجهات نظر تحتاج الى دليل علمي كاف لاثبات هذه العلاقة الارتباطية، كما لاتوجد أية بحوث أثبتت أن هناك علاقة (سبب ونتيجة) بين التغطية الاعلامية وانتشار الارهاب، وعليه فأن التلفزيون لا يمكن اعتباره مدخلاً أكيداً لتكوين ثقافة العنف والانحراف في المجتمع (إلاّ) إذا اجتمعت اليه عناصر أخرى مثل الأمية والبطالة والميل الداخلي الموروث الى العنف .

2– أن تأثيرات وسائط الاعلام على استشراء ظاهرة الارهاب لا يتعدى كونها (حافزاً) يولد (استجابة) ولا يمكن اعتبارها مسبباً رئيسياً في هذا المجال .

3– أن الافراط في التغطية التلفزيونية للعمليات الارهابية التي تقع تحت مسميات عديدة قد تصبح حافزاً للارهابيين لارتكاب أفعال ارهابية جديدة، وقد تغري هذه التغطية مجموعات ارهابية غير معروفة للقيام بعمليات أكثر عنفاً طلباً للشهرة أو للقفز الى واجهة

الاحداث، وفي هذه الحالة فان الارهاب (يترعرع) على ما يوفر له من دعاية اعلامية .

4 – أن وسائل الاعلام لا تقوم بدور (محايد) أو (مجرد) وسيط في الصراع الفكري والديني، بل هي اداة بيد الجماعات التي تقود هذا الصراع وتعكس في خطابها الاعلامي وجهات نظر وآيديولوجيات هذه الجماعات .

5 – تعمل معظم الفضائيات العربية على الاستخفاف بعقلية (المتلقي) العربي من خلال (تسطيح) المعلومة المقدمة و (الادعاء) بأن كل ما يقدم من مضمون اعلامي انما يهدف الى (الارتقاء) بالذائقة الاتصالية ل (المتلقي) .

6 – يتصرف (المتلقي)حيال السياسات والاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع بطريقة تمثل انعكاساً للصورة التي كوّنها عن المجتمع من حوله والتي استقصاها من (كم) المعلومات التي وصلت اليه من خلال (مضمون) وسائل الاتصال .

- (تم حذف النتائج من 7-10).

11 – تعتمد معظم الفضائيات العربية (الفبركة)الاعلامية في مضمونها الاتصالي الموجه للمتلقي العربي بحجة تحقيق سبق صحفي (موجدة) واقعاً تلفزيونياً يبتعد كل البعد عن حقيقة الحدث .

التوصيات والمقترحات:

1 – هناك حاجة ماسة الى تبني ستراتيجية اعلامية موحدة تتوجه الى (المتلقي) العربي بعيداً عن هيمنة اعلام القطب الدولي الواحد وتكون هذه الستراتيجية واضحة الأهداف وغايتها تحقيق التوازن

في التدفق الاعلامي والمعلوماتي وبما يصحح موقف العرب في أن يكونوا لاعبين أساسيين وليسوا مجرد مستهلكين .

2 – ضرورة أن يقوم الاعلام بدور أساسي في بناء الهوية الثقافية الوطنية بعيداً عن خصوصيات سياسية أو دينية .

3 – العمل على تجفيف منابع التطرف الديني الموجودة حالياً في عدد من وسائل الاعلام الرسمي والخاص .

- (تم حذف ا لتوصية رقم 4).

5 – ضرورة تشكيل جهة رقابية عليا لها سلطات محددة بمجال الاعلام تراقب السلوك المهني للفضائيات العربية وترتبط بجهة مسؤولة على المستوى العربي كالجامعة العربية مثلاً، وأن تكون هناك (آلية) للمتابعة الدوري لمدى الالتزام باخلاقيات المهنة، وتجري هذه المتابعة من خلال أجهزة خاصة على المستويات الوطنية والاقليمية والدولية .

6 – وضع (صيغ) جديدة لاخلاقيات البث الاعلامي تواكب روح العصر ومعطياته خاصة في مجال المستحدثات والمتغيرات الجديدة (الاعلامية والمعلوماتية والتكنولوجيا) وأن يراعى في هذه (الصيغ) وجود نصوص واضحة تؤكد عنصر الالتزام باخلاقيات المهنة ومبادئها الأساسية واحترام انسانية الانسان ومشاعره ومعتقداته مع التأكيد على أن أهمية الحصول على سبق صحفي أو تحقيق الاثارة في (المضمون) يجب أن لا يكون مبرراً لالغاء مبدأ الالتزام الاخلاقي المهني الذي يعارض كل ما يمكن أن يشكل اساءة ل (المتلقي) وكل ما يمثل خطر على وجوده .

7 – ضرورة تسليح المشاهد (المتلقي) بقدرات ومهارات ومعارف تتيح له التحول من متلق (سلبي) الى متلق (فاعل) قادر على فهم وتحليل

أبعاد المضامين الاعلامية الموجهة له، ويمكن أن يتم ذلك من خلال ما يعرف ب (التربية على التعامل مع وسائل الاعلام) الذي يوفر للمتلقي فهم صيرورات الانتاج في وسائل الاعلام والتأثير الذي يمارسه، ويمكن أن يتم ذلك من خلال اعداد (أدلة) تدريبية من قبل خبراء ومؤسسات المجتمع المدني وتعتمدها المؤسسات المعنية في برامجها الموجهة الى الأطفال والشباب .

8 – انشاء مؤسسة عربية متخصصة للتدريب الاعلامي المستمر، كما أن كليات الاعلام والمؤسسات الاعلامية الكبيرة مدعوة لتأسيس مراكز تدريب وتطوير يتلقى فيها الاعلامي المبتدىء معلومات حديثة وتدريبات في الفنون الاعلامية وتقنياتها .

9 – الاهتمام بعملية (البحث) التسويقي بهدف الوصول الى الاهتمامات الحقيقية للمواطن العربي .

10 – توفير المناخات التي تساعد مؤسسات البحث العلمي على القيام بمهامها وفق أسس علمية وتوفير التمويل اللازم لها


المراجع

(1) لسان العرب لابن منظور لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور جـ1 ص438، ص493 مادة رهب - دار المعارف

(2) انظر هذه المفاهيم والمصطلحات الدامغاني الحسين بن محمد إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن مادة رهب دار الفكر .

(3) انظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة رهب دار الفكر.

(4) الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع د. حسين رشوان ص 56 وما بعدها بتصرف مؤسسة شباب الجامعة ط2002م .

(5) الإرهاب والتطرف د/حسين رشوان ص53 وما بعدها بإيجاز (مرجع سابق).

(6) الإرهاب الدولي وانعكاسه على الشرق الأوسط خلال أربعين عاما د.حسين شريف ح1/ص23 سنة 1997، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(7) صناعة الإرهاب د.عبد الغني عماد بتصرف ص27 ط 1 دار النفائس – بيروت – 1424هـ.

(8) مصادر للإرهاب د/ناصر الزهراني جـ16 ط1 1424هـ مكتبة العبيدان .

(9) الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع د/حسين رشوان ص153، ص154 بتصرف مؤسسة شباب الجامعة ط 2002م، وانظر الإرهاب ص69 وما بعدها د.هشام الحديدي، ط الأولى ص2000 – الدار المصرية اللبنانية .

(10) الإرهاب د/ هشام الحديدي ص73 (مصدر سابق).

(11) الإرهـــاب د/هـــشام الحديـــدي مـــن ص423، إلى ص426 بإيجـــاز (مرجع سـابق)، وانظر الإرهـاب والتطـرف د.حسين رشـوان ص37 وما بعدها بإيجاز .(مرجع سابق)

(12) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، زكي علي السيد ص21 دار الوفاء – مصر – المنصورة – ط1 /1423هـ.

(13) الإرهاب د. هشام الحديدي ص 49 (مرجع سابق).

(14) تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في أكتوبر 2001 .

(15) مجلـــة نيوزويـــك 2001/12/22 نقـــلاً عـــن جريـــدة الأهـــرام 2002/2/8 .

(16) الجارديان تايمز، 1991/3/3 .

(17) الإرهاب والتطرف ص43 د. حسين رشوان (مرجع سابق.)

(18) الإرهاب والتطرف ص44 د.حسين رشوان (مرجع سابق)

(19) الإرهاب د. هشام الحديدي ص321 بإيجاز.(مرجع سابق)

(20) الشبكة الإلكترونية .

(21) عمـــدة الحفـــاظ فـــي تفـسير أشـــرف الألفـــاظ –الـسمين الحلـبي جـ1ص59 عالم الكاتب جـ 1 / 1414هـ/1393م .

(22) المفـردات في غريـب القـرآن –لأبـي القـسم الحـسين بـن محمـد المعروف بالراغب الاصفهاني جـ170 دار المعرفة- بيروت.

(23) الأساس للزمخشري ص114 . بتصرف .دار الفكر .

(24) د. القرضاوي الشبكة الإسلامية ص1 جمع د. سعيد العظم بتصرف .

(25) سنن أبو داود ، ج5، ص 150 ، دار الفكر، بيروت .

(26) سنن ابن ماجة، ج4، ص 160 ، دار الفكر، بيروت .

(27) مقاصد الشريعة الإسلامية، علاّل الفاسي، ص 50، دار التراث العربي، بيروت .

(28) سنن النسائي، ج6، ص 170 ، دار الفكر، بيروت .

(29) مؤتمر وزراء الخارجية العرب في دورته السادسة عشر في شوال سنة 1422هـ في مكة المكرمة .

(30) الإعجاز التشريعي في معالجة مشكلة الفقر إعداد أ . محمود عنبر طباعة 2000 م.

(31) الإعجاز التشريعي في معالجة مشكلة الفقر إعداد أ . محمود عنبر (مرجع سابق).

(32) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – للإمام محمد فخر الدين الرازي ج22/ص58 طباعة دار الفكر سنة 1990

(33) أدب الحوار في الإسلام د.محمد السيد طنطاوي جـ26 ص720 بإيجاز .نهضة مصر 1997م.

(34) ثقافتنا في مواجهة العصر د.زكي نجيب محمود ص19 بتصرف دار الشروق (1399هـ/1979م)

(35) انظر الحوار بين الأديان د.وليم سلمان ص168 وما بعدها بإيجاز – الهيئة المصرية للكتاب 1976م.

وانظر من فقه الدولة في الإسلام د. يوسف القرضاوي ج2 ص31-32 بتصرف دار الشروق عام 1419هـ/ 1999م.

(36) الإيمان د. محمد نعيم حسين ص15 بتصرف . مكتبة الرسالة .

(37) عبد الكريم زيدان- أصول الدعوة بتصرف - ص120- ط3- دار الفكر .

(38) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج5 ص28 بتصرف . (انظر محمد أبو يحيى اقتصادنا- ص50- دار الرسالة – عمان، وانظر العدالة الاجتماعية سيد قطب – دار الشروق) .

(39) النظام السياسي في الإسلام د. محمد أبو فارس ص17 بتصرف – دار الفرقان، عمان –الأردن ط3 1409 هـ –1986م وانظر الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية محمد الجابري ص70 وما بعدها ط4- بيروت 1992م .

(40) النظم الإسلامية د.احمد شويدح : زياد مقداد ، ماهر السوسي ص229 بتصرف ط4/ 1419هـ_1999م .

(41) النظم الإسلامية ، د.أحمد شويدح ص229 بتصرف.(مرجع سابق)

(42) انظر أحكام الجهاد- في الإسلام جمال الهوبي – رسالة غير منشورة - ص50 وما بعدها .

(43) انظر عالمية الدعوة الإسلامية د.عبد العليم محمود ص161دار الشروق .

(44)) إبراهيم إمام – الإعلام الإسلامي ص27- بتصرف ط2 القاهرة الأنجلو مصرية .

(45) فتحي الدريني- / المناهج الأصولية ص 25 وما بعدها – دار الرسالة - ط- 1- 1988م.

(46) يوسف القرضاوي –الحلول المستوردة وكيف قضت على امتنا ص 20وما بعدها - بتصرف - دار الرسالة- بيروت) وانظر:الخطاب العربي المعاصر، فادي إسماعيل المعهد العربي للفكر الإسلامي ص60 وما بعدها ط1 –1991

(47) سنن أبو داود –للإمام الحافظ أبي داود السجستاني الأزدي حديث رقم 4888 وقال عن إسناده صحيح دار الفكر.

(48) فتح الباري شرح صحيح ا البخاري في كتاب الأدب باب النهي عن التحاسد والتدابر وانظر مسلم بشرح النووي للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتنافس حديث رقم 2563، دار الفكر.

(49) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ص171/2 بتصرف، برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن فرحون اليعربي المالكي/تخريج /جمال مرعشلي دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان .

(50) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج2 ص877 حديث رقم 2480 دار بن كثير 1987م (مرجع سابق).

(51) مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم8729 دار إحياء التراث .

(52) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب للإيمان حديث رقم 9 (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ودمه) فتح الباري شرح البخاري حديث رقم 10 – دار إحياء التراث .

(53) مسند الإمام احمد حديث رقم 22555 دار إحياء التراث وقال ﷺ : (لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم) سنن أبي داود حديث رقم 4351، دار القلم بيروت .

(54) فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم6366 دار القلم بيروت 1987م .

(55) الجامع الصغير للسيوطي ح2ص473 طباعة البابي الحلبي 1373هـ- ويقول الرسول ﷺ : (من عادى ذمياً فأنا خصيمه يوم القيامة ..) كشف الخفاء إسماعيل بن محمد العجلوني ص342 حديث رقم 2529 ط4 مؤسسة الرسالة .

(56) سنن أبو داود حديث رقم 2654 دار القلم بيروت 1987م . ويقول الرسول ﷺ : (من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً) وسنن البيهقي ج8ص34 تحقيق محمد عبد القادر دار الباز- مكة المكرمة - 1414خ- 1990م) .

(57) البخاري بشرح الكرماني ج13 ص132- دار إحياء التراث – بيروت .

(58) صحيح مسلم بشرح النووي ح15دار إحياء التراث .(مرجع سابق)

(59) سنن الترمذي باب ما جاء في رحمة المسلمين ج4 ص323 دار إحياء التراث .

(60) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص118 (مرجع سابق)

(61) سنن النسائي ج5 ص254- دار الفكر .

(62) فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم 703 (مرجع سابق) .

(63) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب للإيمان حديث رقم 46 (مرجع سابق) .

(64) سنن البيهقي ج9ص118 دهر الباز مكة المكرمة .

(65) صحيح مسلم بشرح النووي- كتاب الجهاد والسير حديث رقم 1795 تصنيف محمد عبد الباقي .

(66) قصة الحضارة _غوستاف لوبون ص329 بتصرف دار الفكر .

(67) حضارة العرب لوبون ص327 بتصرف دار الفكر.

(68) يوسف القرضاوي- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي- ص46- بتصرف- دار الفكر .

(69) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد الأحكام السلطانية والولايات الدينية . ص385 طباعة 1409هـ- 1989م بتصرف .

(70) سنن أبو داود ج3ص170 حديث رقم3050 (مرجع سابق)

(71) سنن البيهقي في سننه ج9 ص/205 دار الباز مكة المكرمة .

(72) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الجزية ج269/6 (مرجع سابق).

(73) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج5/ص23 (مرجع سابق) .

(74) فتح الباري شرح صحيح البخاريج5/ ص 53 (مرجع سابق).

(75) العوافي جمع عافي، وهو كل طالب فضل أو رزق من إنسان قال أبو عبيد ، العافية من السباع والطير والناس، وكل شيء يعافه .القاموس المحيط للفيروز آبادي- ج4/ ص663 .

(76) مسند الإمام أحمد ج3 / ص340 دار إحياء التراث .

(77) البداية والنهاية لبن كثيرح3 /ص306 .

(78) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ6ص10 (مرجع سابق)

(79) سنن ابن ماجة ج2 ص250- ط دار الفكر – بيروت.

(80)المهذب ح2/ص218 السيوطي جـ1ص26 . دار الفكر .

(81) سنن النسائي ج5ص254- دار إحياء التراث .(مرجع سابق)

(82) فتح الباري شرح الباري صحيح البخاري ج5 ص250 - دار الفكر .(مرجع سابق)

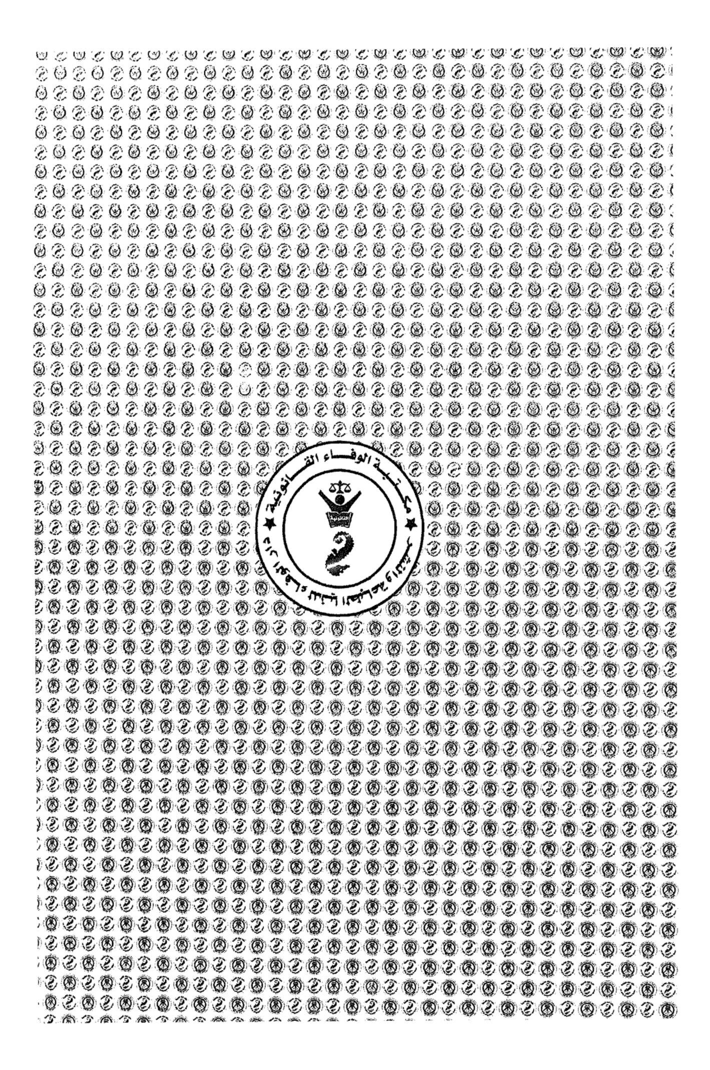

الفهـــرس

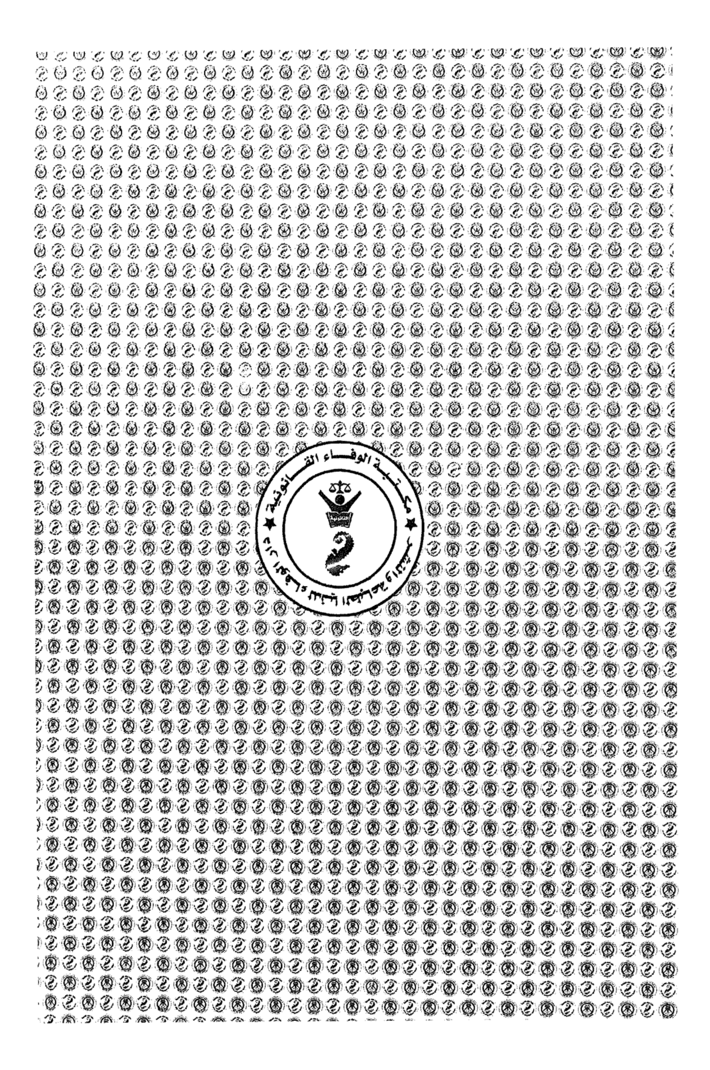
الموضوع	رقم الصفحة

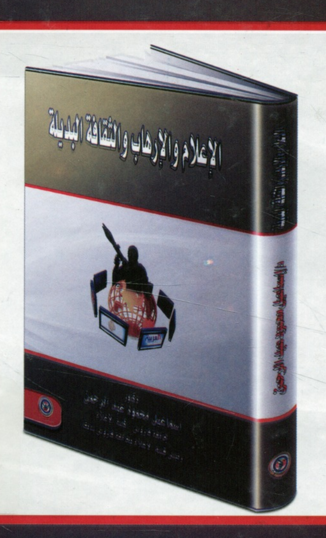


رقم الإيـداع : 2013/11594
الترقيم الدولى : 8-37-6441-977-978

مع تحيات
مكتبة الوفاء القانونية
تليفون : 01003738822- الإسكندرية


مكتبة الوفاء القانونية


مكتبة الوفاء القانونية






الناشر
مكتبة الوفاء القانونية
٠٠٢٠١٠٠٢٧٢٨٨٢٢
تليفاكس
٠٠٢٠٣/٥٤٠٤٤٨٠
الاسكندرية


ISBN: 977-644-137-8
9 789776 441378